المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الحدود الشمالية
كلية التربية والآداب في عرعر
قسم اللغة العربية
الدراسات العليا
مسار الأدب والنقد

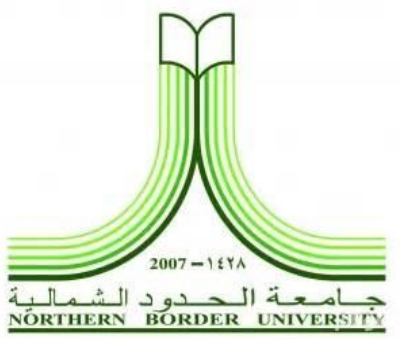

الحجاج في شعر الأحزاب السياسية في العصر الأموي

بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على الماجستير

إعداد الطالبة

منى بنت غربي العنزي

الرقم الجامعي

٢٠١٢٠٨٤٨٦

بإشراف

أ.د. سعيد الأيوبي

العام الدراسي

١٤٣٧هـ/١٤٣٨هـ

إهداء

أهدي عملي المتواضع إلى من ترقب إنجازه منذ البدء، إلى من شد من أزري وساندني، إلى من ضحى من أجلي ولو ببضع دقائق، إلى أسرتي الصغيرة: ديالا ووالدها الوفي. وإلى أسرتي الكبيرة: أمي التي أمطرتني بدعواتها، وسؤالها الدائم، وإخوتي الذين شاركوني أجمل لحظات العمر ... دمتم لي جميعا.

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فالحجاج نمط من أنماط الخطاب يختلف حضوره من خطاب إلى آخر حسب الغاية التي يجري إليها، وقد ارتبط بالخطابة عند أرسطو لأنّ الغاية منها حمل المتقبّل على الإذعان، والتأثير فيه. لذلك يهيمن الحجاج على كلّ خطاب ينزع إلى توجيه المتقبّل إلى فكرة الباث أو دحض فكرة جاهزة سلفا عنده، والردّ عليها، بغضّ النظر عن طبيعة الجنس الأدبيّ الّذي يتشكّل داخله الخطاب سواء أكان شعرا أم نثرًا.

ولمّا كانت الصراعات الفكريّة والسياسيّة الميسم الأبرز للحقبة الأمويّة، فقد اخترت أن يكون المدخل إلى دراسة أشعار الأحزاب السياسيّة في هذه الفترة، مدخلا حجاجيّا، لأنّه كفيل في اعتقادي بإبراز خصائص هذه الأشعار والحجج التي تنهض عليها من ناحية، وكشف خلفيّات الشعراء ومراجعهم الفكريّة من ناحية ثانية.

أما مشكلة البحث فهي: إلى أي مدى نجحت بعض الأحزاب السياسية في تثبيت شرعية الخلافة من خلال الشعر؟ وكيف حاولت الأحزاب الأخرى الشيء نفسه للانتصار لوجهة نظرها في الموضوع نفسه؟

تدور أسئلة البحث حول:

- ما نوع الحجة الشعرية؟
- ما الوسائل التي اعتمد عليها شعراء الأحزاب في حججهم؟
- هل كان الإقناع يعتمد أكثر على حججهم القوية الصحيحة في الواقع، أم على وسائل الحجاج المساعدة وإتقان صياغتها؟
- ما مدى قدرة هذه الحجج على التأثير في المتقبّل وحملهِ على التصديق؟ وما مدى الأثر الذي تركه هذا الحزب في ذلك العصر؟

- وأي هذه الأحزاب أكثر حججا وشعرا؟

من أهداف الموضوع:

- استخراج الحجاج، وصوره، وأدواته.
- تحليل الأبيات الحجاجية من ناحية تصنيفات برلمان.
- معرفة أهدافهم من إيراد الحجج ومدى تأثيرها في المتلقي.
- التعرف إلى الأحزاب ونظرتها الشرعية في الحكم.
- الكشف عن الأساليب الحجاجية عند شعراء الأحزاب، ومعرفة مدى قوة هذه الحجج وصحتها.

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي؛ لأن البحث يستدعي هذا المنهج لتحليل ووصف الأبيات الحجاجية، ومعرفة أسبابها ووسائلها ونتائجها، كما أنني استعنت بالمنهج التاريخي في بداية الفصول الأربعة، لتتبع تاريخ الأحزاب ونشأتها.

- **صعوبات البحث:**

١-عدم توافر بعض الكتب في منطقتي، وأحيانا في المملكة كلها، مما يستوجب مني مراسلة المكتبات دولياً وهذا الأمر يستغرق كثيراً من الوقت حتى وصول الكتاب.

٢- عدم وجود دواوين لبعض الشعراء، فأغلبها نتف متناثرة في بطون كتب التاريخ والأدب القديمة، مما زاد من صعوبة البحث والتنقيب خلف الأشعار من أجل توثيقها وتقطيع بحورها.

٣-ازدواجية انتماء بعض الشعراء، مما جعلني في حيرة أمام تصنيفه حزبيا.

٤-أغلب الدراسات التي اطلعت عليها المتصلة بالموضوع نفسه كانت نظرية، فقليل جدا منها العملي، ودراستي تطبيقية تعتمد على العملي أكثر من النظري.

هيكل البحث: ينقسم البحث إلى مقدمة شرحنا فيها: سير الرسالة، ومنهجها وأبرز الصعوبات، وأهدافها، وأهميتها، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة.

ثم مدخل عرضت فيه مفهوم الحجاج لغة واصطلاحا، وفصلت الحديث عن تصنيفات برلمان للحجج التي اعتمدتها وذكرت شواهد تفسرها، وأربعة فصول متضمنة الخصائص لكل حزب، والفصول كالتالي:

١-الحجاج في شعر الشيعة. ٢-الحجاج في شعر الخوارج.

٣-الحجاج في شعر الزبيريين. ٤-الحجاج في شعر الأمويين.

وقد حاولت تتبع الأحزاب من الناحية التاريخية، وبحثت في حجج كل حزب، وعملت على تحديد نوعها، وبيان مضمونها، والهدف المنشود منها، والنتيجة المرجوة، واستخرجت الأدوات المساعدة لها، وحاولت أن ألتمس رؤية الباث من خلال حجته والدعوة التي يعرضها، وبينت التجاوزات التي رأيتها في بعض البراهين، والمغالطات، والتفسيرات الخاطئة لبعض الشواهد الدينية.

ثم الخاتمة، والتوصيات، والنتائج، والمصادر، والمراجع، والفهرس.

- أما **الدراسات السابقة:** فقد وجدت دراسات كثيرة تناولت الحجاج من عدة جوانب مثل دراسة الحجاج في القرآن من الناحية الأسلوبية، ودراسة الحجاج في النثر من الناحية اللغوية، ودراسة نظريات الحجاج وأقوال النقاد فيها.

ومن هذه الدراسات التي لها علاقة بالموضوع من الناحية النظرية الخالصة:

- كتاب **من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة**، وكتاب **نظرية الحجاج** وهما لجميل حمداوي (لا يوجد لهما تاريخ إصدار)، فقد عرض النظريات الحجاجية القديمة والمعاصرة، ولا توجد في الكتابين نتائج تذكر.

ويختلفان عن دراستي، لأنهما نظريان، فقد اهتما بالجانب النظري أكثر من الجانب التطبيقي، وهناك إفادة من الكتابين من ناحية النظريات، وآراء النقاد الحجاجية

التي كانت موجهة لبحثي ومساعدة له، فالكتاب الأول ساعدني في معرفة أهم المدارس والاتجاهات البلاغية ومميزاتها، وبذلك استطعت تصنيف الحجاج، واتجاهاته في بحثي.

أما الكتاب الثاني فإنه: يتقارب من ناحية الإفادة مع الكتاب السابق، حيث ساعدني في تحديد اتجاه الخطاب الحجاجي، وتصنيفه بناء على النظريات التي أتى على ذكرها وشرحها.

- كتاب **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**، عمله فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود (لا يوجد تاريخ إصدار). يجمع عددا من النظريات الغربية، وأهم من كتبوا فيها، وقد اختير منها خمسة مؤلفات قدم أولها هشام الريفي مقال/ **الحجاج عند أرسطو**، ثم تناول عبد الله صولة، مقال/ **الحجاج: أطره ومنطلقاته من خلال "مصنف في الحجاج–الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكا**، وقدم شكري المبخوت مقال: **نظرية الحجاج في اللغة**، ومحمد علي القارصي قدم: **البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار**، وقدم محمد النويري: **الأساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج**.

موضع الإفادة من الكتاب يكمن في معرفة تاريخ الحجاج، ومعرفة أنواع الحجج وتقنياتها، ووعي نظرية المساءلة وإدراكها، وتفريق الحجاج المغالطي عن الحجاج الحقيقي.

يختلف هذا الكتاب عن بحثي المقدم؛ لأنه نظري نقدي، يهتم بالنظريات الغربية وخاصة اليونانية الفلسفية، وهذه النظريات ساعدتني على استيعاب مفهوم الحجاج، مما يسهل تطبيقه بشكل جيد، خاصة أن بحثي يعتمد على التطبيق.

دراسة أخرى لـ عبد الله صولة في كتابه **الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية** الطبعة الأولى ٢٠٠١ والطبعة الثانية ٢٠٠٧، وهذا الكتاب مادته كبيرة جدا تناول الجانب التطبيقي أكثر.

وتختلف دراسته عن دراستي؛ لكونه درس الحجاج من الناحية الدينية الأدبية، وأنا أدرسه من الناحية السياسية الأدبية، فقد ركز هو على القرآن وبلاغته، وأنا أخوض في الشعر السياسي، وكانت الإفادة من هذا الكتاب من الناحية التطبيقية في استخراج الصور الحجاجية، وكيفية التعامل مع هذه الصور، لأن الكتاب يعتمد على التطبيق.

كتاب **اللغة والحجاج**، صدر عام ٢٠٠٦، لأبي بكر العزاوي، يدرس الحجاج في مستوى اللغة، ويصف بعض الجوانب الحجاجية في اللغة، ويتحدث عن مفهوم الحجاج، وفي هذه الدراسة تبنى نظرية (الحجاج في اللغة)، التي أسس لها اللغوي الفرنسي أزفالد ديكرو **Osvald Ducrot** ، وقد عدها أبو بكر العزاوي إطارا نظريا ومنهجيا لبحثه.

ومن الأسباب التي دفعته لاختيار هذه النظرية إطارا لبحثه: يرى أنها نظرية دلالية حديثة تقدم تصورا جديدا للمعنى من حيث طبيعته ومجاله، وتقدم أفكارا بخصوص الظواهر اللغوية، ولم يذكر العزاوي شيئا عن النتائج.

والإفادة من هذه الدراسة كانت من ناحية أنها تتحدث بشكل خاص عن دور اللغة وآلياتها، وأدواتها في الحجاج، وتعرفني بنظرية الحجاج في اللغة، ومفاهيمها ومصطلحاتها.

ويختلف عن دراستي؛ لأنه يركز على الجانب اللغوي من الحجاج فقط، ولم يحدد الحجاج ولم يحصرها في فئة معينة، بل كان حديثه بشكل عام، أما أنا فدرست الحجاج عند شعراء الأحزاب السياسية في العصر الأموي من ناحية تقسيمات حجج برلمان.

- هناك دراسات اهتمت بالشعر السياسي، مثل: **كتاب أدب السياسة في العصر الأموي**، صدر عام٢٠٠٦، لأحمد الحوفي، فالكتاب لم يدرس وسائل الإقناع والحجاج دراسة موسعة دقيقة، ولم يتحدث عن وسائل الإقناع والتأثير، ويتناول الأدب من الناحية السياسية فقط، فلم يلتفت إلى شرح الحجاج في الشعر.

خرج الحوفي بعدة نتائج منها: إن الأدب الشعوبي نشأ في العصر الأموي لا العصر العباسي.

وقد يكون نشأ في العصر الأموي، لكنه ظهر على الساحة بشكل ملحوظ في العصر العباسي، لاسيما أن الأمويين معتزون بعروبتهم، متشددون على غير العرب.

من نتائجه أيضا، يقول: إنه ليس من الحق أن سبب ازدهار الأدب هو رعاية الدولة، لأنها رعت المواليين لها فقط، وحاربت المعارضين. ولكن أعتقد أن هذا يعد سببا من أسباب الازدهار، لأنها حينما تجزل العطايا للشعراء، فإنها تشجع الإقبال على الشعر، والتنافس، وشحذ القرائح، بذلك تكون قد أثرت الأدب، وحركت الساحة الشعرية من ناحية الدفاع والرد.

– هناك دراسات اهتمت بالحجاج في الشعر مثل: كتاب **الحجاج في النقائض** لمكلي شامة، أطروحة ماجستير عام ٢٠٠٨–٢٠٠٩، فقد درسته من الناحية التداولية، كما أن الشرح طغى بشكل كبير على الأمثلة، ولم تتناول إلا نقيضتين لجرير، والفرزدق على الرغم من نقائضهما الكثيرة، متغاضية عن بقية النقائض، ولم تذكر السبب في التغاضي، أو حتى سبب اختيار النقيضتين.

في هذه الدراسة عملت الباحثة على توظيف بعض إجراءات المناظرة، التي اعتبرتها منهجاً، متبعة بذلك طه عبد الرحمن –كما تذكر–واعتمدت هذا المنهج في دراستها، لأنها ترى أنه سمح لها بإعادة النظر في تراثنا النقدي القديم، وقراءته قراءة جديدة تتجاوز القراءات السابقة.

من النتائج التي توصلت إليها الدراسة: إن خطاب النقائض يخرج عن مبادئ التهذيب.

أعتقد أن هذا يحصل؛ لأن خطاب النقائض خاصة يحمل في طياته كثيراً من الشحناء ومحاولة إثبات الذات وهدم الخصم، ومن نتائجها أيضا: إن المنهج الذي اتبعته أظهر لها كيفية توالد النصوص من بعضها، فالنص المضاد وليد النص الأول، وترى أيضا أن المحاجج في النقائض لا يسعى إلى بناء نظرية مشتركة، وإنما يسعى إلى إثارة انفعال الطرف الأخر.

وهذا ليس في حجاج النقائض فقط، إنما في كل خطاب يحمل حججا، يهدف إلى إثارة العواطف وتحريك الميول.

تختلف هذه الدارسة عن بحثي من ناحية الفئة المحددة وتضييق مساحة البحث، فقد كان التطبيق على نقيضتين فقط من نقائض متعددة.

- دراسة أخرى للباحث حسين بوبلوطة بعنوان **الحجاج في الإمتاع والمؤانسة**، أطروحة ماجستير عام ٢٠٠٩-٢٠١٠، يدرس الحجاج أيضاً من ناحية النثر.

تنقسم هذه الدراسة إلى تمهيد، وثلاثة فصول: في التمهيد يتتبع المسار التاريخي للحجاج. أما الفصل الأول: فهو نظري يتحدث عن مفهوم الحجاج. الفصل الثاني: يبحث في آليات الحجاج البلاغي في الإمتاع والمؤانسة. الفصل الثالث: يبحث في آليات الحجاج اللغوي في الإمتاع والمؤانسة.

توصل الباحث إلى عدة نتائج منها: إن كتاب "الإمتاع والمؤانسة" له آليات حجاجية وأبعاد. وأرى أن هذا أمر بديهي؛ لأن هذا الكتاب هدفه الإقناع والتأثير، لذلك هو يطرح عدداً من القضايا ويلجأ إلى التبرير والدفاع، إذاً هو مدونة مليئة بالحجج.

ودراسته للحجاج تختلف عن دراستي من ناحية التركيز على دراسة الحجاج في النثر لا الشعر والتركيز على جزئية عمل واحد وهي كتاب **الإمتاع والمؤانسة**.

- دراسة أخرى، **الحجاج في كتاب "المثل السائر" لابن الأثير** للباحثة نعيمة يعمران، أطروحة ماجستير عام ٢٠١٢، تناولت فيه آليات، وإجراءات الحجاج التي وقف عليها ابن الأثير في كتابه، وقسمت العمل إلى بابين الباب الأول نظري يلم بالمفاهيم الخاصة بالبحث، أما الباب الثاني فتدخل فيه إلى الناحية التطبيقية، وتقول الباحثة إنها اعتمدت على المنهج التداولي كما تسميه، لأنها ترى أن هذا المنهج يعطيها فسحة ومساحة واسعة في التعامل مع النصوص، وقد توصلت الباحثة إلى نتيجة واحدة،

وهي وجود تقارب شديد بين البلاغة العربية القديمة (ابن الأثير)، والبلاغة الجديدة (برلمان).

والبلاغة الجديدة، ولدت من رحم البلاغة العربية القديمة ولا يمكن الفصل بينهما، فمن الطبيعي أن يكون هناك تقارب بينهما.

بناء على ما سبق أجد الاختلاف بين دراستي والدراسة السابقة يكمن في أن هذه الدراسة تبحث عن التقارب ونقاط الالتقاء بين البلاغة القديمة، والبلاغة الجديدة، أما دراستي فهي استخراج مواطن الحجاج ومعرفة مدى بلاغتها، من نصوص شعرية سياسية أموية، وهذه الدراسة تدرس الحجاج في جزء معين، وتدرسه في النثر لا في الشعر، وأنا أتناول الحجاج في شعر أحزاب سياسية، وعقليات متعددة، ومختلفة في أساليبها، وتمكنها.

في النهاية أود أن أقدم شكري لجامعة الحدود الشمالية، وأخص بالشكر قسم اللغة العربية، لإتاحتهما لي فرصة البحث والعلم.

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى مشرفي وأستاذي الدكتور: سعيد الأيوبي، وذلك لما قدمه لي من علمه ووقته وجهده الكثير، وبفضل الله ثم بفضل متابعته لي استطعت أن أخرج بهذا العمل.

الشكر موصول لأساتذتي الموقرين أعضاء لجنة المناقشة، الذين سأسعد بملاحظاتهم القيمة.

وأتمنى أن يلقى بحثي القبول والرضا، وإن كان هناك تقصير فهذا جهد بشري، فالإنسان لا يستطيع الوصول إلى الكمال، هذا وأسأل الله التوفيق والسداد.

الباحثة

مدخل:

مفهوم الحجاج عند بعض النقاد العرب وبرلمان

– الحجاج في اللغة والاصطلاح:

يقول ابن منظور عن الحجاج : " حاججته أحاجه حجاجا. ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها... والحجة: البرهان، وقيل: الحجة مادُوفِعَ به الخصم".[١]

ويقول الحنفي: " فأما الحجة: فاسم يعم الكل، وكذلك البينة والبرهان، وتفسير الحجة أنها: اسم من حج إذا غلب، يقال: لج فحج أي غلب، وحاججته فحججته أي: غلبته ألزمته بالحجة حتى صار مغلوباً".[٢]

ويقول الباجي عن الحجاج:" تردد الكلام بين اثنين قصد كل واحد منهما تصحيح قوله، وإبطال قول صاحبه... والدليل: ما صح أن يرشد إلى المطلوب وهو الحجة والسلطان والبرهان".[٣] ويقول أيضا: "هذا العلم من أرفع العلوم قدراً وأعظمها شأناً لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة ولا عُلم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم".[٤] يجعل للحجة فضل في معرفة صحة القضية، وتمييز الحق عن الباطل، حتى لا تلتبس الأمور عند المستقبل.

---

[١] محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ج٤، القاهرة: دار المعارف، د.ت، مادة حجج، ص٧٧٩.

[٢] عبيدالله بن عمر الحنفي، **تقويم الأدلة في أصول الفقه**، قدم له وحققه خليل محيي الدين الميس، ط١، بيروت: دار الفكر،١٤٢١هـ، ص١٣.

[٣] سليمان بن خلف الباجي، **كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج**، تحقيق عبدالمجيد تركي، ط٣، بيروت: دار الغرب الإسلامي، د.ت، ٢٠٠١، ص١١.

[٤] نفسه، ص٨.

ويقول ابن الحاجب: "ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري".[٥]

أما النقاد المعاصرون فرؤيتهم مشابهة لبعضها، يقول طه عبد الرحمن: "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها".[٦] يثير هنا قضية أن الحجة تستلزم أن يكون لها نقيض، بذلك تتيح خيارات أمام المتلقي للاقتناع بها أو رفضها، وحتى يضمن الباث قبول حجته لابد أن يؤسسها على بناء قوي

يقول صابر الحباشة عن الحجة: إنها "تقوم على حسن توظيف الأساليب المتعلقة بأهداف المتكلم وبما يراه مناسبا للمقام من تخير الحجج الفعالة والملائمة والتي تضمن تأثيره في الجمهور المستهدف".[٧] والحجة قد تكون قابلة للدحض والنقض والجدل، تستدعي أطروحات منافسة تسعى للاستحواذ على الإقناع والتأييد.

ويقول جميل عبد المجيد عن الحجاج:" عملية اتصالية يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين"[٨]. ويبدو لنا أنه ليس كل عملية اتصال تعتمد على المنطق للتأثير، فهناك من يعتمد على المراوغة والعاطفة.

ويرى عبد الهادي بن ظافر الشهري أن الحجاج هو "الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها وتتجسد عبرها استراتيجية الإقناع".[٩] والشهري ينظر هنا إلى الحجاج من الناحية التداولية المرتبطة بنظرية أفعال الكلام والاستلزام الحواري، والحجاج التداولي

---

[٥] عثمان بن عمر الحاجب، **مختصر منتهى السؤال والأمل في علمي الأصول والجدل**، دراسة وتحقيق نذير حمادو، م١، ط١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢١، ص٢٠٣.

[٦] طه عبدالرحمن، **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**. ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨، ص٢٢٦.

[٧] صابر الحباشة، **التداولية والحجاج مداخل ونصوص**، ط١، دمشق: صفحات للدراسات والنشر،٢٠٠٨، ص٢٩.

[٨] جميل عبدالمجيد، **البلاغة والاتصال**، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٨، ص١٠٥.

[٩] عبدالهادي بن ظافر الشهري، **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية**، ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، د.ت، ص٤٥٦.

يهتم فقط باللغة وتغيير السلوك، وتوجيهه عبر ثنائية: افعل ولا تفعل*. ونرى أن الشهري قد اشترط في الحجاج الإقناع، فلابد أن يكون الحجاج حاملا لأدوات الإقناع ووسائله. وإلا لا يعد الخطاب في حيز الحجاج، وإنما يكون خطابا عاديا لا يهدف إلى التأثير.

فالحجاج هو أطروحة ونقيضتها، يسعى كل طرف إلى تقديم وسائل وأدلة قصد استمالة المتلقي وجذبه إلى أطروحته، ودحض الأطروحة الأخرى.

الحجاج عند برلمان:

أصبحت البلاغة الجديدة منفتحة على علوم شتى، ومجالات عدة، خاصة بعد ظهور الدراسات الحجاجية والجدلية.

فقد كانت البلاغة عند أرسطو مما تهتم به الجمهور المتلقي، وعند أفلاطون عبارة عن صراعاتٍ بين الفلاسفة، ظلت على حالها حتى بدأت تنحدر نحو السقوط[١٠]، إلى أن جاء بعض التلاميذ الذين كانوا يطمحون إلى إعادة بناء البلاغة من جديد، فظهرت عدة دراسات أهمها- في مطلع القرن العشرين- دراسة رجل القانون شايم برلمان Chaim Perelman ولوسي أولبريخت تيتيكا Lucie olbrechts-Tyteca في كتابهما الوجيز في الحجاج- البلاغة الجديدة. فقد حاول برلمان "أن يخلص الحجاج من ربقة المنطق ومن أسر الأبنية الاستدلالية المجردة مقربا إياه من مجالات استخدام اللغة مثل مجال العلوم الإنسانية والفلسفة والقانون".[١١]

- ظهر مفهوم التداولية التحليلية في الحجاج في منتصف القرن العشرين مع أوستين وكتابه (**نظرية أفعال الكلام**) سنة ١٩٦٢م، وسورل في كتابه (**أفعال اللغة**) سنة ١٩٦٩م.

[١٠] انظر بوزناشة نور الدين، مقال''الحجاج في الدرس اللغوي الغربي''، **مجلة العلوم الإنسانية**، WWW.ULUM.NL. السنة السابعة، العدد ٤٤، ٢٠١٠، ص٦ .

[١١] عبد الله صولة، مقاله ''الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال (مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة) لبرلمان وتيتيكا''، في كتاب **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**، فريق البحث في البلاغة، والحجاج، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب، والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس. د.ت، ص٣٤٨.

وترجع نشأة البلاغة الجديدة إلى برلمان، فقد أخذ آراء أرسطو وتوجهاته وطورها وفق رؤية جديدة، فانبثقت البلاغة الجديدة من شرنقة خطابة أرسطو، فدخلت إلى فضاء أوسع مما كانت عليه، وحوت جوانب عديدة غير مقتصرة على اللغة "وشكلت فتحا بلاغيا جديدا (مؤلفات برلمان) لا يختلف عما قدمه أرسطو المؤسس الأول للدرس البلاغي القديم، فإذا كانت البلاغة قد ولدت وترعرعت في أحضانه حيث أرسى قواعدها وأركانها ضمن كتابه الخطابة فإنها تطورت وازدهرت مع برلمان الذي أضاف إليها الشيء الكثير".[١٢]

ويرى برلمان أن الحجاج هو "جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع".[١٣] ونرى في تعريف برلمان أن الحجاج لا يكون للإقناع بفكرة جديدة فقط، وإنما يكون لزيادة الإقناع وتأكيد فكرة موجودة مسبقا لدى المتلقي اقتنع بها.

وبدأت نظريته الجديدة (نظرية الحجاج) تهتم بالخطاب والمتلقي والباث، وتهتم بكل أداة تساعد على التأثير والإقناع، فقد اهتمت بالخطاب من ناحية مراعاة المقام، وإيراد حجج صحيحة بعيدة عن السفسطة*.

فالمتلقي يتنوع بتنوع الثقافات والمواضيع، وقد يكون فرداً أو جماعة، فلابد من التمييز بين أنواع الخطاب الموجهة إليه، "ومن هذا المنطلق يرى برلمان أن مخاطبة الفرد تختلف عن مخاطبة الجماعة في ساحة عمومية، إذ توافر للخطيب الامتياز بالتعرف على

---

١٢ محمد الولي، **الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية**، الرباط: دار الأمان،٢٠٠٥، ص٣٥٥.

[١٣] شايم برلمان، **مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة**، ج١، المطابع الجامعية بليون، ١٩٨١، ص١٣. نقلا عن سامية الدريدي، **الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة: بنيته وأساليبه**، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٨، ص٢١.

*حارب أفلاطون وأرسطو السفسطة وبذلا جهدا في ذلك، وخصص الأخير جزءاً من كتابه الأرغانون لمحاربة السفسطة. والسفسطة: تعني التلاعب بالألفاظ لطمس الحقائق والإجابة على السؤال بسؤال.

المستمع الفرد معرفة عميقة، لأن الخطيب مع تقدم الحوار يستطيع من خلال الأسئلة والأجوبة التعرف عليه أكثر، خاصة ما تعلق بميولاته، والجوانب التي تستجيب لهذا الفرد، مما يسهم في خلق وضعية مناسبة للاقتناع والتأثير، أما إذا تجاهل الخطيب ذلك فإنه أمام حجر عثرة يحول بينه وبين مستمعه ويضيع إقناعه".[١٤]

وعلى الخطيب أو الباث معرفة أنواع مستمعيه، ومراعاة المقامات التي يوجه إليها خطابه لضمان جودة حجته، وإيصالها إلى المتلقي.

فقد قسم برلمان المستمع إلى: "مستمع خاص ومستمع كوني؛ يتكون الأول من شخص الخطيب نفسه أو من جمع محدود العدد في مقام معين، ويشمل الثاني كل كائن ذي عقل. هذا التقسيم مكن برلمان من التمييز بين الإقناع والتيقن بشكل دقيق وتقني"[١٥]، ويجب أن يتنبه المحاج حينما يصوغ خطابه ويعده، أنه يخاطب جمهورا واسعا أي جمهوراً كونياً غير خاص، فلابد من مراعاة جميع الطبقات والعوام، ومن ناحية أخرى قد يخاطب جمهورا خاصا كأصحاب المذاهب أو السياسيين... فلابد من الحذر والاحتياط في مخاطبتهم، ومراعاة أحوالهم، وصياغة حجج من بيئتهم ومحيطهم حتى يتمكن من الوصول إلى غايته.

ووظيفة الحجاج وغايته: دفع المتلقي للإذعان والتسليم على نحو يجعله يعمل بالفكرة. ويرى برلمان أن "غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان. فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب. أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"،[١٦] والوظيفة الأساس لكل حجاج

---

[١٤] نور الدين، مقال'' الحجاج في الدرس اللغوي الغربي''، ص٦.

[١٥] الحسين بنو هاشم، مقاله '' نظرية الحجاج عند شايم برلمان وآفاق تحليل الخطاب''، في كتاب **البلاغة والخطاب**، إعداد وتنسيق محمد مشبال، ط١، كلية الآداب تطوان ، ٢٠١٤، ص٩١.

[١٦] برلمان، **مصنف في الحجاج**، نقلا عن صولة، مقاله ''الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته''، ص٢٩٩.

هو الإقناع والتسليم للرأي، فإذا حصل هذا الإذعان يعتبر الحجاج ناجحا؛ لأنه وصل إلى بغيته، وذلك عن طريق الاهتمام بالفكرة وترسيخها وتقويتها من خلال التوفيق بين الظاهر والمضمر من الحجة، ولكي يبني بناء قويا تستند عليه الحجة لابد من معرفة أنواع النفوس والمقامات وما يناسبها من أقاويل وأساليب حتى يضمن استمالتها نحوه.

وبما أن المنظرين لنظرية الحجاج (برلمان، وتيتيكا) حصرا مجموعة من الحجج[١٧] اعتمدها كثير من الدارسين في تطبيق دراساتهم، وتحليل نصوصهم، وهي كما يلي:

١-الحجج شبه المنطقية:

- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية :
  - التناقض وعدم الاتفاق(**Incompatibility**).
  - التماثل والحد في الحجاج(**Identity in argumentation**).
  - حجة التعدية(**Argument of transitivity**).
- الحجج شبه منطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية:
  - تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له(**fallacy of Division**).
  - إدماج الجزء في الكل(**The argument by inclusion**).

٢-الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

- الاتصال التتابعي:
  - الحجة السببية(**Causal argument**).
  - حجة التبذير(**Argument of wasting**).

---

١٧ ترجم عبد الله صولة هذه الحجج من كتاب برلمان، وتيتيكا (**مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة**)، وتلك الحجج سوف اعتمدها في بحثي الحالي.

- حجة الاتجاه(**Argument of direction**).

- اتصال التواجد:

-حجة السلطة (**Argumentation of Authority**).

- حجة الرمز(**The symbol**).

٣-الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

- حجة التمثيل(**Figurative analogy**).
- النموذج وعكسه(***Reductio ad absurdum***).

٤- حجة المقارنة:(**Argumentation of comparison**).

٥- حجة السخرية:(**Argumentation of irony**).

٦- حجة البرهان ذو الحدين:(**Dilemma**).

٧- الحجج القائمة على الاحتمال:(**The argumentation by the probable**).

هذه الأنواع هي التي تقوم عليها البنية الحجاجية، تقول سامية الدريدي بشأن هذا التصنيف: "يبدو مقنعاً؛ لأنه يبرز الفوارق بين الحجج ويظهر الاختلافات الدقيقة بينها، كما يحيط بكل الحجج تقريباً على نحو يعسر معه العثور على حجة لا يمكن ردها إلى أحد الأصناف المعتمدة".[١٨] ونأتي لتفصيل هذه الحجج:

١-الحجج شبه منطقية:

سميت بذلك لأنها تشبه المنطق وتقترب منه، فعندما نجد حجة تنتمي إلى هذا الصنف تكون أقرب إلى اليقين والحقيقة، ويستطيع المتأمل أن يجد لها نقضا، خاصة إن

[١٨] الدريدي، **الحجاج في الشعر العربي القديم**، ص١٩٠.

كانت من جنسها، وللحجج شبه منطقية التي تعتمد البنى المنطقية، أصناف كما ذكرنا سابقا في التقسيمات، وهي:

أ) **التناقض وعدم الاتفاق:(Incompatibility)**

أي التضارب بين أطروحتين عرضهما الباث، بمعنى أن تكون هناك أطروحة، وله أطروحة أخرى تناقض الأولى ولا تتفق معها. مثل قول عنترة بن شداد: (**الطويل**)

يُنادُونَني في السِّلم يا ابنَ زَبيبةٍ وَعِند صِدَامِ الخَيلِ يَا ابنَ الأطَايبِ[١٩]

هنا التناقض بين الأطروحتين واضح، بحيث لا يمكن أن يجتمع الامتهان مع الاحترام لشخص واحد من مجموعة واحدة. كيف يهينونه ويعيروه بأمه السوداء، وذلك كما يرون ينقص من شأنه، ثم في موقف آخر ينادونه بأحب الأسماء إليه التي تمتلئ تقديرا واحتراما، لا شك في أن هذا هو التناقض الذي يعانيه الشاعر في حياته، الذي قدر الله له أن يعيش في مجتمع عنصري لا يعترف بالأخلاق الإنسانية، ويلتزم الأعراف والتقاليد الصارمة. فتعبير الشاعر يحمل الأسى الذي يعانيه في حياته المتذبذبة ما بين الاحترام والاحتقار.

ب) **التماثل والحد في الحجاج :(Identity in argumentation)**

يذكر الباث أمرا ما ويحاول أن يقدم له تعريفا غامضا غير واضح ودقيق، ويكون التماثل ظاهرا لنا في شكل مجمل غير مفصل، فحينما يحتج لمبدأ أو فكرة لا يضبطها في تعريف دقيق "إذ صيغة التماثل ليست إلا طريقة شكلية نتوخاها في تقويم شيء ما تقويما إيجابيا أو سلبيا بواسطة الحشو...كقول القائل:(حين أرى ما أرى أفكر فيما أفكر) ففي هذا القول نجد اللفظ الثاني دائما هو الذي يحمل القيمة الدلالية شأن ما يحدث في ظاهرة التكرار"،[٢٠] كأن يقال الخبيث يبقى دائما خبيثا والطيب يبقى دائما طيبا، ولكن لم يفسر لماذا هو خبيث أو طيب فقط تماثل؛ لأنه يرى أنها قيمة ثابتة لا تتغير، ويحتج

[١٩] عنترة بن شداد، **ديوانه**، عني بتصحيحه أمين سعيد، القاهرة: المطبعة العربية بمصر، د.ت، ص٢٤.

[٢٠] صولة، مقاله ''الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته''، ص٣٢٧.

بأن الخبيث سيواصل خبثه؛ لأنه جبل على ذلك وتطبع، وهذه من المسلمات المتعارف عليها بين الناس، ونحن نعلم أن المسلمات والحقائق والوقائع والقيم من الأمور المتفق عليها، وهي تعد في الحجاج (المواضع المشتركة) التي يصعب الاختلاف معها ونقضها. كقول دريد بن الصمة: (**الطويل**)

وَهَل أنَا إلاَّ مِن غَزِيَّةَ إن غَوَت غَوَيتُ وإن تَرشُدْ غَزِيَّةُ أَرشُدِ[٢١]

فغواية الشاعر ورشده مرتبطان بالقبيلة، وهذا أمر مقنع في زمنه؛ لأنه متعارف عليه لا يحتاج إلى ضبط حدود هذا المبدأ بتعريفات توضحه، لأنه يتماثل مع قبيلته في كل شيء، وكأنه استنساخ منها، يذوب وينصهر في تقاليدها.

ج) **حجة التعدية:** (**Argument of transitivity**)

وتتمثل في أن "أ" يؤدي إلى "ب" و "ب" يؤدي إلى "ج" إذا ج = أ.

ويمثل حجة التعدية قول قيس بن الملوح: (**الوافر**)

أمرُّ على الديار ديارِ ليلـــى أُقَبِّل ذا الجدارَ وذا الجـــــدارَا

وما حبُّ الديارِ شغفنَ قلبي ولكن حبُّ مَن سكن الديارَا[٢٢]

إنه حينما يقبل الجدار ليس حبا فيه، وإنما يتعدى هذا الأمر إلى حبه لمن سكن بين هذه الجدران، وهي ليلى، ويمكن أن نبين التعدية في هذه الحجة، كالتالي:

الشاعر (أ) يقبل الجدار (ب)

الجدار (ب) تسكن خلفه ليلى(ج)

إذن : الشاعر (أ) يعشق ليلى(ج).

---

[٢١] دريد بن الصمة، **ديوانه**، تحقيق عمر عبدالرسول، القاهرة: دار المعارف، د.ت، ص٦٢.

[٢٢] قيس بن الملوح، **ديوانه**، جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد فراج، القاهرة: دار مصر للطباعة، د.ت، ص١٣١.

٢-الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية:

أ-تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له: (fallacy of Division)

هذه الحجة من الحجج الرياضية شبه المنطقية، يستطيع المتأمل أيضا أن يدحضها، ولا ينخدع بها. وتعني هذه الحجة أن يكون لدينا مجموعة تتكون من أجزاء، فعندما يطلق الباث حكما على جزء من أجزاء هذه المجموعة، تبعا لذلك سوف ينسحب هذا الحكم على بقية الأجزاء الأخرى المكونة لهذه المجموعة بمعنى أن يصبح الحكم عاما للمجموعة، ولا يكون خاصا لجزء منها.

نجد هذه الحجة شائعة في الشعر العربي وخاصة في شعر الهجاء والفخر والمدح، فعندما نبحث في أشعار الشعراء المدحية أو الهجائية خاصة، نجد كثيراً من هذه الحجج، كقول عمرو بن كلثوم في معلقته:(**الوافر**)

ورِثنَا مَجدَ عَلقَمَةَ بنِ سَيفٍ أبَاحَ لَنَا حُصُونَ المجدِ دِينـــا

وَرِثتُ مُهَلهِلاً والخَيرَ مِنـــهُ زُهَيراً نِعمَ ذُخرُ الذاخِرِينَـــــا

وَعَتَّـــاباً وَكُلثُومـاً جَمِيعـــــاً بِهِم نِلنَا تُراثَ الأَكرَمِينَـــــا

وَذَا البُرَةِ الذي حُدِّثتَ عَنهُ بِهِ نُحمَى وَنَحمِي المُحجَرِينَا*

وَمِنَّا قَبلَهُ السَّاعي كُلَيـــبٌ فأيُّ الَمجدِ إلاّ قَد وَلِينَـــا[٢٣]

● ذو البرة: هو رجل من تغلب سمي بذلك لكثرة شعر أنفه، يستدير على أنفه كالحلقة.

[٢٣] عمرو بن كلثوم، **ديوانه**، تحقيق أيمن ميدان، ط١، جدة: النادي الأدبي الثقافي، ١٤١٣هـ، ص٨٠-٨١.

نجد الشاعر يستعين بحجة تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له، حيث يبدأ بتعداد أبطال وسادة قبيلته، وهم كالتالي: علقمة بن سيف وهو من بني تغلب قبيلة الشاعر، "يقال: إنه أنزلهم الجزيرة. وقوله: (دينا) معناه: خاضعا ذليلا، وهو منصوب على الحال".[٢٤] بمعنى أن هذا الرجل أورث المجد للقبيلة، وفي البيت الثاني يفخر بأجداده المهلهل وزهير وعتاب وكلثوم*، ويذكر أنهم كانوا ذخرا للقبيلة وبهم نالوا تراث الأكرمين، وذو البرة أحد أفراد قبيلة تغلب الذين يفخرون به؛ لأنه يحميهم، ويحمي من يلجأ إليه من خارج القبيلة، وكليب غني عن التعريف وهو أحد فرسانها، الذي بوفاته أشعلت نيران الحرب بين تغلب وبكر أربعين عاما.

كل هؤلاء يمثلون قبيلته بالشجاعة، فقبيلته قوية؛ لأنها تضم هؤلاء الأفراد، ويجر الحكم من الأفراد (خاص) إلى القبيلة (عام)، فنجده يمتدح القبيلة كلها ويذكر بطولتها: (**الوافر**)

مَتَى نَعقِد قَرِينَتَنَا بِحَبـــلٍ نَجُذ الحَبلَ أو نَقصِ القرِينا

وَنُوجَدُ نَحنُ أمنَعُهُم ذِمَاراً وَأَوفَاهُم إذا عَقَدُوا يَمِينَـــا[٢٥]

إلى أن يقول:

إذا بَلَغَ الفطامَ لَنا وليـــدٌ تَخِرُّ له الجَبَابِرُ سَاجِدِينـــا[٢٦]

هكذا يقسم الكل وهي المجموعة إلى أجزاء في البداية، ويطلق عليهم حكما يجره إلى المجموعة كاملة.

الأجزاء: علقمة بن سيف، مهلهل، زهير، عتاب، كلثوم، ذو البرة، كليب.

---

[٢٤] نفسه، ص٨٠.

- مهلهل جده من قبل أمه. وزهير جده من قبل أبيه.

[٢٥] ابن كلثوم، **ديوانه**، ص٨٢.

[٢٦] نفسه، ص٩١.

المجموعة: قبيلة تغلب.

الحكم: واحد يشمل الكل، وهو الشجاعة.

ب) **إدماج الجزء في الكل: (The argument by inclusion)**

يكون الحجاج في هذه الحالة قائما على النموذج التالي: "ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء ... من قبيل القاعدة الفقهية في تحريم الخمر: ما أسكر كثيره فقليله حرام".[٢٧] فهذه الحجة عكس الحجة السابقة، فالحكم الذي يشمل الكل لابد أن يشمل الجزء، مثل هجاء جرير للراعي النميري: (**الوافر**)

فَغُضَّ الطرفَ إنكَ مِن نُمَيرٍ فَلاَ كَعباً بَلغتَ وَلاَ كِلاَبا[٢٨]

فالقبيلة وضيعة، ليس لك الحق أن تفخر لأنك وضيع مثل قبيلتك. فما ينطبق على الكل (القبيلة) ينطبق على الجزء (الفرد) يكون أيضا قليل الشأن.

ونجد في الشعر خاصة، بعض الأبيات التي تنفتح على أكثر من حجة، وتحتمل أكثر من استدلال، تحتاج إلى تفحص دقيق لإرجاعها إلى أي حجة تنتمي، وقد يقرأ القارئ، ويرى أن هذه الحجة تنتمي إلى هذا النوع، وتتقارب إلى نوع آخر، وبالنسبة إلي أرى جواز انفتاح الحجة على أكثر من نوع، لأن الحجة تحتمل أكثر من تأويل وذلك

---

[٢٧] صولة، مقاله ''الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته''، ص٣٣٠.

[٢٨] جرير بن عطية، **ديوانه**، شرح محمد بن حبيب، تحقيق نعمان محمد أمين، ط٣، القاهرة: دار المعارف، د.ت، ص٨٢١.

بأنها تتسم بالتضمين، الذي يفتح للقارئ أبوابا عدة، مثال ذلك قول زهير: (**البسيط**)

إِنَّ ابنَ وَرقاءَ لا تُخشَى غَوائلُهُ لكن وقائعُهُ في الحرب تُنتَظَرُ[٢٩]

فهذا البيت الشعري ينفتح على حجتين: الحجة السببية، وحجة الشخص وأعماله. الحجة السببية: إن ابن ورقاء لا يمكن أن يخسر في الحرب بسبب كونه شجاعا، (حدث وسبب).

ويمكن أيضا أن تكون الحجة في البيت الشعري حجة الشخص وأعماله: لأن ابن ورقاء معروف بالشجاعة في حروبه فلابد أن ينتصر. وبذلك نجد أن البيت الشعري قد يتضمن أكثر من حجة.

٢-الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

٢-١-وجوه الاتصال التتابعي:

أ-**الحجة السببية:** (**Causal argument**)

تنبني على حدث وسبب، بمعنى: وجد هذا الحدث أو الأحداث لهذا السبب، والحجة تفسيرية، وتكون ظاهرية غير ضمنية، لأنها تعتمد الوضوح في تفسير الحدث، فلابد أن يبرر الحدث بالسبب ظاهريا، مثل:

الحدث: فلان تغيب عن الدرس. ـــ السبب: لأنه يمر بوعكة صحية.

قد تأتي الحجة السببية على صيغة (توقع وتكهن)، وصيغتها تعتمد على المستقبل، لأنها احتمالية كأن أقول: هذا الرجل كريم بالتأكيد سوف يعطي سائله.

---

[٢٩] زهير بن أبي سلمى، **ديوانه**، تحقيق فخر الدين قباوة، ط٣، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠، ص٩٥.

فهذه الجملة قائمة على احتمال الحدث المستقبلي وهو العطاء، لأن السبب الكرم، أما الحجة السببية فهي تعتمد على الواقع.

ب) **حجة التبذير**: **(Argument of wasting)**

تحث على مواصلة العمل الذي شرع فيه الشخص وعدم التوقف، وإلا كان مضيعة للجهد، مثال: بما أنك اجتهدت في بداية الدراسة لابد من مواصلة هذا الجهد وإلا لضاع جهدك ورسبت، كالكريم الذي نجده في أشعار القدامى، يبذل ماله لكسب المجد والسمعة الطيبة، حتى وإن أصابته فاقة نجده يواصل كرمه على حساب نفسه، حتى لا يخسر المرحلة التي وصل إليها، من الشهرة الواسعة، والمكانة العالية.

ج) **حجة الاتجاه**: **(Argument of direction)**

هذه الحجة أن يرفض الشخص أمرا ما، ولا يكون هذا الأمر سيئا بحد ذاته، ولكنه يرفضه لأنه سيؤدي إلى نتيجة هو لا يرغبها. مثل الاهتمام بالطفل وتدليله والقيام بشؤونه، مبدئيا لا ضير فيه، ولكن يرفضه كثير من الآباء لأنه يؤدي إلى نتيجة سلبية، وهي اتكال الطفل، وضعف شخصيته.

٢-٢-وجوه اتصال التواجد:

أ) **حجة السلطة**:**(Argumentation of Authority)**

تكون في أن يذكر الشخص أطروحة ما، ولكي يقنع بها الجمهور يقول: فلان فعل ذلك أو فلان قال ذلك، ولابد أن يكون هذا الشخص الذي يستعين به، ذا مكانة مرموقة بين الناس و موثوقا به، مثل العادات والتقاليد التي يمارسها ويتوارثها الأجيال تلو

الأجيال رغم أن بعضها غير صالح لزمانهم، ولكن لأن أجدادهم مارسوها فيتبعونهم، ولأن بعض العقليات العربية ترى كل ماض جيداً وتخشى الجديد، كقوله تعالى:(**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**).[٣٠]

يعبدون الأصنام ليس اقتناعا وإنما إتباع، لمن هم أقوى سلطة منهم، وأكثر تأثيرا فيهم، رغم عدم اقتناع بعضهم بالأصنام إلا أنه يعبدها، من أجل أنه وجد أجداده على هذا الحال، وحجج السلطة من أضعف الحجج، لأنه من السهل تفنيدها بسلطة مضادة لها، فتراها تهتز وتضعف.

ب) **حجة الرمز**:(**The symbol**)

هي رموز يستدعيها الباث لتقوية حجته وإيضاحها، وقد تكون هذه الرموز مشتركة بين الناس، أو تكون ذاتية يصنعها الفرد لنفسه، أو محدودة بين أشخاص معينين، وترتبط هذه الرموز بالبيئات الاجتماعية والثقافية، وأنها تتغير وتتنوع وفقا لتنوع البيئات، فما هو رمز يدل على شيء معين عند العرب، قد يدل على شيء معاكس عند اليونان أو الهند أو الفرس، مثل: اللون الأبيض الذي يرمز إلى الفرح عند العرب في المشرق، ويرمز إلى الحزن في الغرب الإسلامي؛ لذلك يشترط في الرمز معرفة دلالته، فلابد للباث أن يعلم ما يمثله هذا الرمز من دلالة عند المتلقين، حتى يوظفه بشكل متقن يخدم حجته، ويساعدها على التأثير والنجاعة.

[٣٠] سورة **البقرة**، آية ١٧٠.

٣-الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

أ- النموذج وعكسه: (*Reductio ad absurdum*)

يحضر الباث النموذج، لدعوة المتلقي إلى تقليده والاقتداء به، وعادة يكون هذا النموذج جيدا يحفز على الاهتداء به وسلك خطاه، أو قد يأتي بنموذج معاكس ينفر المتلقي ويجعله يرفض الأطروحة، كأن يقول: لابد أن تكون كريما كحاتم. فيجعل حاتما نموذجه الذي يسعى إلى تقليده والوصول إلى ما وصل إليه. ولا تكون بخيلا كفلان. فينفره من صفة البخل ويبتعد عنها بسبب هذا النموذج البغيض. وقد يجمع في الجملة الواحدة بين النموذج وعكسه: كرم وبخل، شجاعة وجبن، غنى وفقر.

وأرى أن النماذج في الحجج تستعمل من أجل توجيه السلوك وتهذيبه، وهي ناجعة في ذلك، فإن أردنا أن ننهر المتلقي عن سلوك ما لكي يقتنع، فلابد أن نأتي بنماذج سلكت هذا السلوك، ثم وصلت إلى نتائج سلبية. وعكس هذا إن أردناه أن يأتي بسلوك مغاير.

ب) حجة التمثيل: (Figurative analogy)

هذه الحجة تستعين لإيضاح أطروحتها بأدوات البلاغة القديمة من استعارة وتشبيه، وبذلك تكون من أقوى الحجج لأن الاستعارة والتشبيه والتمثيل، لها دور كبير في إيضاح الفكرة وتقويتها، وبذلك تكون صعبة النقض. كقول النابغة الذبياني في مدحه للنعمان: (**طويل**)

أ لم تَرَ أنّ اللهَ أعطاك سَـورَةً تَرَى كلَّ مَلكٍ دُونَها يَتَذَبــذَبُ

بأنَّكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طَلَعَتْ لم يَبدُ منهنَّ كَوكَبُ[٣١]

يشبه الشاعر، النعمان بالشمس وما تحمله من توهج وسطوع، والملوك الآخرين بالكواكب، ويريد أن يوصل للمتلقي أن هذا الملك أقوى من الملوك الآخرين، وأنهم أقل منزلة منه، فهو كالشمس التي حينما تحضر وتسطع لا نرى للكواكب وجودا، أي إن وجوده قوي، ومنزلته رفيعة، بحيث يطغى حضوره على حضور بقية ملوك عصره، وإذا ذكر اسمه فإن أسماء الملوك تتساقط بجانبه لهيبته وقوته.

هذه الحجة تستقي قوتها من التشبيه الذي يقوي حضورها، ويرسخها في الأذهان، ويبرزها للمتلقي، فلو أنه مدح الملك بكلام عادي لا يتضمن التشبيه، لا نجد له القوة، مثل لو قال:

إن الملك له منزلة رفيعة تفوق منزلة الملوك الآخرين ↔ كلام عادي.

إنك كالشمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب ↔كلام يتضمن تشبيها.

يبدو لنا أن التشبيه أقوى من الكلام العادي في إيضاح الصورة، كما أن الكلام العادي من السهل نقضه ونفيه "فما يميز القول التمثيلي أنه يأبى أن يجيء بعده رابط من روابط التعارض الحجاجي مثل (لكن) و (بل) أي إنه لا يقبل أن يرد في سياق الإبطال أو التناقض الحجاجي".[٣٢]

ونرى أن هذه الحجج قد تلتبس على القارئ المتعجل، فهي تحتاج إلى تريث وتأمل، كما أن الحجج قد تتداخل في البيت الواحد، ويمكن لبعض الحجج أن تتشابه ويصعب تمييزها على الدارس المبتدئ، لاتساعها وشموليتها.

---

[٣١] النابغة زياد بن معاوية، **ديوانه**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، القاهرة: دار المعارف، د.ت، ص٧٤.

[٣٢] الدريدي، **الحجاج في الشعر العربي القديم**، ص٢٦٦.

ومن عادة الحجة في الشعر العربي خاصة، أن تأتي ضمنية مستترة، تترك للمتلقي مهمة البحث عنها وإدراكها، مما يزيدها متعة وقوة، وبذلك يضمن الباث انجذاب المتلقي لأطروحته والتأثر بها في الغالب.

وبناء على ماقدمنا في العرض النظري لمفهوم الحجاج وأنواعه، سنحاول تطبيق هذه الضوابط المنهجية في الحجاج على شعر شعراء الأحزاب السياسية في العصر الأموي، وسيكون لقاؤنا بداءة مع شعر الشيعة.

الفصل الأول

(الحجاج في شعر الشيعة)

١) نشأة الحزب الشيعي.

٢) أهم فرق الحزب الشيعي وشعرائهم.

٣) الحجاج في شعر الشيعة.

٤) أهم الحجج الخاصة بالشيعة.

٥) خصائص الشعر الشيعي.

الشيعة في اللغة والاصطلاح:

جاء في لسان العرب: "الشيعة القوم الذين يجتمعون على الأمر، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيع... والشيعة أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شيع. وأشياع جمع الجمع: يقال شايعه كما يقال والاه".[٣٣]

وقد كان مصطلح الشيعة في البداية مصطلحا عاما، لا يختص بفئة دون أخرى، وإنما يطلق على أي جماعة أو فرقة، حتى حدث اختلاف المسلمين على الخلافة، فأصبح الاسم خاصا بمن يوالي عليا وأهل بيته، فكل من يدافع عن علي رضي الله عنه وأهله يكون من الشيعة، بذلك أصبح اللفظ مخصوصا بفئة معينة وهم شيعة علي وأنصاره في ذلك الوقت. وقد جاء في الملل والنحل: "الشيعة هم الذين شايعوا عليا (رضي الله عنه) على الخصوص، وقالوا بإمامته نصا، ووصية، إما جليا أو خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده".[٣٤]

النشأة: أما من ناحية نشأة هذا الحزب، وبداية الظهور الفعلي لحزب الشيعة على الساحة السياسية، فهناك عدة آراء حول ذلك، منهم من يرى أن التشيع – باعتباره مذهبا –موجود منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وليس بعد الفتنة، ومنهم من يرى أن التشيع وجد بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، حتى ظهرت فئة ترى أن أهل بيت الرسول أولى بالحكم لأنهم أعلم الناس بالكتاب والسنة، ومنهم من يرى أن الشيعة ظهرت بمعناها السياسي في عهد علي رضي الله عنه ولم تظهر بمعناها المذهبي إلا

---

[٣٣] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة شيع، ص٢٣٧٧.

[٣٤] محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، **الملل والنحل**، علق عليه أحمد فهمي محمد، ج١، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣، ص١٤٤.

في عهد معاوية رضي الله عنه، بعد تنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة[٣٥]، ويمكن أن نقسم النشأة إلى:

١-البذرة **الأولى**: وجدت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن لم يكتمل نضجها، ولم تتضح معالمها، ولم تظهر هذه الفكرة حقيقة على الساحة، وإنما كانت أمنيات تضمرها النفوس؛ والسبب وحدة المسلمين آنذاك ومبايعة الصحابة جميعهم -ومنهم علي رضي الله عنه -لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

٢- **ظهور الشيعة باعتباره حزباً سياسياً**: بعد مقتل عثمان ونشوب الفتنة ظهرت أصوات تنادي بالخلافة لعلي، وتعالت هذه الأصوات والتفت حول علي رضي الله عنه، وأطلق عليهم شيعة علي، وبذلك اتضحت معالم هذا الحزب ونضجت رؤيته وهدفه، وأصبح حزبا سياسيا له ثقله ويخشى منه، ومن خلال "الاحتكام إلى أحداث التاريخ يخيل إلى الدارس المنصف أن هذا المصطلح السياسي لم يظهر مقرونا بعلي إلا بعد نشوب الفتنة الكبرى، ولم يكتسب دلالته الدينية، والمذهبية عند الفقهاء وعلماء الكلام إلا بعد اغتيال علي وتنازل الحسن عن حقه في الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان".[٣٦]

بعد اغتيال علي، وتولي بني أمية الحكم اشتد غضب الشيعة، وحنقهم على بني أمية، خاصة بعد مقتل علي رضي الله عنه وأهل بيته، وسماح بعض الخلفاء الأمويين بسب علي رضي الله عنه في المساجد بعد الخطب[٣٧]، ومن يظهر اعتراضه وولاءه لعلي يقتل أو يسجن "وكانت هذه القسوة سببا في ضعف الشيعة أيام معاوية، وقصر التشيع على ميدان النظر والعقيدة، لا على ميدان العمل والثورة".[٣٨]

---

[٣٥] انظر غازي طليمات، عرفان الأشقر، **الشعر في العصر الأموي**، ط١، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٨، ص٥٩١-٥٩٢.

[٣٦] طليمات، الأشقر، **الشعر في العصر الأموي** ، ص٥٩٢.

[٣٧] انظر أحمد الشايب. **تاريخ الشعر السياسي. إلى منتصف القرن الثاني**، ط٦، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٤٠٣، ص٢٣٠.

[٣٨] أحمد الحوفي، **أدب السياسة في العصر الأموي**، ط٦، القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٧، ص٣٤.

ثم عاد ظهور التشيع في عهد يزيد بن معاوية، فعندما رفض الحسين بن علي رضي الله عنهما مبايعته التف حوله الشيعة، وأرسلوا إليه يطلبونه لنصرته على بني أمية، متأملين عودة الحكم إلى بني هاشم، فكان رفض الحسين مبايعة يزيد له دور في إعادة الأمل إلى الشيعة من جديد وبث روح الثورة على بني أمية.

وللحزب الشيعي فرق عدة أشهرها: الإمامية، والكيسانية، والزيدية، والغلاة. ويتفقون على رأي واحد وهو حق خلافة علي رضي الله عنه على المسلمين.

الإمامية: يرون أن عليا هو الإمام بعد الرسول عليه الصلاة والسلام وهو خليفة المسلمين، ومن بعده أبناؤه من فاطمة، لا تخرج الخلافة عنهم، وقد تبرؤوا من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، لأنهما تقدما على علي رضي الله عنه في الخلافة، ويرون أن الإمام معصوم عن الكبائر والصغائر، ومن أشهر شعراء الإمامية أبو الأسود الدؤلي.[٣٩]

الكيسانية: يتزعمها المختار بن أبي عبيد الثقفي، ولهم آراء وهي: إن الخلافة لعلي وأبنائه، ومن يتولى الخلافة من غير نسل علي رضي الله عنه فهو جائر غاصب، وأن الإمام فيه قبس إلهي، ويدينون بالتقية وهي التظاهر بالولاء للأعداء خوفا من بطشهم، ومن أشهر شعرائهم كثير بن عبد الرحمن، والسيد الحميري.[٤٠]

الزيدية: تعود هذه الفرقة إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهذه الفرقة أكثر الفرق الشيعية اعتدالا إذ إنها لا تبرأ من أبي بكر وعمر*، ولا يغالون في تعظيم الإمام، ويحصرون الخلافة في أبناء علي من فاطمة رضي الله عنهم، ولا يضيفون على الإمام خصائص روحية، ويرون أنه بشر يخطئ ويصيب وطاعته واجبة ولا يؤمنون

---

[٣٩] انظر الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج١، ص١٦٣.

[٤٠] انظر الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج١، ص١٤٨. و الحوفي، **أدب السياسة في العصر الأموي**، ص٤١-٤٦.

- الزيدية هم الذين قالوا بجواز تولية المفضول مع وجود الفاضل، لذلك لم يبرأوا من خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

برجعة المهدي المنتظر، ولا يأخذون بمذهب التقية. ومن أشهر شعرائهم الكميت بن زيد الأسدي.[٤١]

الغلاة أو الرافضة: وهم يغالون في تقديس علي وأبنائه رضي الله عنهم تقديسا يتجاوز العقل إلى درجة أنهم قالوا: إن الله أرسل جبريل إلى علي رضي الله عنه ولكنه أخطأ في الرسالة فبدل من أن يوصلها إلى علي رضي الله عنه أوصلها إلى محمد، ومنهم من زعم بأن عليا هو الله.[٤٢]

كان شعرهم السياسي متنوعاً، فهو احتجاج، وهجاء لأعدائهم من الأمويين، ورثاء لقتلاهم في المعارك والسجون، وبرغم كثرة أشعارهم وتنوع فنونها إلا أن موضوعها واحد: هو الحجاج على شرعية الحكم لآل الرسول صلى الله عليه وسلم، واسترجاع حقهم المسلوب.

الحجاج في شعر الشيعة:

إن البحث في بنية الحجاج، واستخراج الحجة من الأبيات الشعرية، يتطلب مزيداً من دقة النظر في تفاصيلها، وبيان نوعها ومقوماتها، حتى لا تلتبس علينا الحجج لشدة الشبه بين بعض أنواعها، كما ذكرنا سابقا.

نرى أن الباث يهتم في المقدمات التي تسبق حجته، تمهيداً لعرض الدعوى وإقامة الحجة عليها، وعادة تكون هذه المقدمات متفقاً عليها بين الباث والجمهور، وهي من المسلمات والمفاهيم المتعارف عليها، وإذا نظرنا إلى الشعر السياسي نجد أن شعراء الشيعة يطالبون بالحكم لعلي، فحينما يأتي المحاج يقدم لحجته، يذكر المسلمات المتفق عليها بينه

---

[٤١] انظر الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج١،ص١٥٣. والحوفي، **أدب السياسة في العصر الأموي**، ص٥٠-٥١.

[٤٢] انظر الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج١، ص١٧٦. والحوفي، **أدب السياسة في العصر الأموي**، ص٥٣.

وبين المتلقي، كأنْ يذكر الصفات الحميدة مثل: العدل، الشجاعة، السماحة، الكرم، وغيرها، ثم يذكر دعواه ويأتي بالحجج كقول السيد الحميري: (**الكامل**)

وهُو الذي يَسِمُ الوجوهَ بِمِيسمٍ حتى يُلاقي خَصمَهُ مَوسومـــــا

ما زالَ مذ سلكَ السبيلَ محمـدٌ ومضى لغيرِ مَذلّةٍ مَظلومـــــــا

ضامَته أُمّتُه وضَيمُـــهمُ لـــــهُ قد كانَ أصغرَ ما يكونُ عَظِيما[٤٣]

يذكر الشاعر في البداية شجاعة علي، وأنه لا يترك خصمه حتى يسم وجهه في الحرب، ثم يذكر إنه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان عزيز قومه لا يهضم له حق، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان إلى جانبه، ومنذ وفاته ظلم علي رضي الله عنه من أمته، وهذا أمر غير عادل، لابد من إعادة النظر فيه.

قد يبالغ المحاج في الحجج والبراهين على دعوته، مخاطباً الخيال والعاطفة في الجمهور، والذي يخاطب الخيال والعاطفة يكون بعيداً عن المنطق وإعمال العقل، يلامس القلوب ويحرك المشاعر، وهذا ما يجعلنا نتساءل عن مدى مصداقية الحجة وحقيقتها.

اعتقد أن الحقيقة في أغلب الحجاج نسبية، لأن المحاج يسعى إلى تضخيم قضيته، وجمع الحجج وتلميعها، وإضافة لمسات ذاتية، تخدم ميول الباث الشخصية، باستثناء الحجاج المنطقي الذي يخاطب العقل بأدلة ثابتة، تسعى إلى الإقناع والاقتناع، وقد قسم مؤلفا (مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة) الحجاج قسمين بحسب نوع الجمهور هما "الحجاج الإقناعي L'argumentation persuasive وهو يرمي إلى إقناع الجمهور الخاصL'auditoire particulier والحجاج الاقتناعي L'argumentation convaincante وهو حجاج يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل... أمكن لنا أن نقول إن المؤلفين يجعلان

[٤٣] إسماعيل بن محمد الحميري، **ديوانه**، تقديم نواف الجراح، ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٩٩، ص١٤٤.

الاقتناع –وهو عقلي دائما– أساس الإذعان، وأساس الحجاج، وأن الإقناع بما هو ذاتي وخاص وضيق لا يعتد به في الحجاج".[٤٤]

وقد ذكرت سابقا أنني اعتمدت تصنيف برلمان وتيتيكا في كتابهما المصنف في الحجاج–الخطابة الجديدة. وقد استخرج عبد الله صولة هذا التصنيف في مقاله في الكتاب المذكور أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، وعلى هذا المقال اعتمدت في تصنيف الحجج التي سوف أدرسها في هذا الفصل وفي الفصول القادمة.

- **حجة التناقض وعدم الاتفاق: (Incompatibility)**

إن التناقض في الحجة يعد فرصة جيدة يغتنمها الخصم الفطن، بل قد يحولها إلى استهزاء بالمحاج الآخر، ليكسب به استمتاع الجمهور والميل إليه.

وقد فطن شعراء الشيعة لهذه الفرصة، واغتنموها في مخاطبة عقل الجمهور، من خلال إيضاح التضاد في بعض حجج بني أمية، يتقصد أن يأتي المحاج بحجة الطرف الآخر، ليبين للمتلقي أنها من حجج المغالطة والسفسطة، من خلال تنميق حجة مضادة لحجة الطرف الآخر ونقيضه، كما نجد ذلك عند الكميت بن زيد* الذي أزال الستار عن التناقض في حجج الأمويين من ناحية الخلافة، فيتعجب باستهزاء ويقول: (**الطويل**)

وقالُوا وَرِثناها أبـَـــانَا وأُمنـَـــا وما وَرَّثَتهُـــم ذاكَ أُمٌ ولا أَبُ

يَرَونَ لَهُم فَضلاً على الناسِ واجباً سَفَاهاً وحَقُّ الهاشِمِيينَ أَوجَبُ

ولَكِن مَوارِيثُ ابْنِ آمِنَةَ الـــذِي بِهِ دَانَ شَرقِيٌّ لَكُم ومُغَـرَّبُ [٤٥]

---

[٤٤] صولة، مقاله ''الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته''، ص٣٠١.

*ويوجد في الشعر العربي ثلاث كميتات: الكميت بن ثعلبة، الكميت بن معروف، الكميت بن زيد.

[٤٥] الكميت بن زيد الأسدي، **هاشمياته**، تحقيق داود سلوم، نوري القيسي، ط٢، بغداد: عالم الكتب، ١٤٠٦هـ، ص٥٩.

من حجج بني أمية أنهم ورثوا الخلافة، فيرد عليهم الشاعر حجتهم بحجة أخرى، أنهم لم يرثوها عن آبائهم ولا أمهاتهم، إنما اغتصبوها، فقولهم باطل، كيف يتحدثون عن وراثة الحكم وهم القائلون إن الخلافة شورى بين المسلمين، وليس فيها وراثة عندما طالب بنو هاشم بالخلافة، وأنه من سفاهة عقولهم أنهم يطالبون بالطاعة الواجبة، والتي هي أساسا من حق بني هاشم المهضوم، ووراثة الحكم هي من صالح بني هاشم، لأنهم من ورثة النبي ويدين بها مشارق الأرض ومغاربها، ولا يخفى ذلك على كل مسلم.

حرص الشاعر على أن يصور التناقض بين أقوال الأمويين وأفعالهم والواقع الذي يراه فعرضها لنا كالتالي:

حجة: أنتم تقولون بأنكم ورثتم الخلافة.

رد الحجة ونقضها: لم يكن أبوكم حاكما ولا أمكم، كيف ورثتموها؟ ومن أين؟

استنتاج: إذا كانت الخلافة بالوراثة فإن بني هاشم أحق بها بسبب أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقرب إليهم منكم وهو من وحد المسلمين، وجمع العرب تحت راية الإسلام.

استغل الكميت بن زيد التناقض في قول بني أمية ليرد الحجة عليهم. وحجة التناقض وعدم الاتفاق تعتمد على "تكوين رد فعل مضاد من قبل الخطاب الثاني يتجلى في عناية مفرطة واستيعاب، وإعادة تأسيس وإعادة إنتاج لغة الخطاب الأول"[٤٦]، ليكون له حجة جديدة مناقضة، تسير عكس اتجاه حجة الخصم.

وفي إطار المناقضة أيضا نجد الكميت بن زيد يقول: (**الطويل**)

يَقُولُونَ لَمْ يُورَثْ ولَولا تُراثُـــــه لَقَد شَرَكت فِيهِ بَكِيلٌ وأرحَبُ

[٤٦] عبد الفتاح أحمد، **الخطاب السجالي في الشعر العربي، تحولاته المعرفية ورهاناته في التواصل**، ط١، بنغازي: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٤، ص٢٤٢.

وعَكٌ ولَخْمٌ والسكُونُ وحِمـــــيَرٌ وكِندَةٌ والحَيانِ بَكرٌ وتَغلِـــــبُ

ولانتَشَلَتْ عِـضوَينِ مِنها يُحــابِرٌ وكانَ لِعَبدِ القَيس عِضوٌ مُؤَربُ

ولانتَقَلَت من خِندِفٍ في سِواهُـمُ ولاقتَدَحَت قَيسٌ بِها ثُم أَثْقَبُــوا

وماكانَتِ الأنصارُ فِيهـــــا أذِلةً ولاغُيباً عَنها إذا الناسُ غُيـــــبُ

هُمُ شَهِدُوا بَدرا وخَيبَرَ بَعدَهـــــا ويَومَ حُنَينٍ والدماءُ تَصَبـــبُ [٤٧]

أي إن بني أمية يحتجون بأن الخلافة لا تورث، حينما يقال لهم إن الخلافة من حق بني هاشم، لأنهم ورثة الرسول عليه السلام، يرد عليهم الشاعر الباث هذه الحجة بأنها "لولا تراث –النبي صلى الله عليه وسلم –وأن أهل بيته أحق بالخلافة وهم ورثته– لكان من ذكر من القبائل كلهم شركاء في الخلافة وكانت قريش وغيرها سواء في ذلك، والأنصار خاصة كان يكون لهم أوفر النصيب لنصرتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ الناس غيب عن طلب الخلافة والأمر، ولكانت الأنصار لا تغيب عنها لولا تراث النبي صلى الله عليه وسلم".[٤٨] ينتهج الشاعر في حججه الجدال العقلي الخالي من الخيال والمغالطة في رد حجج الخصم ونقضها، إضافة إلى أن هناك مقصدا خفيا وأهدافا، وهي إثارة غضب الناس على بني أمية المطالبين بالحكم، لأنهم قالوا إن الخلافة لا تورث، وهم لم يرثوها، ولكنهم يرون أنفسهم أحق الناس بها.

حجة = الخلافة لا تورث / حجة مضادة = إذاً من حق جميع العرب الخلافة.
هدف خفي = تحريك الثورة على بني أمية لـ "غاية" نزعهم من السلطة.

وقد سلك الكميت بن زيد مسلك المعتزلة في الجدال واعتمد المنطق في الحجاج، وكان يختلف عن غيره من الشعراء في الجدال والحجاج فقد صاغ مناظراته شعرا "والكميت في هاشمياته يصدر عن ذوق جديد لا نعرفه لشاعر من قبله، ذوق عقلي...

---

[٤٧] الكميت، **هاشمياته**، ص٦٢.

[٤٨] نفسه، ص٦٤.

إذ أخرج الشعر من أبوابه القديمة إلى باب جديد، هو باب التقرير والاحتجاج للعلويين والدفاع عنهم".[٤٩] يقول: (**الطويل**)

وما ضَرَبَ الأمثالَ في الجَورِ قَبلَنا لأَجوَرَ من حُكامِنا المتَمَثــلُ

هُمُ خَوفُونا بالعَمَى هُوةَ الــردَى كما شَب نارُ الحالِفِينَ المهَولُ*

لَهُم كُل عامٍ بِدعَةٌ يُحدِثُونَهَـــــا أَزَلوا بِها أَتباعَهم ثُم أَوحَلُــوا

وعَيبٌ لأَهلِ الدينِ بَعدَ ثَبــاتِهِ إلى مُحدَثاتٍ لَيسَ عَنها التنَقلُ

كَما ابتَدَعَ الرهبانُ ما لَم يَجِئ بِهِ كِتابٌ ولا وَحيٌ من اللهِ مُنــزَلُ

تَحِل دَماءُ المسلِمِين لَدَيهُــــم ويَحرُم طَلعُ النخلةِ المتَهَــــدلُ[٥٠]

هذه الأبيات مملوءة بالتناقضات، فحينما يقول إنه لم يضرب مثلا في الجور والظلم، ولم يستطع أحد أن يتفوق عليهم في ذلك من قبلهم، فقد بلغوا من الجور أن ابتدعوا في الدين وحرموا الحلال وأحلوا الحرام، فهو يشبه أفعال الأمويين بأفعال الرهبان الذين يأتون بأحكام لم يأت بها كتاب ولا وحي من الله، بل من أنفسهم، وأن من تناقض الأحكام لديهم أنهم يحلون سفك دماء المسلمين ويحرمون ثمار النخل المتهدل، وضعهم الشاعر هنا في قمة المناقضة في أحكام الدين والتلاعب بها على حسب ما تشتهيه النفوس.

---

[٤٩] شوقي ضيف، **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، ط١١، القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٧، ص٢٧٦.

- المهول: المستخلف، وكانوا في الجاهلية إذا أرادوا أن يحَلِّفُوا رجلاً أوقدوا ناراً وألقوا فيها ملحاً وقالوا إن حلفت كاذباً لم يأت عليك الحول ولك مال، وأراد نار القربان.

[٥٠] الكميت، **هاشمياته**،ص١٦١.

نجد في هذه الأبيات عدة حجج:

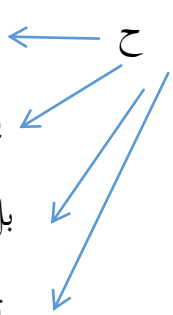

ح ← حكام ظلم وجور

يتلاعبون بأحكام الدين حسب أهوائهم

بل إنهم يبتدعون ويحدثون في الدين شيئا لم ينزل من عند الله

تناقض في سياستهم للرعية

ن = لابد من الثورة عليهم ونزع سلطانهم.

نجد الكميت بن زيد يدعو إلى هذه النتيجة في قوله: (**الطويل**)

فيا رَب هَل إلا بِكَ النصرُ نَبتَغِي عَلَيهِم وهَل إلا عَلَيكَ المُعَولُ[٥١]

المقتضى = بنو هاشم أفضل من بني أمية.

استخدم الشاعر (حجة التناقض) في مواجهة خصمه، محاولا بذلك تصور حال الأمة البائسة في ظل الحكم الأموي، وعدم المساواة بين الرعية. فمن كان يقف إلى جانب الحزب الأموي يكرم، ومن يقف ضدهم تغلق الأبواب في وجهه، حسب نظرة الشاعر إلى الحكم الأموي، فيصور لنا ذلك ويقول: (**الوافر**)

أَجاعَ اللهُ مَن أَشبَعتُمُـــــوهُ وأَشبَعَ مَن بِجَورِكُمُ أُجيعـــــا[٥٢]

مازال الشاعر يردد (جوركم) ويراد بهذا التكرار التأكيد وتقوية الحجة وتثبيت هذه الصفة في ذهن المتلقي، إلى جانب التكرار، وظف الطباق لجذب الانتباه وإثارة الجمهور من خلال استخدام ألفاظ ضدية تستهوي المتلقي العربي، ولعل الباث الذكي يعرف مدى أهمية التكرار غير الممل في الحجة ويلجأ "من خلال التكرار إلى خلق غايات جمالية في الخطاب، لعل من أهمها: إحداث أثر في المتلقي، والاستحواذ على فكره، لأن

---

[٥١] الكميت، **هاشمياته**، ص١٦٤.

[٥٢] نفسه، ص١٩٨.

الذات تتكون في هذه اللحظة من خلال تداعيات شتى وأعراف وتقاليد لا تهتز تحت وطأة التبعية، وتعلن عن حضورها باستمرار من خلال حوارها مع الآخر... فالتكرار ظاهرة لسانية، يؤدي دوراً مهماً داخل الخطاب الأدبي، يتمثل في إحداث تجانس بين العبارات من حيث الوزن الصوتي والصرفي، متجاوزاً وظائفه التقليدية المعروفة في النقد التقليدي، ليصبح في النقد الحديث أداة معرفية يستخدمها الشاعر لتطوير المعنى في خطابه أو نصه".[٥٣]

- **حجة التمثيل: (Figurative analogy)**

إن الاستدلال بواسطة التمثيل، يعد من أكثر الاستدلالات في الشعر خاصة، لأن الشعر يرتكز على الخيال والتصوير، وحجة التمثيل تبني قاعدة واقعية تبحث عن الترابط بين العلاقات، من خلال الاستشهاد أو التشبيه... ولكل منهما غاية، "لئن كانت الغاية من المثل تأسيس القاعدة فإن الاستشهاد من شأنه أن يقوي درجة التصديق بقاعدة ما معلومة وذلك بتقديم حالات خاصة توضح القول ذا الطابع العام. وتقوي حضور هذا القول في الذهن. وعلى هذا فإن الاستشهاد يؤتى به للتوضيح، في حين المثل يؤتى به للبرهنة ولتأسيس القاعدة. وعلى العموم فإن المثل يكون عادة سابقا للقاعدة في حين يكون الاستشهاد لاحقا قصد تقوية حضور الحجة وقصد جعل القاعدة المجردة حسية وملموسة".[٥٤]

إذا نظرنا إلى شعر الشيعة السياسي وجدنا الاستشهاد بالقرآن كثير، فهم لم يتركوا مجالا للحجة إلا طرقوه، بحثا عن إثبات حقهم الذي يريدونه، لأن الشيعة ترى أن الخلافة حق من حقوق الهاشميين، لأنهم آل البيت وورثة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه وصي الرسول عليه السلام، وابن عمه، وزوج ابنته، ولأن أبناءه أسباط الرسول عليه الصلاة والسلام، لذلك غضبوا من الأمويين حين آلت إليهم

---

[٥٣] أحمد، **الخطاب السجالي في الشعر العربي**، ص٢٢٨.

[٥٤] صولة، مقاله ''الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته''، ص٣٣٧.

الخلافة. ولعل الأمويين استفزوا المسلمين والشيعة خاصة حينما أخذوا الخلافة عنوة وحصروها في بني أمية، إضافة إلى قتل كثير من بني هاشم ومن والاهم، مما أدى إلى حنق النفوس على بني أمية والدعوة إلى الثورة لعزلهم، فنتج أدب شيعي يذكر فضائل أهل البيت ويرثي موتاهم، ويدافع عن أحقية الخلافة لبني هاشم، يقول الكميت بن زيد مستشهدا ومتمثلا: (**الطويل**)

بِخِاتِمكُم غَصباً تَجُوزُ أُمُورُهُـم فَلَم أرَ غَصباً مِثلَهُ يُتـغَصـبُ

وَجَدنا لَكُم في آلِ حامِيمَ آيةً تَأَولَها مِنا تَقِي ومُـعـرِبُ

وفي غَيرِها آياً وآياً تَتابَعَـت لَكم نَصَبٌ فِيها لِذِي الشك مُنصِبُ*

بِحَقكُمُ أَمسَت قُرَيشٌ تَقُودُنا وبالفَذ مِنها والردِيفَيْنِ نُرَكَـبُ

إذا اتَضَعُونا كارِهِينَ لِبَيعَـةٍ أَناخُوا لأُخرَى والأزِمةُ تُجـذَبُ

رُداَفى عَلَينا لَم يُسِيُموا رَعِيـة وهَمهُمُ أن يَمْتَرُوها فَيَحلُبُـوا

لِيَنتَتِجُوها فِتْنَةٍ بَعدَ فِتنَـةٍ فَيَفتَصِلُوا أَفلاءَها ثُم يَرَبُبُـوا

أَقارِبُنا الأَدنُونَ مِنهُم لِعَلـةٍ وساسَتُنا مِنهُم ضِـباعٌ وأذؤُبُ

لَنا قائِد مِنهُم عَنِيفٌ وسائِقٌ يُقَحّمُنَا تِلكَ الجَراثِيمَ مُتعِـبُ[٥٥]

هذه الأبيات ذات رؤية سياسية واضحة وصريحة، تعلن بكل جرأة العصيان على بني أمية، والمطالبة بحق الهاشميين في الخلافة، احتوت على مجموعة من الحجج الصريحة والمضمرة، تعتمد على طرفين: الأنا والآخر، والرموز والدلالات التي تشير إلى معان عدة.

يحاول الشاعر أن يجمع لرأيه البراهين التي تعينه على إيضاح الفكرة وتقويتها وتقديمها على أنها صاحبة حق.

● لكم نصب منصب: متعب للشاكِ فيها لا يقدر أن يتأول هذه الآيات في غيركم.

[٥٥] الكميت، **هاشمياته**، ص٥٥.

فالأبيات السابقة مملوءة بالحجج البينة، يقول الكميت بن زيد:

بِخاتِمكُم غَصباً تَجُوزُ أُمُورُهُم فَلَم أرَ غَصباً مِثلَهُ يُتغَصبُ

(بخاتمكم) يشير بهذه الكلمة إلى الخلافة المغتصبة، والكاف تعود إلى بني هاشم، بمعنى أن هذه الخلافة التي ليست من حقهم وهي من حقكم، وقد أخذوها كرها وسيروا أمور الناس بها أيضا كرها، فيتعجب الشاعر من هذا الاغتصاب الجائر لحق بني هاشم وتصرفهم فيه، دون مراعاة الله في ذلك، لذلك نجده يستدرك هذا الأمر في البيت الثاني ويذكرهم بآيات الذكر الحكيم التي تشهد أن لبني هاشم حقا في الخلافة، وقضيته هنا بينة واضحة، أن الخلافة حق بني هاشم، وليست من حق بني أمية. ثم تابع أبياته بحجج تثبت هذا الحق، محاولا إقناع المتلقي بحجته ودحض الحجة الأخرى.

ومن مقومات هذه الحجة:

- استشهاد قرآني.
- تشبيه بلاغي.

يقول:

وَجَدنا لَكُم في آلِ حامِيمَ آيةً تَأَولَها مِنا تَقِـــــي ومُعـــــرِبُ

وفي غَيرِها آياً وآياً تَتابَعَـــت لَكم نَصَبٌ فِيها لِذِي الشك مُنصِبُ

لعل من أقوى الأدلة هو الدليل القرآني، الذي يؤمن به جميع المسلمين ولا يستطيع المناقض أن يدحض هذا الدليل إلا بدليل مواز له بالقوة، ويكون من القرآن الكريم نفسه. "لكم: لبني هاشم. والآية قوله تعالى:(لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ). قال إنما أراد احفظوني لقرابتي منكم لأنه ليس بطن من قريش إلا وقد ولده، والمعرب: المبين، أي بين الخروج معهم، يقال: إنه لعربي بين العرابة"[٥٦]، ويذكر وجود أدلة كثيرة من القرآن الكريم غير آل حاميم، تدل على أن الخلافة لبني هاشم؛ لأنهم أقارب

[٥٦] الكميت، **هاشمياته**، ص٥٥-٥٦.

الرسول صلى الله عليه وسلم ووصى بهم الله ورسوله منها قوله تعالى:(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)[٥٧]، وقوله تعالى:(وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّه)[٥٨]، وقوله تعالى:(فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى)[٥٩].

هذه أدلة من القرآن الكريم يستشهد بها الشاعر ويدعو المتلقي إلى العودة إليها؛ ليدرك حقيقة الأمر وصحة حجته التي يدلي بها.

ثم ينتقل إلى القسم الآخر من الأدلة وهو ما يستمتع به العربي ويستسيغه، وهو التشبيه البلاغي إذ إن له دورا كبيرا في إيضاح الصورة وتقويتها، يريد الشاعر أن يبين حال المسلمين تحت حكم بني أمية، بصورة تؤثر في المتلقي وتجعله يستجيب له ويقتنع، فما كان منه إلا أن يصف الحال في تشبيه بلاغي يغذي الصورة في ذهن المتلقي المحايد.

يقول الكميت بن زيد:

بِحَقكُمُ أَمسَت قُرَيشٌ تَقُودُنا وبالفَذ مِنها والرِدِيفَيْنِ نُرَكَبُ

إلى قوله:

لَنا قائِد مِنهُم عَنِيفٌ وسائِقٌ يُقَحمنا تِلكَ الجَراثِيمَ مُتعِبُ

نجد في القصيدة تكرار الكاف العائدة على بني هاشم وترتبط هذه الكاف بالحق، وكأنه يريد في كل مرة أن يذكر بأن الخلافة مغتصبة من بني هاشم. والصورة الشعرية في هذه الأبيات تتمثل في تشبيه شيعة آل البيت بالبعير الذي يركبه كرها منه وقهرا واحد تلو الواحد يترادفونه، مثله تماما شيعة علي رضي الله عنه يحكمهم بنو أمية كرها منهم، ويتوارثون الحكم واحد بعد الآخر. ثم ينتقل ليدلل على سوء حكم بني

---

[٥٧] سورة **الأحزاب**، آية ٣٣.

[٥٨] سورة **الأسراء**، آية٢٦.

[٥٩] سورة **الأنفال**، آية٤١.

أمية، بأنهم يعادون الرعية ويقسون عليهم كقسوة أولاد العلة وعداوتهم، ويحكمونهم كالذئاب التي تفترس البهائم دون رحمة.

القضية	الدليل
الخلافة حق بني هاشم وسواهم مغتصب.	آيات من الذكر الحكيم.
بنو أمية لا يجيدون الحكم.	تشبيه بليغ يصف حال الرعية تحت حكمهم.
بنو أمية فشلوا في التودد إلى رعيتهم وكسب ولائهم.	يعاملون الرعية بعنف ومعاملة أولاد العلة وكالذئاب.

النتيجة المضمرة التي يهدف إليها الباث: الثورة على بني أمية، وخلعهم من الخلافة، ورفض حكمهم، ومبايعة بني هاشم أصحاب الحق.

- **حجة السلطة: (Argumentation of Authority)**

هي الاستشهاد بقول شخصية ذات قوة مؤثرة في المتلقي، ويحرص الشيعة على الاستشهاد بالقرآن والسنة في حججهم، لأنهم يعلمون مدى تأثير هذين المصدرين على المسلمين، والاستشهاد يعد أسلوبا غير مباشر في الحجج يضفي عليها نكهة مميزة خاصة إن كان صادرا من شخصيات مؤثرة في المتلقي "وهو ظاهرة لسانية تسمى الأسلوب غير المباشر... يتمثل في نقل أقوال مكتوبة أو شفوية صادرة من متكلم آخر غير الذي يستشهد وذلك بأكثر أمانة ممكنة... من أجل إحداث تأثير تصديقي في الحجاج".[٦٠]

[٦٠] باتريك شارودو، **الحجاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب نحو المعنى والمبنى**، ترجمة أحمد الودرني، ط١، بنغازي: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٩، ص٩٤.

وبما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة المسلمين، وله مكانة بينهم وسلطة، فقد احتج الشيعة بأن الرسول وصى بعلي رضي الله عنه، واتخذه وصيا له، لذلك يرون أنه هو وأبناءه أحق بالخلافة؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى فيه الخير للأمة من بعده؛ لذلك اتخذه وصيا، يقول السيد الحميري: (**السريع**)

من كنتُ مولاه فهذا لـــهُ مولّى فلم يَرضَوا ولم يَقنَعـــوا

فاتهموهُ وانحنَت منهـــمُ وعلى خلافِ الصادقِ الأضلُعُ

وظل قومٌ غَاظَهُم قولُـــه كأنما آنافُهـــمَ تُجـــدَعُ

حتى إذا وارَوهُ في قـــبرِه وانصرفوا من دفنِهِ ضيِّعـــوا

ما قال بالأمسِ وأوصى بهِ واشتَروا الضُر بما يَنفـــعُ

وقطعوا أرحامَه بعـــدَهُ فسوف يُجزون بما قـــطعوا

وأزمعوا غدراً بمولاهـــمُ تباً لما كانوا به أزمَعـــوا [٦١]

يحتج الكميت بن زيد في المعنى نفسه: (**الوافر**)

وأَصفاهُ النبِي على اخْتِيـــارٍ بِما أَعيَى الرفُوضَ لَهُ المُذِيعا

ويَومَ الدوحِ دَوحِ غَدِيرِ خُم أَبانَ لَهُ الوِلايَةَ لو أُطِيعـــا

ولَكِن الرجالَ تَبايَعُوهـــا فَلَمْ أَرَ مِثلَها خَطَراً مَبِيعـــا [٦٢]

ويقول أيضا: (**البسيط**)

إن الرسُولَ، رَسُولَ اللهِ قالَ لَنا إن الوَلِي عَلِيٌ غير ما هَجَـرا

---

[٦١] الحميري، **ديوانه**، ص١١٨.

[٦٢] الكميت، **هاشمياته**، ص١٩٧.

في مَوقِفٍ أَوقَفَ اللهُ النبِيَ بـــهِ لَم يُعطِهِ قَبْلَهُ من خَلقِهِ بَشَرا [٦٣]

يحتج كل من الكميت بن زيد والسيد الحميري بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد وصى بولاية علي رضي الله عنه ومحبته في غدير خم، والسيد الحميري عرض حجته ثم أتبعها بتهديد، وكأنه يخاطب اللاوعي في المتلقي، ويدس تحت الحجة معنى خفيا: إذ لم يأخذ بوصية علي رضي الله عنه وولايته، فإنه أيضا سيلقى جزاءه في الدنيا والآخرة، لأنه خذل الرسول صلى الله عليه وسلم وقطع أرحامه ولم ينصرهم.

وعلى النهج نفسه كان الكميت بن زيد يمزج الحجة بالتحذير:

ولَكِن الرجالَ تَبايَعُوها فَلَم أَرَ مِثلَها خَطَراً مَبِيعا

يتعجب من هؤلاء الرجال الذين ضيعوا وصية الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يأخذوا بها، ويرى أن هذه البيعة تجر عليهم الخطر الأكيد.

حجة الوصاية لعلي رضي الله عنه تعد حجة مساعدة لقضية أساسية، يهدف إليها الشاعر وهي خلافة علي رضي الله عنه للمسلمين، لذلك كان أقرب شيء إلى المسلمين هو الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان الباث ذكيا حينما بحث في النصوص الأقرب إلى قلوب المتلقين، وبثها في شعره لتسند قضيته الأساسية، "والعادة في الحجاج ألا تكون الحجة بالسلطة الحجة الوحيدة فيه إنما تأتي هذه الحجة مكملة لحجاج يكون غنيا بحجج أخرى غير حجة السلطة، كما أنه كثيرا ما نعمد إلى الثناء على هذه السلطة من قبل استخدامها حجة في كلامنا".[٦٤]

- **الحجة السببية:(Causal argument)**

هي ربط بين حدث وسبب، أي (أنني فعلت هذا الأمر؛ لهذا السبب)، وقد ربط كثير من شعراء الشيعة حبهم لبني هاشم بسبب أنهم من أهل الرسول صلى الله عليه

---

[٦٣] الكميت، **هاشمياته**، ص٢٠٢.

[٦٤] صولة، مقاله ''الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته''، ص٣٣٥.

وسلم، وقد احتجوا بذلك خاصة حينما نجد من يعاتبهم في هذا الحب، بل إننا نجدهم جازمين في حبهم جادين غير مرغمين، يردون على من يراجعهم في ذلك ردا قاسيا ويقرون بحبهم بشكل صريح غير مضمن ولا مبهم، يقول الكميت بن زيد*: (**الطويل**)

ولَكِن إلى أهلِ الفَضائِلِ والنهَى وخَيرِ بَنِي حَواءَ والخَيرُ يُطلَبُ

إلى النفَرِ البيضِ الذِينَ بِحُبهم إلى الله فِيما نابَنِي أتَقَـــــربُ

بَنِي هاشِمٍ رَهط النبِي فإنــنِي بِهِم ولَهُم أَرضَى مِراراً وأَغضَبُ[٦٥]

يرى الشاعر أنه يتقرب من الله بحب بني هاشم، فهو يعد ذلك حجة يواجه بها من يصده عن حب بني هاشم ويعتب عليه، ويذكر لنا أسباب حبه لبني هاشم؛ وذلك لأنهم أهل فضائل، ونهي عن منكر، وأمر بالمعروف، إضافة إلى ذلك خير بني حواء، ويقصد بذلك إلى نسبهم العائد إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم نجده يؤكد ذلك في البيت الذي يليه، بأن حبهم تقرب إلى الله وأنهم عترة النبي ورهطه.

الشاعر هنا يقصد بحججه أمرين: ما هو مخفي، وما هو ظاهر، أما المقصد الظاهر فهو أن بني هاشم يستحقون الخلافة، لأنهم:

- أهل الفضائل.
- ينهون عن المنكر.
- خير بني حواء لأن نسبهم ينتهي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.
- من قبيلة الرسول صلى الله عليه وسلم بني هاشم.

أما المقصد الخفي فهو: إن الأمويين لا يستحقون الخلافة، لأنهم ليسوا أهل فضائل، ولا دين ولا نهي عن منكر، وليس فيهم الخير، ولا صلة قوية كأبناء هاشم رهط النبي.

● مطلع قصيدته البائية: طَرِبتُ وماشَوقاً إلى البِيضِ أَطرَبُ وَلاَ لَعِباً مِنّي أذُو الشَّيبِ يَلعَبُ .

[٦٥] الكميت، **هاشمياته**، ص٤٥.

نجد في بداية البيتين (لكن) أتت للاعتراض، وكثيرا ما يأتي بعد (لكن) من حجج تكون أقوى تأثيرا من التي قبلها، ثم نجده يعدد هذه الحجج، ليذكر الناس بفضل بني هاشم، ولماذا هم يستحقون الخلافة أكثر من الأمويين، وبعدها يأتي مؤكداً بشدة في قوله (فإنني) اعتراف وإقرار منه بالحب الشديد، والميل إليهم.

نجد في قوله (بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب) تقديماً وتأخيراً والأصل قوله بهم أرضى ... ولهم أغضب، ولكن هنا قدم وأخر، ليس فقط من أجل المناسبة الموسيقية في القصيدة، وإنما ليؤكد بشدة أنه لا يرى غيرهم يستحق الخلافة.

نجد في هذه الأبيات (حجة سببية) وهي: إنه يحب بني هاشم بسبب أن حبه يقربه إلى الله، وأن هناك سببا يؤدي إلى نتيجة إيجابية لذلك هو يفعله:

حجة + سبب = نتيجة إيجابية.

"ومعنى هذا أن في الرابط السببي يكون المرور في الاتجاهين: من السبب إلى النتيجة ومن النتيجة إلى السبب وفي هذا الإطار يمكن أن نتحدث عما يسميه برلمان الحجة البراغماتية... وحد هذه الحجة أنها الحجة التي يحصل بها تقويم عمل ما أو حدث ما باعتبار نتائجه الإيجابية أو السلبية، ومن هنا كان للحجة البراغماتية تأثير مباشر في توجيه السلوك وعدت من أهم وسائل الحجاج".[٦٦]

تقول بكارةُ الهلاليةُ: **(الطويل)**

قد كنتُ آمُلُ أنْ أموتَ ولا أرى فوقَ المنابرِ مِنْ أميةَ خاطبا
فاللهُ أخَّرَ مُدتي فتطاولـــــت حتى رأيتُ من الزمانِ عجائبا
في كُلِّ يومٍ لا يزالُ خــطيبُهم وَسْطَ الجموعِ لآلِ أحمدَ عائبا[٦٧]

---

[٦٦] صولة، مقاله ''الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته''، ص٣٣٣.

[٦٧] أحمد بن أبي طاهر بن طيفور، **بلاغات النساء**، صححه وشرحه أحمد الألفي، القاهرة: مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، ١٣٢٦هـ، ص٤٠.

تتمنى الشاعرة لو اخترمتها المنية قبل أن ترى بني أمية؛ وهم يحكمون البلادَ، ويخطبون على رؤوس الأشهاد، و ترى أن حكم بني أمية يعد من عجائب الزمان؛ وذلك أن العرب إنما شرفت بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم؛ وهؤلاء يسبون أحمد وآله- حد زعمها-.

تقولُ سودةُ بنتُ عمارةَ: (**الطويل**)

شمِّرْ كفعلِ أبيك يا ابنَ عمارةٍ يومَ الطَّعانِ وملتقى الأقرانِ

وانصرْ عليًا والحسينَ ورهطَهُ واقصدْ لهندٍ وابنِها بهـــوانِ

إنَّ الإمامَ أخو النبيِّ محمـدٍ علمُ الهدى ومنارةُ الإيمـانِ[٦٨]

تخاطب الشاعرة متلقيًا خاصًا، هو أخوها، تستثيره، وتستحثه؛ لمنازلة معاوية رضي الله عنه وجنده، ونصرة علي، وابنه الحسين رضي الله عنهما؛ وتعلل لذلك الحث بأنّ عليًا مستحق للنصرة، مستوجب للدفع عنه؛ ذلك أنه أخو صاحب الرسالة، وألصق الناس به، وأولاهم بالقرب منه.

- **حجة التعدية :(Argument of transitivity)**

تعتمد على القواعد الرياضية، وأنها تورد أمراً ليس لذاته، وإنما لما يتصل به، فهي تأتي بوسيط لغاية خلف هذا الوسيط، كما نجد عند الشيعة حينما يوالون بني هاشم ليس لذاتهم وإنما يقصدون الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك، وترتبط حجة التعدية دائما بحب آل البيت والتمسك بهم. مثل قول أبي الأسود الدؤلي: (**الوافر**)

يقول الأرذَلونَ بنو قُشَـــــيرٍ طَوالَ الدهر لا تنسى عَلِيـا

فقلتُ لهم: وكيف يكونُ تركي من الأعمالِ ما يُقضى عَلَيا

[٦٨] ابن طيفور، **بلاغات النساء**، ص٣٥.

بنو عَم النبي وأقْرَبـــــــــوهُ أحب الناسِ كُلهم إلَيـــــا[٦٩]

يقول أيضا:

أمُفَندي في حُب آلِ محمدٍ حَجَرٌ بفيكَ فدَع ملامَك أو زِدِ

مَن لم يكن بحبالهم متمسكاً فليعتَرِف بولاء مَن لم يرشُـــــدِ [٧٠]

أبو الأسود الدؤلي يرد بصرامة على من يراجعه في حب آل البيت، بل إنه يتعجب ممن يسأله، كيف لا يحب بني عم الرسول صلى الله عليه وسلم وأقرب الناس إليه!، وفي الأبيات الأخرى كان رده قاسيا حينما قال: (حجر بفيك فدع ملامك أو زد). فإنه حتما لن يدع حب علي؛ لأن خلف هذا الحب، حب الرسول صلى الله عليه وسلم الذي هو غايتهم، بل إنه يرى حبهم من الرشد، ومن لم يعترف بولائهم فقد ضل، وهذا الرد القاسي يبين لنا ما يعانيه حزب الشيعة من ضغوط نفسية في ذلك الوقت، يتضح ذلك لنا من خلال أشعارهم المملوءة بالغضب والدعوة إلى الثورة والمناداة بالعدل.

فمن حجج أبي الأسود الدؤلي في حبه لآل البيت:

لماذا تحبون آل البيت؟

- لأنهم آل البيت وعترة الرسول صلى الله عليه وسلم.
- لأن في حبهم رشدا.
- لأن حب غيرهم ضلال.

نتيجة: وجوب محبة آل البيت وطاعتهم طاعة للرسول ومن يتبعهم فقد هدي.

هذه الحجة تعتمد على معادلة رياضية كالتالي:

---

[٦٩] ظالم بن عمرو الدؤلي، **ديوانه**، صنعة أبي سعيد السكري، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط٢، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٨، ص ١٥٣.

[٧٠] نفسه، ص٣٣٤.

أ = ب ، ب = ج . النتيجة: أ = ج

أي إن حجة التعدية تهدف إلى نتيجة ضمنية في الخطاب، وتكون هناك غاية خفية بين الحجة والنتيجة، و"العلاقة الموجودة بين أ و ب من ناحية، و ب و ج من ناحية أخرى، هي علاقة واحدة إلى استنتاج أن العلاقة نفسها موجودة بين أ و ج. وضروب العلاقات التي تقوم على خاصية التعدية هي علاقات التساوي والتفوق والتضمين".[٧١]

أ	ب
الشاعر يحب أهل البيت	أهل البيت
ب	ج
أهل البيت قرابة الرسول	الرسول صلى الله عليه وسلم

أ	=	ج
الشاعر	يحب	الرسول صلى الله عليه وسلم

الغاية هي: إن أ تؤدي إلى ج .

إن الشاعر يحب أهل البيت ليس لذاتهم، وإنما يتعدى ذواتهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فهم قرابته، لذلك يفضلهم على غيرهم من الناس.

[٧١] صولة، مقاله ''الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته''،ص٣٢٩.

كما أننا نجد النهي في أبيات الشاعر صارمة، ونتبين أن الشاعر ثابت في أطروحته مقتنع بها لارجعة فيها من خلال كلمة (فدع.. أو زد) فلن يغير موقفه، فالأمر والنهي أسلوب إنشائي يستعين بهما الباث على توجيه المتلقي نحو سلوك ما، أو ردعه عنه حسبما يرى في أطروحته.

- **حجة المقارنة:(Argumentation of comparison)**

حجة المقارنة تكون دقيقة إذا كانت بين قوتين متوازيتين في نشاط واحد، بذلك تكون المقارنة مقبولة بينهما، السؤال كيف تكون المقارنة حجة يبنيها الباث لصالح رأيه؟

يبدو أن المحاج بأسلوبه هذا يحاول أن يشغل جمهوره في اختيار نموذجين في المجال نفسه، أحدهما إيجابي والآخر سلبي حسب نظرته، ويبدأ بعمل المقارنة بينها لإيضاح سلبية الآخر، وإيجابية من يريد، للفوز باقتناع المتلقي.

وقد عقد شعراء الشيعة المقارنة بين سياسة الهاشميين والأمويين للدولة، لمحاولة إثبات صلاحية الخلافة لبني هاشم، وقدموا أطروحاتهم مدعمة بأدلة، وأدوات تساند هذه الأطروحات، فقد حاولوا أيضا نفي صلاحية الخلافة لبني أمية، وعدوهم مغتصبين لها؛ لأنها ليست من حقهم، وقدموا بذلك أطروحاتهم، وتعددت حججهم التي غالبا تستهدف أخلاق الأمويين السيئة وقلة خبرتهم بالحكم مقارنة ببني هاشم، ونرى فيها شيئا من الهجاء السياسي، يقول الكميت بن زيد: (**الخفيف**)

وهُمُ الآخِذُونَ من ثِقَةِ الأمـ ـرِ بِتَقواهُمُ عُرىً لا انفِصـــامِ

والمصِيبُونَ والمجِيبُونَ للـــدعـ ـوَةِ والمحرِزُونَ خَصلَ الترامِـي

ومُحِلونَ مُحرِمُونَ مُقِـــــــرو ـنَ لحِل قَرارَةً وحَـــــــــرامِ

ساسَةٌ لاكَمَن يَرَى رِعيَةَ النا سِ سَواءً ورِعيَةَ الأَنعـــــامِ

لا كَعَبدِ المليكِ أو كَوَلِيـــدٍ أو سُلَيمانَ بَعدُ أو كَهِشـــامِ

رأيُه فِيهِمُ كَرَأي ذَوي الثـــلـ ـةِ في الثائِجاتِ جُنحَ الظلامِ*[٧٢]

يعقد الكميت بن زيد مقارنة بين سياسة بني هاشم وبني أمية، ويورد هنا حججه، فعندما يمتدح آل البيت بأنهم أصحاب سياسة ويعدد لنا مناقبهم، ويمتدح صفاتهم، فخلف هذه الحجة يضمر لنا النقيض، وهي من أسباب كرهه للأمويين بأنهم ليسوا أصحاب سياسة.

نجده يستنجد بالبلاغة في تقوية حججه بتشبيه بني أمية برعاة الأنعام، فهم في جهالة، وضلال لا يستحقون خلافة؛ لأنهم ليس لديهم سياسة، ولا حكم، فكأنهم أصحاب أغنام، ولأن رعايتهم للناس سيئة على عكس الهاشميين، فهو يثبت السياسة لهم، وينفيها بأداة النفي (لا) عن خصومهم الأمويين، فهنا ذكر المشبه به، وحذف المشبه، وهم بنو أمية، لكنه يذكر ما يدل عليهم في البيت الثاني، ويصرح بأسماء الأعلام، وهم خلفاء بني أمية (عبد الملك بن مروان، الوليد بن عبد الملك، سليمان بن عبد الملك، هشام بن عبد الملك) بأنهم لا يصلحون للحكم، ولا يتساوون في القدر مع آل البيت، فعندما يصرح بأسمائهم، فهو يخصهم بهذه الصفة السيئة التي لا يشركهم فيها أحد، فكأن الشاعر هنا يذكر الحجة أولاً، وهي سوء الحكم، وعدم التمكن منه ثم يمثل لهذه الحجج بالأدلة، و البرهان ويضرب أمثلة، ويستخدم (الكاف) للتمثيل (لا كعبد المليك ولا كوليد ...)، وفي البيت الثالث نجد هناك استدعاءً لغوياً ،وبلاغياً؛ لدعم حجته من ناحية الضمائر، والتشبيهات .

رأيه ⟵ يعود الضمير على حكام بني أمية.

فيهم ⟵ يعود على الناس.

كرأي ذوي الثلة في الثائجات جنح الظلام، هنا يشبه رأيه برأي رعاة البهائم، فاستدل على الحجج بهذا الكلام:

● الثائجات: الضأن. جنح الظلام: عند الظلام.

[٧٢] الكميت، **هاشمياته**، ص٢٣.

١-إن بني أمية لا يصلحون للحكم؛ لأنهم ليسوا أصحاب سياسة وفي المقابل الهاشميون هم أفضل منهم للحكم.

٢-إن حكام بني أمية الذين ذكرهم يسيئون ولاية الرعية ولا يعرفون تدبيرها، إذ سوف تكون الأمة الإسلامية في خطر من حكمهم، فالأمان مع بني هاشم نفر الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣ –إنهم استغلاليون نفعيون، مايهمهم من الرعية إلا النفع المادي كنفع الراعي من رعيته.

وفي المقابل نجد النتيجة المضمرة لهذه الحجج: إن بني هاشم هم قادة هذه الأمة، وساستها، وأفضل من بني أمية في الحكم لرزانة عقولهم، وعلمهم بالسياسة، والحكمة في اتخاذ الأمور.

وسياق حجته تدخل في إطار (حجة المقارنة) لأن هناك نموذجين يقارن بينهما "والواقع أن الحديث عن الاحتجاج بالنموذج والاحتجاج بالنموذج المضاد متى اجتمعا في خطاب واحد يقودنا إلى الخوض في أسلوب حجاجي آخر هو (المقارنة) ".[٧٣]

نجد كلمة الساسة تتكرر أيضا عند الكميت بن زيد في مهاجمته للأمويين: **(الطويل)**

فيا ساستَا هاتوا لَنا من جوابِكم فَفِيكم لعَمرِي ذو أفانِينَ مِقـــــوَلُ

أأهلُ كتابٍ نَحنُ فِيهِ وأنتـــــمُ على الحق نَقضِي بالكتابِ ونَعدِلُ

فَكيفَ ومِن أنى وإذ نَحنُ خِلفَةٌ فَرِيقانِ شَتى تَسمَنُونَ ونَهْـــــزِلُ [٧٤]

"أراد ساسة الناس، يعني القيام بأمورهم وهذا أعلى جهة الهزء بهم"[٧٥]، فهو

---

[٧٣] الدريدي، **الحجاج في الشعر العربي القديم**، ص٢٤٨.

[٧٤] الكميت، **هاشمياته**، ص١٥٣.

[٧٥] نفسه، ص١٥٣.

يستهزئ ويعلن التحدي لهم بالجدال، ويسألهم وينتظر الجواب (هاتوا لنا جوابكم)، يتساءل ويستفهم من أين لكم هذا الحق؟ وكيف اقتصرتموه على أنفسكم من دوننا؟ ويدل على شدة استفهام الشاعر وتعجبه تتابع أدوات الاستفهام: فَكيفَ وأنى... لكم هذا الخير والرزق حتى أصبحنا فريقين: أنتم في سعة من أمركم ونعيم، ونحن الرعية في فقر وهزل."وفائدة الاستفهام على التركيب المعدول عنه تهويل وتضخيم إثم المخاطب وظلمه، فالاستفهام أكسب أصل المعنى معنى زائدا هو تضخيم الموقف وتقوية ذم الخصم"[٧٦]

استخدم الشاعر الأسئلة في حجاجه، ونحن نعلم أن للسؤال طاقة حجاجية، تثير النقاش، لأن سؤال الباث عادة ينتظر الجواب من الخصم، وهنا لابد للخصم من الجواب والدفاع عن أطروحته وصد الأطروحة المقابلة، وإلا أصبحت أطروحة الآخر هي الحقيقة، فذلك يستدعي جدالا ونقاشا وتبادل حجج وأدلة، ذكر ذلك محمد القارصي في نظرية المساءلة لميشال ميال***Michel Meyer*** :"لما كان الكلام إثارة للسؤال أو استدعاء له لزم أن يتولد عن ذلك نقاش يولد بدوره حجاجا، فالحجاج لديه محايث لاستعمال الكلام؛ لأن الكلام يتضمن بالقوة سؤالا يستمد منه دلالته، والحجاج لا يتصل بضرب من الخطابات مخصوص بل يشمل كل ضروب الخطاب الشفوي والمكتوب الأدبي وغيره".[٧٧]

ولسؤال الكميت بن زيد مفهومان أحدهما ضمني والآخر ظاهر: أما الظاهر فهو ظاهر السؤال لنا (من أين لكم هذا الرزق؟)، وأما المضمر فهو الغاية التي يقصدها الشاعر: إنكم حكام ظلم وجور، هضمتم حق غيركم، ولم تعدلوا بيننا وبينكم، بل

---

[٧٦] محمد مشبال، **خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، مقاربة بلاغية حجاجية**، ط١، عمان: دار كنوز المعرفة، ٢٠١٥، ص١٢٥.

[٧٧] محمد علي القارصي، مقاله ''البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار''، في كتاب **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**، ص٣٩٤.

استأثرتم بكل الخير لكم. والسؤال هنا ليس سؤال علم، ولكنه سؤال إقرار، يريدهم أن يقروا بفسادهم واستبدادهم وجهلهم بالسياسة والدين معاً.

وقد تحدث شعراء الشيعة عن ظلم بني أمية واستهدفوا هذه الصفة، وأكثروا منها في أشعارهم؛ لغاية أن ينفروا الناس من حكمهم، ويقنعوهم برؤيتهم السياسية، يقول أبو الأسود الدؤلي:

صبغت أميةُ بالدماء أكُفَّنا وطوت أميةُ دونَنا دُنيانا[٧٨]

استخدم كلمة صبغت وعدل عن غيرها؛ لأنها تدل على أن بني أمية قد غرقت أيديهم بالظلم كليا، فلا توجد مساحة للعدل عندهم، فالصبغة تلون اليد كلها. ويقصد بالدماء أنهم قتلوا أهل البيت وتورطوا في دمائهم، فهم تعدوا بذلك الحدود وتجبروا وطغوا حينما انتهكوا حرمة أهل البيت.

النتيجة: بنو أمية ظالمون؛ لأنهم قتلوا أحفاد الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، ليس من المنطق أن يبقوا في الحكم.

- **حجة تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له (fallacy of Division)**

هذه الحجة تشمل إطلاقَ حكمٍ ما على كل، ومن ثم يجر هذا الحكم على بقية أجزاء الكل المكونة له، مثل ما نجد عند بعض شعراء الشيعة، الذين يطلقون حكم الإمامة على جميع قريش، ثم نجدهم يجرون الحكم على علي وأبنائه رضي الله عنهم بحكم أنهم جزء من هذا الكل. وقد يستغل الباث هذه الحجة للتشويق والجذب، وذلك من خلال ذكر الكل في البداية مقدمة لحجته، مما يجعل المتلقي في تشوق لمعرفة ما هو قادم، مثل قول كثير عزة:

ألَا إن الأَئمةَ من قُرَيْشٍ وُلاةَ الحق أربعةٌ سـواءُ

[٧٨] الدؤلي، **ديوانه**، ص٣٧٦.

علي والثلاثةُ من بَنِيــــه همُ الأسباطُ ليس بهم خَفَاءُ [٧٩]

أراد كثير أن يلفت الانتباه إلى الحجة التي يريد أن يقولها، فعمل على صناعة مقدمة تسبق حجته، مرتبطة بها؛ ولأنه يعلم أن الأحزاب تتصارع على الخلافة، وكان بال الناس مشغولا بها، فكانت مقدمته تنبيها وإقرارا بالمعرفة حينما يقول :(ألا إن الأئمة من قريش...) فإن الناس تلتفت إليه تنتظر من هؤلاء الأئمة؟ بذلك يكون كسب النقطة الأولى وهي جذب السامع والتشويق لما هو قادم، ثم تأتي النقطة الأخرى وهي الإدلاء بالحجة بعد المقدمة والتنبيه إليها، "إذ بعد الظفر بالحجج والتفكير في مكونات الخطاب، لابد من التفكير في ترتيب تلك الحجج ووضع كل واحدة في المكان المناسب لها فيزيدها ذلك قوة في ذهن المخاطب، ...فالمطالع والمقدمات (Exord) مدعوة إلى استمالة الأعناق وحل السخائم وجلب ود السامع مع الزج به في غمرة القضية". [٨٠]

يقصد أن الإمامة لا تصح إلا لعلي وأبنائه رضي الله عنهم أصحاب الحق، ويرى أن هذا أمر مؤكد لا خفاء فيه ولا ريبة.

(تسلسل صناعة الحجة عند كثير)

الإمامة لمن تكون؟؛ لقبيلة قريش. من أحق الناس من قريش؟ هم أصحاب الحق والأقرب إلى الموروث –النبي محمد صلى الله عليه وسلم–: علي وأبناؤه.

إذن، نتيجة =الخلافة من حق علي وأبنائه رضي الله عنهم لا شك في ذلك، وتعد هذه الحجة أيضا من (القياس المدرج) الذي يقدم لنا قياسات منطقية مرتبطة ببعضها لتؤدي إلى نتيجة أكبر يقصدها الشاعر.

---

[٧٩] كثير عبد الرحمن، **ديوانه**، جمعه وشرحه إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، ١٣٩١هـ ، ص٢٥٠.

[٨٠] حمادي صمود، مقدمته''في الخلفية النظرية للمصطلح''، في كتاب **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية** ، ص١٦.

- **الحجج القائمة على الاحتمال:(The argumentation by the probable)**

وهي من الحجج التي تعتمد على معرفة الشخص سابقاً، كأن نقول: هذا ابن حاتم الطائي، إذاً يتوقع منه أن يكون كريماً.

نجد استخدام الشيعة لهذه الحجة في شعرهم كثيرا، خاصة في توقعات سياسة علي رضي الله عنه المستقبلية للدولة؛ لأنهم يثقون في علي رضي الله عنه ، ويرون فيه الكمال والمزية على البقية، يقول الكميت بن زيد: (**الوافر**)

بِمَرضِي السِيَاسَةِ هاشِمِـــيّ يَكُونُ حَيَاً لأُمتِهِ رَبِيعـا
ولَيثاً في المشَاهِدِ غَيرَ نِكسٍ لِتَقوِيمِ البَرِيةِ مُستَطِيعـــا*
يُقِيمُ أُمُورَها ويَذُب عَنهـــا ويَترُكُ جَدبَهَا أَبَداً مَرِيعا [٨١]

يتوقع الكميت بن زيد من علي رضي الله عنه سياسة الدولة بشكل جيد، فهو شجاع في المعارك، وسوف يقيم حدود الله، والعدل بين الناس؛ ذلك بأنه هاشمي من آل البيت يحتمل صدور هذه الأفعال منه، إذا حكم الدولة الإسلامية مستقبلاً.

- **حجة السخرية: (Argumentation of irony)**

استغل شعراء الشيعة طريقة بني أمية في توريث الحكم، وسخروا منهم، وجعلوها حجة عليهم؛ يستدلون بها على طمع بني أمية في السلطة، والسعي للحصول عليها بأي ثمن، والتمسك فيها بكل سبيل. يقول عبدُالله بن همّامٍ السلوليُّ: (**الوافر**)

● النكس: الجبان الردي، وهو السهم يُنكسُ فيجعل أسفله أعلاه.

[٨١] الكميت، **هاشمياته**، ص١٩٩.

فإنْ تأتوا بِرملةَ أَو بِهنـــــــدٍ نُـبـايِعْها أَميرَةَ مُؤمِنينـــــا

إذا ماماتَ كِسْرَى قام كِسْرَى نَعُدُّ ثَلاثَةً مُتَناسِقينـــــا

لَقد ضاعَتْ رعِيَّتُكُـــم وأَنتُم تَصيدونَ الأَرانِبَ غافِلينا[٨٢]

يتهكم الشاعر بطريقة توارث الحكم في البيت الأموي، ويقذع في السب، ويوغل في السخرية من بني أمية، ويصور لنا شدة تهافت بني أمية، وتهالكهم في طلب السلطة؛ والعض عليها بالنواجذ، والضرب في سبيل بقائها بكل صمصام نافذ؛ إلى درجة أنهم لو أعطوها البنات، وأمروهن على المؤمنين؛ سيبايع الجميع لهن؛ لا رغبةً، بل رهبةً وإكراهًا.

ثم ينحي باللائمة عليهم، وأنهم فارقوا هدي الإسلام في شورى الحكم، واتبعوا هدي كسرى فارس، كلما مات خليفة أقاموا من بنيه آخر–ولو كان زنديقًا منافقًا–.

وأنهم بسبب هذا النظام الكسروي الجائر؛ تلّوا مقاليد الحكم في أيدي من لا يحسن من أمر سياسة الرعية شيئًا، من شباب لاهٍ أضاع عمره في الصيد، وتتبع الأرانب، وضيع الأمة وشؤونها.

فهؤلاء الحكام يتميزون بالأنانية، ولا تعني لهم مصلحة الشعوب قليلًا ولا كثيرًا؛ فلا يستحقون إدارة حقوق الناس.

ووجه السخرية في الحجة:

١– إنهم من شدة عبوديتهم للخلافة؛ قد يورثونها نساءهم.

---

[٨٢] أحمد بن يحيى البلاذري، **جمل من أنساب الأشراف**، ج٥، ط١، تحقيق سهيل زكار، رياض زركلي بيروت: دار الفكر، ١٤١٧، ص٧٠.

٢- تشبيههم بنظام كسرى في توريث الملك؛ وفيه إشارة إلى التسلط، والتملك بغير وجه حق.

٣- ضياع الرعية في مقابل اهتمام الحكام بمتع الدنيا، وسفساف الأمور: مثل صيد الأرانب.

من خلال دراستي لشعر الشيعة وجدت كثيراً من الحجج الخاصة بالشيعة دون غيرها من الأحزاب، يرددونها في كل مرة يحتجون على الخلافة، فكان لابد من تخصيص صفحات للكشف عنها، إضافة إلى ذكر الخصائص التي امتاز بها الشعر الشيعي عن البقية.

_ أهم الحجج الخاصة بالحزب الشيعي:

أول ما يتبادر إلى الأذهان لماذا ركز شعراء الشيعة على هذه الحجج، حيث إننا نجدها في كل محفل للجدال، وما تلك الحجج الشيعية؟

أرى أن شعراء الشيعة رددوا تلك الحجج لغاية يسعون إليها:

أولاً: هذه الحجج هي تجديد لطاقتهم العاطفية، كلما شعروا بنقص انفعالهم، أثاروها كي تزيدهم حماسا وتمسكا بالقضية من جديد.

ثانياً: إن هذه الحجج يرددها الشيعة في كل حين؛ لترسيخها في ذهن المتلقي وجعلها من المسلمات المعترف بها، ونيل استعطافه مع القضية.

فهم يقصدون بترديد تلك الأدلة؛ لغاية تتصل بكل من الباث والمتلقي. ما هذه الحجج؟

تتشابه حجج الشيعة لأنها تدور في حلقة صلة آل هاشم بالرسول من ناحية الأرحام والوراثة، ونجد أن لهم عدة حجج أكثروا منها، مثل:

١-حجة الوصاية:

يزعمون أن الرسول أوصى بعلي من بعده وأوكل إليه الأمور ويستشهدون بيوم غدير خم، وهذه الحجة تأتي في الغالب مع تذكير بوجوب طاعة الرسول وقرابة الهاشميين منه، واستشهادات قرآنية، لتخويف المتلقي من عصيان أوامر الرسول. ومن أكثر الشعراء الذين ذكروا هذه الحجة في ديوانهم، السيد الحميري، يقول: (**الطويل**)

علي وصي المصطفى وابنُ عمهِ وأولُ من صلى ووحد فاعلمِ [٨٣]

السيد الحميري يربط الوصاية بحجة أقوى، وهي صلة الرسول بعلي، إضافة إلى فضل علي على بقية أبناء عصره وخاصة بني أمية لأنهم خصومه، فهو أول من استجاب للرسول ووحد الله. ويقول أيضا في حجة الوصاية: (**الطويل**)

عليّ أميرُ المؤمنينَ وحقّـــهُ من اللهِ مفروضٌ على كل مُسلم

لأن رسول الله أوصى بحقهِ وأشركه في كلّ فَيءٍ ومَغَنـــــمِ [٨٤]

يقول أيضا: (**الطويل**)

وأوصى إليه يومَ ولى بأمرِهِ وميراثِ علمٍ من عُرى الدينِ مُحْكَمِ [٨٥]

هنا إقرار منه بأن عليا هو أمير المؤمنين، ويحاول إثبات هذه الدعوة بحجة أن هذا الحق مفروض من الله، لماذا؟ لأن الرسول أوصى بحقه، وأشركه في كل الغنائم، فلابد من شريك الرسول أن يتسلم الحكم من بعده؛ لأنه وصيه ومساعده، ويكشف عن هذا الأمر في بيت يليه، يقول: (**الطويل**)

---

[٨٣] الحميري، **ديوانه**، ص١٥١.

[٨٤] نفسه، ص١٥٢.

[٨٥] نفسه، ص١٥٢.

وكان كهارونَ بنِ عمرانَ عندَهُ من المصطفى موسى النجيبِ المكــلمِ [٨٦]

أي إنه ساعده الأيمن في السراء والضراء، وتشبيه علي بهارون، والرسول بموسى عليهما السلام، كأنه يريد بذلك القرب الشديد الذي يتعدى أبناء العم إلى أبناء الرجل الواحد، وخاصة أن الرسول صلى الله عليه وسلم تربى فترة من عمره في حجر عمه أبي طالب، ومن المقتضى أن الأخ يرث أخاه في الحكم لذلك وجب الحكم لعلي من بعد الرسول عليه الصلاة والسلام.

يقول أيضا: (**الكامل**)

رجلٌ حوى إرثَ النبي محمدٍ قِسماً له من مَنزِلِ الأقســـامِ

بوصية قُضيت له مخصوصةٍ دونَ الأقاربِ من ذوي الأرحامِ

ولقد دعا العباس عند وفاتِهِ بقَبولها فأضج بالإعـــــدامِ

فحبا الوصي بها فقامَ بحقها لما حَباه بها على الأعمـــامِ [٨٧]

الشيعة يدعون إلى خلافة بني هاشم، ولكن هنا نجد السيد الحميري يخص عليا من بني هاشم لحجة (اختصاص الرسول صلى الله عليه وسلم له من بين الأقارب)، فنجد حجة أخرى مضمرة وهي: إن الرسول عليه الصلاة والسلام رأى توافر سمات القائد المسؤول في علي، لذلك خصه من دون أعمامه بني هاشم. ويقول أيضا في ربط حجة الوصية بطاعة الله ورسول:(**الوافر**)

أطيعوا الله رب الناس ربـــاً وأحمدَ والأولى المتأمرينـــا

فذلكمُ أبو حسنٍ علـــــي وسبطاهُ الولاةُ الفاضِلونـا

فقلت أخذتُ عهدَكم على ذا فكونوا للوَصي مُساعدينا

---

[٨٦] الحميري، **ديوانه** ، ص١٥٢.

[٨٧] نفسه، ص ١٥٦.

لقد أصبحت مولانا جميـــــعاً ولسنا عن وَلائكَ رَاغبينـا [٨٨]

يذكرهم بوجوب طاعة الله ورسوله، ويشير إلى الآية:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)[٨٩]، ثم يذكر أن علياً رضي الله عنه وصي الرسول صلى الله عليه وسلم، فكأنه يقدم لحجته بمقدمات دينية تحذيرية تخويفا من العصيان لأوامر الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم يذكر حجته وهي: إن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بمساعدة علي والأخذ بوصايته.

وقد ذكروا لفظ الوصي والولي بالاستشهادات السابقة كثيرا في أشعارهم لاسيما الكميت بن زيد يقول: (**الخفيف**)

والوَصِي الذي أَمَالَ التجُـــو بِي بهِ عَرشَ أُمةٍ لانهـــــــدامِ

والوَصِي الوَلِي والفارِسُ المِـــع لِمُ تَحتَ العَجاجِ غَيْرُ الكَهـــامِ [٩٠]

وقوله: (**الخفيف**)

ووَصِي الوَصِي ذِي الخُطةِ الفَصـ ـلِ ومُردِي الخُصُومِ يَومَ الخِصامِ [٩١]

يقول أبو الأسود الدؤلي: (**الوافر**)

أُحِب محمداً حُباً شـــــــديداً وعَباساً وحمزَةَ والوصيـــــــا [٩٢]

وكثير عزة يقول: (**الطويل**)

---

[٨٨] الحميري، **ديوانه**، ص١٦٣.

[٨٩] سورة **النساء**، آية ٥٩.

[٩٠] الكميت، **ديوانه**، ص٥٠٢

[٩١] نفسه، ص٥٠٥.

[٩٢] الدؤلي، **ديوانه**، ص١٥٣.

وَصِي النبي المصطفى وابنُ عمهِ وفَكاكُ أغلالٍ وَقَاضِي مَغـــارِمِ

أبى فَهو لا يَشرِي هُدًى بضَلالةٍ ولا يتقي في الله لَوْمَةَ لائِـــــمِ [٩٣]

٢-حجة حادثة الطف:

يرتبط وادي الطف في العراق بالحسين رضي الله عنه، حيث قتل هناك، فكانت تلك الواقعة عظيمة في نفوس الشيعة، أثرت قرائحهم الشعرية، ففاضت بالثورة و الانتقام من ناحية، ومن ناحية أخرى بالندم ورثاء ابن بنت الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأنهم يرون أنهم هم السبب في مقتل الحسين، حينما دعوه إلى الكوفة، ثم خذلوه بعدم نصرته واستجابة دعوته، فلما قتل أشعلت نيران الثورة في صدورهم، فلذلك نجدهم احتجوا بهذه الحادثة لإقناع الناس بالثورة، فأصبحت هذه الحادثة عالقة في أذهان الشيعة، يجددونها في كل عام إلى يومنا هذا، بالبكاء والرثاء بأشعار خاصة بهم تسمى (الحسينيات) يندبون بها الحسين ويلومون أنفسهم على خذلانه.

بعد هذه الحادثة حنقت النفوس على بني أمية وأكثر شعراء الشيعة من تكرار هذه الحجة تحريضا منهم على الثورة والانتقام لدم الحسين، وقد مزجوا هذه الحجة بالعاطفة الحزينة التي تحاكي الأفئدة، مصورين حال الحسين ورفاقه في ذلك اليوم، يقول أبو الأسود الدؤلي: (**الكامل**)

يا ناعيَ الدينِ الذي يَنْعى التقى قُم فانعَهُ والبَيتَ ذا الأستارِ

أبني علي آل بيتِ محمـــــــدٍ بالطف تقتُلُهـــم جُفاةُ نزارِ

سبحانَ ذي العرشِ العلي مكانُهُ أنى يُكَـــــابِرُهُ ذوو الأوزارِ

أبني قُشَيرٍ إنني أدعُوكُـــــــــمُ للحق قبلَ ضلالةٍ وخَســـارِ

قُودوا الجِيادَ لنَصرِ آلِ محـــــمدٍ ليكونَ سَهمُكم مع الأنصارِ

---

[٩٣] كثير، **ديوانه**، ص٢١٧.

كُونوا لهم جُنَناً وذُودوا عنهُـــم أشياعَ كُل مُنافقٍ جبّـــــارِ

وتَقدموا في سَهمِكم من هاشـمٍ خيرِ البَريةِ في كتابِ الباري

بهم اهتَديتم فاكفُروا إن شئتُـــمُ وهُمُ الخِيارُ وهُم بنو الأخيارِ [٩٤]

يدعو من ينعى الحسين رضي الله عنه أن يذهب إلى الكعبة ويبكي هناك، ويبدو لنا من هذا الطلب الخفية والتستر من بني أمية خوفا من بطشهم، فلم يستطيعوا أن يقيموا له العزاء جهاراً، ثم يتعجب من الذين قتلوا الحسين رضي الله عنه كيف يستطيعون أن يتحملوا أوزاره الثقيلة خاصة أنه حفيد الرسول عليه الصلاة والسلام، وينتقل إلى دعوة بني قشير للثورة والانتقام.

ترتيب حجة أبي الأسود الدؤلي:

١-نعي ورثاء= كسب ود السامع.

٢-تقديم الحجة وذكر حادثة الطف وصلة الحسين بالرسول عليه الصلاة والسلام وعظيم ذنبه= استعداد لتقديم الدعوة.

٣-الدعوة وهي الانتقام من المنافقين الجبارين، والجزاء يكون بعظم الثواب ورد الجميل؛ لأنكم نافحتم عن خير البرية الذي هداكم إلى الإسلام.

المفردات التي خدمت حجته:

يا ناعي الدين ، أبني علي آل بيت محمد.

نداء وتنبيه لمتلق خاص (شيعي) ولفظ الدين كناية عن الحسين رضي الله عنه، يريد تذكيرهم بأن الحسين من آل الرسول، فصلته بالدين أقوى من بني أمية.

أنى يكابر ذوو الاوزار: تعجب وإشارة خفية إلى تقديس الحسين رضي الله عنه ، وذنب الإساءة إليه عند الله كبير جداً.

---

[٩٤] الدؤلي، **ديوانه**، ص١٥٨.

أدعوكما للحق: ينعت دعوته بالحق وأنها هي الصواب، فيجب على كل مسلم الثورة من أجل الحسين رضي الله عنه.

خير البرية في كتاب الباري: إن الانتقام لهم هو الانتقام لله؛ لأن الله فضلهم في كتابه.

في كل كلمة ذكرها أبو الأسود الدؤلي نجد له مقصداً خفياً من خلفها يسعى إلى هدفه المرجو.

يقول الكميت بن زيد في حجة حادثة الطف: (**الطويل**)

ومِن أكبَرِ الأحداثِ كانَت مُصِيبَةً عَلَينا قَتِيلُ الأدعِياءِ المُلَحبُ

قَتِيْلٌ بِجَنْبِ الطف مِن آلِ هاشمٍ فَيا لكَ لَحْماً لَيْسَ عَنْهُ مُذَببُ [٩٥]

قتيل الأدعياء يقصد به الحسين رضي الله عنه، والأدعياء جمع دعي الذي ينسب إلى غير أبيه، يقصد به عبيد الله بن زياد الذي قتل الحسين رضي الله عنه. فكأن الشاعر يترك للمتلقي خيار تحديد موقفه من القاتل من خلال عقد مقارنة بين القاتل الذي لا نسب شريف له، والمقتول الذي ينتسب إلى أشرف الناس، فإلى أي صف تقف أيها المتلقي؟ ثم يعود إلى دفع المتلقي إلى اتخاذ موقف من القاتل بشكل خفي من خلال التحسر المحرض على الانتقام والأخذ بالثأر، (فيا لك لحما ليس عنه مذبب) فهو لم يدعُ إلى الثورة بشكل صريح ولكن يلمح إليها تاركاً للسامع اتخاذ القرار من خلال مقارنة الأنساب بين القاتل والمقتول.

٣–حجة وراثة الحكم وحقهم المسلوب:

هذه الحجة التي طالما تغنى بها شعراء الشيعة، وبرهنوا بها على أحقية الخلافة لعلي وأبنائه، يقول الكميت بن زيد: (**الطويل**)

---

[٩٥] الكميت، **ديوانه**، ص٥٤٢.

ولَكِن مَوارِيثُ ابنِ آمِنَةَ الذي بِهِ دانَ شَرقِي لَكُم ومُغَـــــــربُ

فِدى لَكَ مَورُوْثاً أبِي وأبُو أبِي ونَفسِي ونَفسِي بَعدُ بالناسِ أطيَبُ [٩٦]

يقول أيضا: (**الطويل**)

يَقُولُونَ لَم يُورَثْ ولَولا تُراثُه لَقَد شَرِكَت فِيهِ بَكِيلٌ وأرحَـــبُ [٩٧]

إن حق الوراثة لآل هاشم فقط، دون سائر الناس، ولو كان غير ذلك لوجدنا جميع القبائل طالبتكم بالحكم.

نرى تكرارا لفظيا صريحا (للحق) في شعر الشيعة، مقرونا أحيانا بضمائر تعود على بني هاشم، مثل قول ابن بشير الأنصاري في حق الهاشميين في الخلافة: (الطويل)

فما أنت والأمْرُ الذي لستَ أهلَهُ ولكْن وَلِي الحق والأمرِ هَاشِمُ [٩٨]

والبيت السابق للكميت:

بِحَقكُمُ أَمسَت قُرَيشٌ تَقُودُنا وبالفَذ مِنها والرِدِيفَيْنِ نُرْكَبُ

وقوله السابق:

يَرَونَ لَهُمْ فَضلاً على الناسِ واجباً سَفاهاً وحَق الهاشِمِيينَ أَوجَبُ

كل هذه ألفاظ صريحة، تندد بظلم بني أمية لبني هاشم واغتصابهم للحق، والتصرف بهذا الحق المسلوب، وإكراه الناس على قبول بيعتهم، وإيجاب طاعتهم، وممارسة هذا التصرف حتى مع بني هاشم أصحاب هذا الحق وورثته.

---

[٩٦] الكميت، **ديوانه**، ص٥٢٤-٥٢٥.

[٩٧] نفسه، ص٥٢٦.

[٩٨] النعمان بن بشير الأنصاري، **ديوانه**، تحقيق يحي الجبوري، ط٢، الكويت: دار القلم، ١٤٠٦، ص ١٣٩.

حجة الوراثة: نوعها ديني، عقلي. يحاور بها الشيعة أصحاب الدين والمنطق لكي يجمعوا تأييدهم لقضيتهم، بالجدال الديني تارة، وتارة أخرى بالقياس العقلي.

– الخصائص التي امتاز بها الشعر الشيعي عن بقية الأحزاب:

من خلال قراءة شعر شعراء الأحزاب، والنظر في الشعر الشيعي وجدت تميزه بعدة خصائص منها:

أولا: تأثرهم بالألفاظ الإسلامية، واستشهاداتهم القرآنية التي يدعمون بها حججهم مثل قول الكميت بن زيد السابق ذكره:

وَجَدنا لَكُم في آلِ حامِيمَ آيةً تَأَولَها مِنا تَقِـــــــي ومُعـــــرِبُ

وفي غَيرِها آياً وآياً تَتابَعَـــتْ لَكم نَصَبٌ فِيها لِذِي الشك مُنصِبُ

إشارة إلى الآيات السابق ذكرها.

وقول السيد الحميري في البيت السابق ذكره:

وكان كهارونَ بنِ عمرانَ عندَهُ من المصطفى موسى النجيبِ المكلمِ

"لما كان التزام الشيعة إسلامي الجوهر إلهي الطبيعة، فإن شعراءهم اقتبسوا من الفكر الإسلامي عامة، ومن القرآن خاصة كثيراً من الأبيات، بالمعنى حيناً، وبالمعنى والمبنى حيناً آخر، على النحو الذي مر بنا"[٩٩]

ثانياً: تصوير المآسي التي حلت بهم وببني هاشم؛ تقوية للحجة وإيضاحاً للفكرة، مثل تصوير عبد الله بن الحر في حادثة الطف حاله وهو يرى القتلى من الشيعة، يقول: **(الطويل)**

[٩٩] طليمات، الأشقر، **الشعر في العصر الأموي**، ص٦١٢.

وقفتُ على أَجداثِهم ومجالِهم فكاد الحَشَا ينفَضُّ والعينُ ساجمَه [١٠٠]

يصور لنا انفطار قلبه على قومه الذين قتلوا، فالحشا يغلي من الألم، والعين تسيل دمعها، يصف لنا اضطراب حاله من الداخل والخارج، من الداخل ألم القلب وانتفاضه، ومن الخارج دمع العين الذي انحدر لرؤية القتلى.

لقد كان أغلب تصوير قتلاهم مقرونا بحال مضادة لحال أعدائهم، مثل قول أبي دهبل الجمحي: (**الطويل**)

تَبِيتُ النشاوى من أميّة نُوماً وبالطفّ قتلى ما يَنام حَميمُـــــها [١٠١]

يعقد مقارنة بين حال القاتل الذي ينام بعمق وراحة، وحال المقتول الذي يئن ويتألم حتى فاضت روحه إلى الباري.

ثالثاً: الإكثار من مدح الهاشميين وذكر فضائلهم، وأكثر ما يخصونهم بصفات الدين والأخلاق الفاضلة، مثل قول أيمن بن خريم: (**الوافر**)

نهارُكُمُ مكابدةٌ وصـــــومٌ ولَيلُـــكُمُ صلاةٌ واقـــــــتراءُ

وَلِيتم بالقرآن وبالتزكـــــي فأَســـرعَ فيكمُ ذاكَ البـــــــلاءُ [١٠٢]

يقول السيد الحميري في مدح علي رضي الله عنه: (**الوافر**)

وأول مؤمنٍ صلى وزَكّـــــى بخاتَمِهِ على رَغمِ الكُـــــــــفورِ

---

[١٠٠] محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٥، ط٢، القاهرة: دار المعارف، د.ت، ص٤٧٠.

[١٠١] وهب بن زمعة الجمحي، **ديوانه**، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، ط١، النجف: مطبعة التضاد، ١٣٩٢،ص٨٦. وفي كتاب الأغاني (تبيت السكارى...) انظر علي بن الحسين الأصفهاني، **الأغاني**، تحقيق إحسان عباس، إبراهيم السعافين، بكر عباس، ج ٧، ط٣، بيروت: دار صادر،٢٠٠٨، ص١٠٥.

[١٠٢] الأصفهاني، **الأغاني**، ج٢٠، ص١٩٦.

وقد وجبَ الولاءُ له علينـــا بذلك في الجِهار وفي الضـــــميرِ [١٠٣]

رابعاً: سلك طرق الإقناع بالمنطق في أغلب أشعارهم.

خامسا: تنوع مواضيعهم ولم تختص فقط بمذهبهم، بل اشتملت أشعارهم على الغزل والهجاء والمدح من أجل التكسب وغيرها.

سادساً: تجويز الشيعة لأنفسهم مدح الأعداء من باب التقية، كما نرى الكميت بن زيد أخذ بها في آخر زمانه، يقول: (**مجزوء الكامل**)

أَبَنِي أُمَيةَ إِنكُـــــم أَهلُ الوَسائِلِ والأَواِمِـــر

ثِقَتِي لِكُل مُلِمـــــةٍ وَعَشِيرَتِي دُونَ العَشـائِرِ [١٠٤]

يقول أيضا: (**مجزوء الكامل**)

فالآن صِرتُ إِلى أمَية والأُمُورُ إِلى المَصـــــايِرِ [١٠٥]

سابعاً: الإقرار الصريح بحب بني هاشم رغم اضطهادهم في سبيل هذا الحب، يقول أبو الأسود الدؤلي: (**الوافر**)

أُحِبُهُمُ لحُب الله حـــتى أجِيءَ إذا بُعِثتُ على هَوَيّـــــا [١٠٦]

يقول الكميت بن زيد: (**الطويل**)

---

[١٠٣] الحميري، **ديوانه**، ص٩٧-٩٨.

[١٠٤] الكميت، **ديوانه**، ص١٣١.

١٠٥ نفسه، ص١٣٠.

[١٠٦] الدؤلي، **ديوانه**، ص١٥٤.

فَما لِيَ إلا آلَ أحمدَ شيعةٌ ومالِيَ إلا مَشعَبَ الحَق مَشعَبُ [١٠٧]

يرى أن التشيع لآل البيت من مسالك الحق التي يجب أن يطرقها، وقد صور لنا حال الخوف الذي يعانيه من الاضطهاد بسب حبه للهاشميين، يقول: (**الطويل**)

أَلَم تَرَنِي من حُبّ آلِ مُحمدٍ أروحُ وأغدُو خائِفاً أتَرقبُ

على أي جُرمٍ أَم بأيةِ سِيـــرَةٍ أُعَنّفُ في تَقرِيظِهِم وأُؤَنَّبُ [١٠٨]

أما عن أساليبهم، فقد مزج أسلوب الشعر الشيعي بين الحزن، والمنطق، والغضب، والندم، والعتب.

الحزن: يكون عند رثاء القتلى، وقلة حيلتهم أمام العدو، وتكون ألفاظهم عميقة الأسى صادقة العاطفة، سهلة واضحة المقصد.

الغضب: عند الدعوة إلى الانتقام والثورة، تكون ألفاظهم قوية، مؤججة للمشاعر والحماس للقتال.

المنطق: عند الحوار مع المتلقي، وإيضاح حقيقة دعوتهم، ومحاولة الإقناع بالفكر والعقل.

الندم والعتب: عند الحديث عن حادثة الطف، وخذلان الحسين رضي الله عنه.

وإذا أردنا أن نحصر أبرز حججهم ورؤيتهم السياسية من خلال الأشعار السابقة، فهي كالتالي:

---

[١٠٧] الكميت، **ديوانه**، ص٥١٧.

[١٠٨] نفسه، ص٥٣٦.

القضية الأساسية:

حق علي وأبنائه رضي الله عنهم في الخلافة.

الحجج التي أقيمت للتصديق بها:

١- علي رضي الله عنه وريث الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه من أقاربه.
٢- علي رضي الله عنه وصي الرسول عليه الصلاة والسلام.
٣- علي وأبناؤه رضي الله عنهم أصحاب دين وأخلاق ومثل عليا.
٤- علي رضي الله عنه صاحب حكمة وحنكة في قيادة أمور الدولة الإسلامية.
٥- علي وآل البيت رضي الله عنهم يعاملون الناس بالعدل والمساواة، وتوزيع خيرات الدولة بالعدل بين الرعية.

كانت تلك أبرز الحجج التي دار حولها الشيعة واستعانوا بها في شعرهم؛ لبيان رؤيتهم السياسية في أحقية علي للخلافة.

واقتطفنا من الشعر الشيعي ما استطعنا؛ لندرس حججه وصياغتها، والشعر الشيعي يتميز بوحدة الموضوع والهدف، خال من المطالع التقليدية، وأغلب شعراء الشيعة هدفهم ديني وليس ماديا؛ لذلك كانت عاطفتهم قوية غير مصطنعة، وحججهم قوية يأخذونها أحيانا من القرآن والسنة.

الفصل الثاني

(الحجاج في شعر الخوارج)

١) نشأة حزب الخوارج والتعريف به.

٢) تعدد مسمياتهم.

٣) أهم فرقهم ورؤيتهم السياسية.

٤) الحجاج في شعر الخوارج.

٥) خصائص الشعر الخارجي.

الخوارج في اللغة والاصطلاح:

جاء في لسان العرب: "الخروج نقيض الدخول. خرجَ يخرجُ خُرُوجاً ومخرجاً، فهو خارجٌ وخروج وخراج... وقوله عز وجل: (ذلك يوم الخروج)، أي يخرج الناس من الأجداث... والخوارج: الحرورية، والخارجية طائفة منهم لزمهم هذا الاسم لخروجهم عن الناس. التهذيبُ: والخوارج قوم من أهل الأهواءِ لهم مقالة على حِدَةٍ".[١٠٩]

أما الشهرستاني فقد عرف الخوارج بشكل عام لا يخص زمن علي رضي الله عنه فقط، يقول: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان".[١١٠]

وقال ابن حجر معرفاً بهم: "الخوارج الذين أنكروا على علي التحكيم وتبرؤوا منه ومن عثمان وذريته وقاتلوهم".[١١١]

وأضاف قائلا: "أما الخوارج فهم جمع خارجة، أي طائفة وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم عن الدين وخروجهم على خيار المسلمين".[١١٢]

الذي يهمنا في هذا البحث هم الخوارج الذين خرجوا على علي، واعترضوا على التحكيم، واستمر نشاطهم السياسي منذ عهد علي رضي الله عنه حتى الدولة الأموية.

---

[١٠٩] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة خرج، ص١١٢٥-١١٢٦.

[١١٠] الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج١، ص١١٤.

[١١١] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **هدى الساري مقدمة فتح الباري**، بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ج١، ط١، القاهرة: دار الريان للتراث، ١٤٠٧، ص٤٨٣.

[١١٢] نفسه، ج١٢، ص٢٩٦.

النشأة:

تعود نشأة الخوارج إلى معركة صفين، التي وقعة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، فلما حصل التحكيم بين الفريقين، خرجت مجموعة اعترضت على التحكيم وخرجوا على علي، سموا بعد ذلك بالخوارج.

هناك من يذكر أن ظهور الخوارج كان في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد شاركوا في الثورة عليه، وكفروه كما كفروا علياً، وأهل الجمل والحكمين، يقول شوقي ضيف: "ومن يتعقب الحوادث يستطيع أن يلاحظ ظهور حزب الخوارج منذ مقتل عثمان، فالذين ثاروا عليه من أهل العراق شاركوا في قتله يمكن أن نعدهم مقدمة هذا الحزب وبذوره الأولى، وقد اكتملت بعد مقتل عثمان والبيعة لعلي بن أبي طالب، حتى إذا رضى بالتحكيم هبوا في وجهه، كما هبوا سابقاً في وجه عثمان، وكفروا سلفه، محتجين بمثل قوله تعالى:(فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ) وقوله عز وجل :(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ). وقالوا لا حُكْم إلا لله، وكأنهم أرادوا أن يهاجروا عن الجماعة الضالة على نحو ما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم عن أهل مكة".[١١٣]

تعدد مسمياتهم:

تعددت أسماء الخوارج، ولكن الاسم الغالب عليهم (الخوارج)، وأطلق عليهم عندما خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وسموا بالمحكمة لأن شعارهم (لا حكم إلا الله)، وسموا بالحرورية لأنهم اعتزلوا علياً، وانسحبوا إلى حروراء.

وسموا بالشراة، لأنهم اشتروا الجنة في الآخرة، بأنفسهم ومالهم، وسموا بالمارقة لأنهم مرقوا من الدين، ولكنهم يرفضون هذا اللقب لأنهم لا يرون ذلك، ورضوا بجميع الألقاب الأخرى.[١١٤]

---

[١١٣] ضيف، **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، ص٨٧.

[١١٤] انظر الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج١، ص١٠٧. والشايب، **تاريخ الشعر السياسي**، ص٢٠٠.

أهم فرقهم[١١٥]:

ظهر حزب الخوارج في أول أمره قوياً متماسكاً بعيداً عن الأهداف الدنيوية وأطماع الخلافة، واستمر على هذا التماسك حتى سنة٦٥هـ عندما ذهبوا إلى مكة، لملاقاة عبد الله بن الزبير بزعامة نافع بن الأزرق، ليناصروه؛ لأنهم وجدوه يدين بدينهم، فلما تناقشوا معه، تبينوا أنه يخالف أفكارهم فانصرفوا عنه، وتفرقوا إلى عدة فرق نبين أهمها:

أ/ الأزارقة:

تنسب إلى نافع بن الأزرق من بني حنيفة، وكانت لديهم حماسة في الدفاع عن مذهبهم، وبعد ذلك تسلم قطري بن الفجاءة زعامة هذه الفرقة، وكان نشاطهم بالقرب من البصرة وفارس وكرمان، وتعد هذه الفرقة من أقوى الفرق وأكثرها عدداً وقوة.

أهم آرائهم وفكرهم السياسي:

١-تكفير علي رضي الله عنه، يقولون: إن الله أنزل في علي رضي الله عنه قوله:(وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ)[١١٦]

٢-تصويب عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي، يقولون: إن الله أنزل في شأنه (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ)[١١٧]

٣-تكفير عثمان، وطلحة وعائشة وابن العباس وسائر المسلمين معهم، وتخليدهم في النار.

---

[١١٥] انظر الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج١، ص١٠٦، ١٣٤.

[١١٦] سورة **البقرة**، آية٢٠٤.

[١١٧] سورة **البقرة**، آية٢٠٧.

٤-تكفير القعدة الذين يتخلفون عن القتال، والذين لا يهاجرون إليه أيضا حتى ولو كانوا على دينهم.

٥-جواز قتل نساء المخالفين وأطفالهم.

٦-إسقاط الرجم عن الزاني، وإسقاط حد قذف المحصنين من الرجال، مع وجوب الحد على قاذف المحصنات من النساء.

٧-تخليد أطفال المشركين في النار مع أبائهم.

٨-عدم جواز التقية، لا في القول ولا في العمل.

٩-القول: إن الكبائر والصغائر كفر، وإن مرتكب الكبائر كفر كفر ملة، خرج به عن الإسلام جملة، ويكون مخلداً في النار مع الكفار.

ب/ النجدات:

تنسب إلى نجدة بن عامر الحنفي، اختلف مع نافع بن الأزرق في مسألة: التقية، القعود، وقتل الأطفال.

كان نشاطهم في اليمامة، وحضر موت، والبحرين.

أهم آرائهم وفكرهم السياسي:

١-عدم تكفير القعود، وهو جائز ولكن الجهاد أفضل.

٢-إنكار قتل الأطفال.

٣-لا يحل الغدر بالأمانة.

٤-التقية جائزة إذا اضطر إليها.

٥-تكفير من قال بإمامة نافع بن الأزرق، ومن يخالفهم يدخل النار.

٦-إذا أخطأ المجتهد في الحكم فهو معذور.

٧-استحلال دماء أهل العهد والذمة وأموالهم في حال التقية.

٨-تحريم دماء المسلمين واغتصاب أموالهم.

٩-الزاني والسارق وشارب الخمر، غير مصر عليها، لا يخرج من الإسلام إذا كان على دين نجدة.

١٠-ارتكاب الذنب الصغير والكبير مع الإصرار عليه كفر.

١١-أجمعوا على أنه لا حاجة إلى إمام يحكمهم، إلا إذا ضاق عليهم الأمر فهو جائز، أن يقيموا إماماً.

ج/ الإباضية:

تنسب إلى عبد الله بن إباض التميمي، وكان مع نافع بن الأزرق ثم انفصل عنه لخلافات بينهما، وعرفت الإباضية بالاعتدال، وكان نشاطهم باليمن وحضر موت.

أهم آرائهم وفكرهم السياسي:

١-دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد، إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي.

٢-أجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم، وأباحوا الزواج منهم ووراثتهم.

٣-مرتكب الكبائر موحد لا مؤمن، فهو كافر بالنعمة لا بالعلة.

٤-لا يسمون إمامهم أمير المؤمنين، ولا أنفسهم مهاجرين.

٥-جواز تعذيب أطفال المشركين على سبيل الانتقام.

٦-إزالة أئمة الجور بكل الوسائل بالسيف وغيره.

د/ الصفرية:

تنسب إلى زياد بن الأصفر، وكان أيضا مع نافع بن الأزرق ثم انفصل عنه، وكان نشاطهم في الجزيرة والموصل.

وقد خالفوا النجدات والإباضية في أمور، ومن آرائهم وفكرهم:

١-إنهم لم يكفروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد.

٢-عدم إسقاط الرجم.

٣-عدم قتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار.

٤-جواز التقية في القول دون العمل.

٥-الزاني والسارق والقاذف لا يكفر ولا يعد مشركاً وإنما يسمى زانياً سارقاً قاذفاً.

٦-مرتكب الكبائر التي ليس لها حد مثل الصلاة والصيام كافر.

فرق الخوارج كثيرة ولكن اخترنا أهم أربع فرق وأشهرها، إضافة إلى أن هذه الفرق لها بصمة تاريخية، وأدبية، وسياسية في العصر الأموي.

ومن الأفكار العامة التي يشتركون فيها: إن الخلافة حق لكل مسلم كفء، يشترط فيه العلم والزهد والدين، فلا يشترط أن يكون عربياً ولا قرشياً ولا أموياً ولا هاشمياً.

يرون أن الخليفة يجب أن ينتخب بنزاهة عادلة وحرة، ويعترفون ببيعة أبي بكر وعمر وبداية حكم عثمان في السنوات الأولى، والتبرؤ منه في البقية، ويقرون بيعة علي رضي الله عنه قبل التحكيم أما بعده فهو كافر.

ويرون أن الحاكم إذا ظلم فإنه يجوز عزله أو قتله؛ لذلك لا يريدون الحكم القبلي حتى لا يكون له عصبة قوية، ويسهل عزله.

كانت هذه رؤيتهم العامة من الناحية السياسية، التي بنوا عليها حججهم في مقارعة الخصوم، وإقناع المتلقي، التي كانوا يبثونها في أشعارهم وخطبهم ومجادلاتهم، ينافحون عنها بشكل علني دون رهبة لأن أغلبيتهم لا يجوزون التقية.

ومن أشهر شعرائهم: قطري بن الفجاءة، مرداس بن أدية، عمران بن حطان، الطرماح بن حكيم، وغيرهم.

الحجاج في شعر الخوارج:

نجد في حجاج الخوارج على خصومهم استناداً قوياً على السلطة الدينية، والمقارنة بين الحق والباطل، والتهديد والوعيد، والحث على القتال والعنف، وبيع النفيس مقابل الجنة، فهذا الحزب الوحيد الذي لا يوجد لديه ميولٌ دنيوية، وإنما يسعون إلى الجنة، وإحقاق الحق، ولا يكون ذلك إلا من خلال اتباع أفكارهم، وتطبيق أحكامهم التي وضعها حزبهم واعتمدها.

فالحجاج الخارجي يتميز بالتقرير والمباشرة، والمحاج لديهم لا يهاب الخصوم ولا يعترف بالتقية ولا المداهنة؛ لأن طبيعتهم السيكولوجية تنبني على الشجاعة والجرأة والإقدام، ورخص الأنفس مقابل الدفاع عن رؤيتهم السياسية الدينية.

من الملاحظ أن حجج الخوارج قليلة، ولا نجد تنوعاً كثيراً فيها؛ لأن شعرهم الذي وصل إلينا قليل، إلا أنها لا تقبل الزيف والخداع، مثل حجج الأمويين التي زخرت بالسفسطة والمغالطة في سبيل إرضاء الحكام، وترتبط الرؤية السياسية عند الخوارج بالدين، لذلك نجد أغلب حججهم السياسية، دينية في الأصل، لأنهم ربطوا فكرهم السياسي بالدين من خلال نظام الشورى أو تحكيم الله في أمرهم، وكل النزاعات السياسية التي أحدثوها كانت من أجل الدين. حتى إن الباحث حينما ينظر إلى حججهم يشعر أنها دينية صرف، ولا تصطبغ بالسياسة إلا من خلال توجيهها إلى السياسيين فقط.

- **الحجج التي تستدعي القيم:(Arguments that call values)**:

هذه الحجج ذات الطابع الأخلاقي والقيم، عادة ما تخترق باب التوجيه manipulation والإرشاد إلى الصفات الحسنة، وتخفي هذه الحجة دائما حجة أخرى مناقضة، وهي الهجوم على الخصم واستهدافه من ناحية هذه القيم.

"والواقع أننا نستطيع تقسيم القيم إلى أصناف ثلاثة يتواتر استعمالها في مجالات الحجاج فنتحدث عن قيم كونية: valeurs universelles، وقيم التزام مجرد valeurs abstraites d'engagement، وقيم فعل محسوسة les valeurs concretes de l'action.

فالحجاج اعتمادا على القيم الكونية يعني استدعاء الخير والحق والجمال، واتخاذها مراجع في الكلام وخلفيات إليها يتأسس الرأي أو الموقف"[١١٨]، فكانت القيم الكونية أكثر حجج الخوارج.

نجد الحجج التي تستدعي القيم عند أبي بلال مرداس بن أدية، يقول: (**الطويل**)

وقد أَظهرَ الجورَ الولاةُ وأَجمعوا على ظلمِ أَهلِ الحقِّ بالغدرِ والكفْرِ

وفيك إلهي إن أردتَ مُغَـــيِّرٌ لكل الذي يأتي إلينا بنو صخـــرِ

فقد ضيّقوا الدنيا علينا بِرُحْبِها وقد تركونا لا نَقَرُّ من الذُّعـــــرِ[١١٩]

كما نرى فإن الخوارج أصحاب فكر ومبدأ، طبقوه على أنفسهم ونادوا به؛ لأنهم يرون أن من واجبهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لو كان ذلك النهي موجهاً إلى لحكام.

يتحدث الشاعر عن حكام بني أمية، وينعتهم بالظلم والجور، وأنهم يظلمون أهل الحق (الخوارج)، ومن خلال ثنائية العدل والظلم، نجد أن الخوارج ينفون عن بني أمية العدل، والأمانة، ويثبتونها لأنفسهم في المقابل، فلا بد أن يسندوا حجتهم بالقيم

---

[١١٨] الدريدي، **الحجاج في الشعر العربي القديم**، ص٢٧٠.

[١١٩] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ط٢، بيروت: دار الثقافة، د.ت، ص٥١.

الأخلاقية التي يجب أن يتصف بها الحاكم الحق، الذي يجب أن يختاره المسلمون بالشورى.

فخطاب الخوارج هنا يصور الفوارق الأخلاقية بين الفرقتين، وأنهم هم أهل الحق، ويصف خصومهم بالغدر والكفر، فلابد لهذا الحزب من مرتكز يرتكزون عليه في دعواهم فكانت تلك الصفات والقيم الأخلاقية المسلم بها.

يقول عمران بن حطان: (**البسيط**)

حتى متى لا نرى عدلاً نعيشُ به ولا نرى لدعاةِ الحقِّ أعـــوانا

مستمسكين بحقٍ قائمين بـــه إذا تلوَّنَ أهلُ الجَورِ ألـــوانا

يالَلرجالِ لِداءٍ لا دواءَ لـــــه وقائدٍ ذي عمىً يقتادُ عميانا[١٢٠]

يتساءل الشاعر بحسرة وكأن هذا الأمر قد طال عليهم، وهو غياب العدل عن هذه الدولة التي يعيشون فيها، وغياب دعاة الحق أيضا، وأنهم هم الذين تمسكوا بالحق وسط كثرة أهل الجور، كما أنه بدأ بتساؤل، وانتهى بتعجب من أتباع الدولة الأموية وحكامها الذين لا يفقهون الحكم، والناس تتبعهم عميانا، وهنا يصور الدولة الأموية وكأنها جهنم بالنسبة للخوارج؛ لأنها ملئت بالجور ومحاربة أهل الحق.

وللتعجب طاقة حجاجية جيدة، تفيد الإنكار الممزوج بالسخرية من هذا الواقع الذي رضي به هؤلاء الناس، وقد نعتهم بالعمى؛ لأنهم لا يدركون حقيقة حكامهم.

وأهم ثنائيات القيم والأخلاق في حجج عمران بن حطان:

القيادة، والعدل. – يقابلها الجور، وعدم التمكن من سياسة الدولة.

[١٢٠] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص١٤٧.

يتهم الحاكم بالتخبط وعدم حنكته وخبرته بالحكم، وكأنه يضمر حقيقة يريد من المتلقي استنتاجها، وهي:

إن هؤلاء القادة لا يتميزون بصفات الحاكم التي يرضاها الله ورسوله، وأنهم إذا استمروا في قيادتكم، سوف يجرونكم إلى جرف عظيم، لأنهم عميان عن الحق، فالعمى هنا مجاز، يريد العمى عن الحق والهدى، وليس عمى البصر.

ونرى أن أغلب حجج الخوارج تقوم على القيم والأخلاق؛ لأنهم كما ذكرنا يريدون مرتكزاً معنوياً يستند عليه فكرهم السياسي، وهذا المرتكز لابد أن يكون مقبولاً عند المتلقي، ومتفقاً عليه من قبل.

- **الحجة السببية: (Causal argument)**

أغلب الحجاج في جميع الأحزاب تدخل فيه الحجة السببية؛ لأنها تسوغ للموقف، فالشاعر عندما يذكر دعواه لابد من أن يفسرها للمتلقي، ويذكر أسباب تمسكه بهذه الدعوى أو محاربتها، فلابد من الإقناع الناجع ولا يكون إلا بتفسير الأسباب وذكرها؛ ليزيح الضباب عن رؤية المتلقي، ويتضح له الموقف، ثم يكون الدور على المتلقي؛ إما أن يقتنع أو يعترض على حسب درجة الإقناع في الحجج.

يقول عبد الله بن وهب الراسبي مرتجزاً:

أنا ابنُ وهبِ الراسبي الشاري

أَضربُ في القوم لأَخْذِ الثَّـأرِ

حتى تزولَ دولةُ الأَشـــــرارِ

ويرجعَ الحقُّ إلى الأَخيـــــارِ [١٢١]

[١٢١] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص٣١-٣٢.

نجد الشاعر ينبه إلى أطروحته من خلال الافتخار بالنفس وتأكيد انتمائه المذهبي، ثم يدعو إلى قتال بني أمية وأخذ الثأر منهم، لسببين:

- لإزالة دولة الأشرار.
- وإعادة الحق إلى أصحابه.

النتيجة = تطبيق رؤيتهم السياسية للحكم، وهي الشورى بين المسلمين، وخلع المغتصبين.

تلك هي الحجج التي بنى عليها دعوته، مؤملاً من المتلقي الاستجابة والاستنفار للقتال.

يقول أيضا في الحجة السببية: (**الطويل**)

نقاتلُكم كي تَلزَموا الحقَّ وحـده ونضربُكم حتى يكونَ لنا الحكـــمُ

إن تبتغوا حُكمَ الإلهِ يكنْ لكم إذا ما اصطلحنا الحقُّ والأمنُ والسّلْمُ

وإلا فإنَّ المشْـــــرفيَّةَ محْـــذِمٌ بأيديْ رجالٍ فيهم الدينُ والعِلـــمُ[١٢٢]

يبين سبب قتالهم لأعدائهم، من أجل الحق ومحاولة إصلاح شأن الحكام، فنجد حجته التفسيرية مشروطة هنا:

فعل الشرط	الأداة	جواب الشرط
القتال	كي	يلتزموا الحق
الضرب	حتى	يكون لهم الحكم السليم
اتباع حكم الله	وإلا	السيف بيننا

[١٢٢] **ديوان الخوارج**، تحقيق نايف معروف، ط١، بيروت: دار المسيرة، ١٤٠٣هـ، ص٨٧.

يقول أبو بلال مرداس بن أدية في الحجة السببية: (**الطويل**)

أَبَعدَ ابنِ وهبٍ ذي النزاهةِ والتقَى وَمَن خاضَ في تلك الحروبِ المهالكا

أُحبُّ بقاءً أو أُرجّي سلامـــــةً وقد قتلوا زيدَ بنَ حصنٍ ومالكـــــا

فيا ربِّ سلِّمْ نّيتي وبصـــــيرتي وهبْ لي التقى حتى أُلاقي أولئكـــا [١٢٣]

يقول الشاعر: إن الحياة لا تعجبه، بعد قتل أصحابه: ابن وهب، وزيد، ومالك وغيرهم؛ فلذلك هو يدعو الله أن يثبته على تقاه حتى يلقى أصحابه الذين هلكوا، فحجته السببية تتابعت أحداثها وترابطت محيلة إلى سبب معين.

تتابع الأحداث:

١-ابن وهب صاحب التقى قتل.

٢-والذين خاضوا الحرب معه قتلوا.

٣-زيد بن حصين ومالك قتلا.

السبب المضمر: دفاعاً عن مذهبهم، وتمسكاً بمبدئهم ودينهم.

النتيجة: يجب أن أصمد على مذهبي حتى ألقى أصحابي.

يقول أحد الخوارج في قتال حكام بني أمية: (**الطويل**)

أَقودُ جيادَ الخيلِ قُباً بطونَهَـا أُرَجّي ثوابَ الله يومَ التخاصم

[١٢٣] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص٤٨-٤٩.

إلى ابنِ زيادٍ خَيَّبَ الله سَعْيَهُ إلى شَرِّ والٍ من مَعَدٍ وحاكِم [١٢٤]

يذكر لنا تتابع الأحداث في حجته محيلاً إلى سبب مهم في نظرهم:

١-يقود الجياد ضامرة بطونها (حدث).

٢-قتال ابن زياد شر والٍ وحاكم (حدث).

٣-يرجو ثواب الله عند الحساب (سبب).

الحجة السببية قد تكون حدثاً واحداً وسبباً، وقد تكون أحداثاً وسبباً، أو أحداثاً وأسباباً تخدم أطروحة واحدة.

- **حجة الاستحقاق: (Argument of merit)**

حجة الاستحقاق هي فرع خارج من الحجج التي تستدعي القيم، فهي تجمع كل أصناف القيم من صدق، وأمانة، وعفة، وشجاعة، ومخالفة هذه القيم تستوجب نتيجة وعقاباً؛ لذلك ولدت حجة الاستحقاق من مخالفة هذه القيم، "ومدارها على تقويم حدث معين، أو موقف محدد تقويما قيميّا عاما، فيعتبر حصيلة ظروف معيّنة ونتاج أمور متظافرة أدّت إليه بصورة منتظرة وأفرزته بشكل يوافق طبيعتها، وبموجب هذه الحجة نقوّم ما تعرّض إليه أحدهم فنقول: (إنه نال ما استحقه) ونخاطب شعباً ما بقولنا: (كما تكونون يولّى عليكم) ونتحدّث عن قوم آخرين فنقول (إنهم يحصدون ما كانوا زرعوه) وعلى هذا النحو تبدو هذه الحجة طريقة في استدعاء القيم ملزمة جداً؛ أي إنها حجة يعسر ردها؛ إذ إن القول: إن فلانا قد نال ما استحقه، من شأنه أن يغلق المنافذ أمام حجاج مضادّ وأن يقطع الطريق أمام المتلقي الشاك المتردد أو المعارض المندد"[١٢٥]، مثل

---

[١٢٤] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص١٨٦.

[١٢٥] الدريدي، **الحجاج في الشعر العربي القديم**، ص٢٨٢.

قول زيد بن جندب حين نشب الخلاف بين الأزارقة فخلع بعضهم قطري بن الفجاءة وعينوا عبد ربه الصغير، مما أضعفهم وجعل المهلب يقاتلهما، يقول: **(البسيط)**

قل للمحِلين قد قرت عيونكـــمُ بفُرقة القومِ والبغضـــــاءِ والهرَبِ

كنا أُناساً على دين ففرقَنَـــــا طولُ الجِدال وخَلْط الجِد باللعــبِ

ما كانْ أغنى رجالاً ضّل سعيهُم عن الجِدال وأغناهُمْ عن الخُطَــبِ [١٢٦]

يخاطب بني أمية ويهنئهم بالفوز على هذه الفرقة المتناحرة؛ لأنهم استحقوا الخسارة عندما دب الخلاف بينهم، ولم يلتزموا بالوحدة والتفاهم، وإنما حصل جدال وتناطح بعد أن كانوا عصبة واحدة يصعب على العدو اختراقها.

القيمة التي خالفوها ↔ الوحدة والتعاون.

النتيجة ↔ استحقاق الهزيمة والتشتت.

- **حجة البرهان ذو الحدين:(Dilemma)**

هذه الحجة تعود إلى حجة تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له، وهو كما يعرفه برلمان: "شكل من أشكال الحجج، يتناول فرضيتين؛ ليستنتج أنه سواء وقع الاختيار على الأولى أو الثانية نصل إلى الفكرة نفسها أو الموقف ذاته؛ ذلك لأحد الأسباب التالية: إما لأنهما تقودان إلى النتيجة ذاتها، أو أنهما تقودان إلى نتيجتين لهما نفس القيمة". [١٢٧]

نجد هذه الحجة عند الخوارج دائما تتردد في مسار الموت، لأن رؤيتهم ترى وجوب القتال حتى الموت مقابل تحقيق أحلامهم السياسية، لذلك يجعلون المتلقي يدور

---

[١٢٦] عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج١، ط٧، القاهرة: الخانجي للطباعة والنشر،١٤١٨، ص٤٢.

[١٢٧] برلمان، **مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة**، ص٣١٨. نقلا عن الدريدي، **الحجاج في الشعر العربي القديم**، ص٢٠٩.

في الدائرة نفسها، وهي دائرة الموت الذي لا مفر منه، كلما تحدثوا عن الدنيا وترفها، والقتال والمعارك، فإنها كلها ستؤدي بك أيها المتلقي إلى الموت؛ لأنك لست مخلداً، لذلك اختر لك نهاية جيدة، توصل إلى الحياة الأبدية (الجنة)، وكل ذلك من أجل تحطيم حاجز الموت ورهبته، وتحفيزهم على القتال، يقول عمران بن حطان: (**المنسرح**)

من لم يمت عَبطَةً يمتْ هرماً الموتُ كأسٌ والمرءُ ذائقُهـــا

ما رغبةُ النفسِ في الحياةِ وإنْ عاشت قليلاً فالموتُ لاحقُها

وأيقنتْ أنها تعودُ كمـــــا كان براها بالأَمسِ خالقُهـا

وأن ما جَمعَتْ وأعجبهـــا من عيشها مَرةً مفارقُهـــا

وصدَّها للشقاءِ عن طلــب الجنَّةِ دنيًا الهمُّ ماحقُهـــا

يوشكُ من فرَّ من منيتــِه في بعض غِراتِهِ يوافقُهـــا[١٢٨]

يناقش عمران بن حطان حقيقة الموت بشكل منطقي، فهو يتحدث عن دورة الحياة المنتهية بالفناء، لأن الله يقول:(كُل نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ)[١٢٩] وصدق على ذلك فناء الأمم السابقة، فكل كائن حي سوف يموت، ولن يشفع له شبابه أو ماله أو نسبه، ومن ينجُ اليوم من الموت فسوف يلقاه غداً، وهكذا هي الحياة، فلذلك أيها المتلقي: تفكر في أطروحتي وأيقن أن لك نهاية فاختر الطريق الصحيح لتنجوَ من النار، والخوارج يرون أن النجاة من النار لابد أن تكون في إتباع مذهبهم، يقول الطرماح بن حكيم: (**المنسرح**)

لقد شَقِيتُ شقاءً لا انقطاعَ لهُ إن لم أفزْ فوزةً تُنجي من النـــارِ

والنارُ لم ينجُ من روعاتها أحدٌ إلا المنيبُ بقلبِ المخلصِ الشَّاري [١٣٠]

---

[١٢٨] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص١٧٠-١٧١.

[١٢٩] سورة آل **عمران**، آية١٨٥.

[١٣٠] الطرماح بن حكيم، **ديوانه**، تحقيق عزة حسن، ط٢، بيروت: دار الشرق العربي، ١٤١٤، ص١٦٥.

دعوتهم هنا تأتي من باب الأمر بالمعروف والتوجيه، ولكي يقتنع المتلقي بدعوتهم صاغوا له مقدمة عقلية عن الموت وحقيقته، حتى يتأثر وتلين نفسه ثم يقتنصوا الفرصة بعرض الأطروحة، وهي الجهاد في سبيل الله، وترك ملذات الحياة ومقاتلة دولة الأشرار المخالفة لأحكام الإسلام وتكون النتيجة: جنة عرضها السماوات والأرض، ونجاة من النار التي لا تبقي ولا تذر.

وكأنهم في دعوتهم تلك يعرضون على المتلقي خيارات عدة، ويتركون له الخيار، لأنهم على يقين أنه سوف يختار النجاة من النار، خاصة أنهم أخبروه أن الموت سوف يأتيه وهو بيد الله، لا القتال يعجله، ولا البقاء ينجيهم، يقول البهلول بن بشر الشيباني في ذلك: (**البسيط**)

من كان يكرهُ أَن يلقى مَنِيتَهُ فالموتُ أَشهى إلى قلبي من العَسَلِ

فلا التقدمُ في الهيجاءِ يُعجِلُني ولا الحِذارُ يُنجّيني من الأجـــــل [١٣١]

هنا بطريقة أخرى يعالج الخوف من الموت؛ ليدفع المتلقي بالتسليم بالأمر ونبذ الجبن، لأن المصير واحد وهو القبر، ولكن عليك اختيار الطريق الذي تتبعه إلى هذا المصير، فماذا تريد أن يكون حالك عليه بعد الموت؟

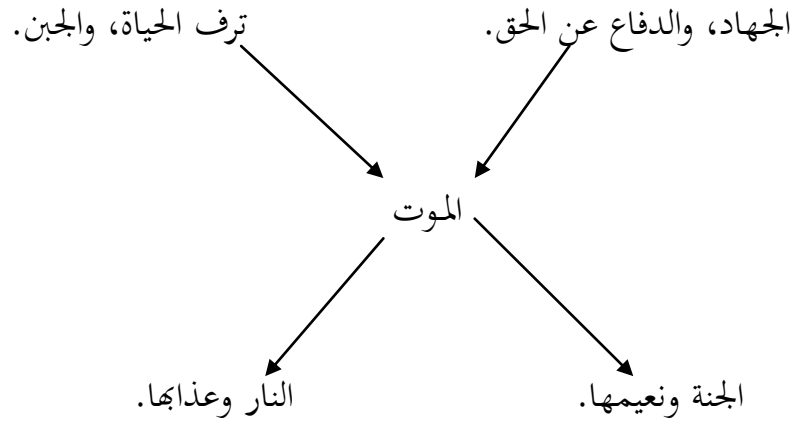

[١٣١] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص٢٠١.

من الذكاء أن يفكر الخارجي بترك الخيار للمتلقي بعد أن وضح له السبيلين: مخاطر هذا، ومحاسن الأخر، فقد رغّب ورهب، وترك الخيار معلقاً بعد عرض المقدمات التي توحي باليأس من الحياة ونعيمها الزائل؛ لذلك هو اختار طريق الجهاد، وسكت عن المتلقي، وكأنه يسأله: وأنت ماذا تختار؟

يعد الموت عند الخوارج "مطهراً حقيقياً للنفس تبعث بعده نقية من آثام الحياة، وإذا كانت الظروف القائمة لا تسمح بانتصار الخوارج، فإن الموت يروق لهم، كأنه المخلص الوحيد من سوء الواقع، وهذا الموت ذو مضمون إيجابي، لأنه لم يكن هروباً من مواجهة الحياة، بل كان سعياً متواصلاً لإحلال قيم الحق والعدالة".[١٣٢]

في كل حجة ندرسها سوف تكشف لنا عن عقلية الخارجي وصفاته، فحججهم ترسم لنا مبادئهم الفكرية والمذهبية، وتصور لنا واقع أمرهم وما تعانيه أنفسهم من رفض وامتعاض لطريقة الحكم وتوريثه.

يوجد جناس بديعي بين (شقيت) و(شقاء)، و(أفز) و(فوزة)، وهذا الجناس يخدم حجته من ناحية التأكيد، وفي البيت الثاني نجد تقديماً وتأخيراً في قوله (النار) حيث قدم المسند إليه من أجل التنبيه، وإدخال الرهبة إلى قلب المتلقي، وأخر (أحد) وهو فاعل للفعل (ينجُ) المجزوم، وقدم عليه الجار والمجرور لإفادة التخصيص؛ كل ذلك من أجل تقوية الصورة في ذهن المتلقي، ولفت الانتباه.

- **حجة السخرية**:(**Argumentation of irony**)

تعد حجة السخرية من أفانين الإقناع؛ لأن أسلوبها الساخر يجعل من الخصم أضحوكة عند المتلقي، وبذلك تقل هيبة الخصم وتلتصق به هذه النقيصة.

---

[١٣٢] أحمد معيطة، **الإسلام الخوارجي**، اللاذقية: دار الحوار، ٢٠٠٠، ص٨٩.

عندما أقول لشخص: (إنك حقا شجاع)، فهذه الجملة تعتمد على السياق والأسلوب، فهي تحتمل وجهين: إما أنه فعلاً شجاع، وإما أنه عكس ذلك جبان؛ ولكن عندما نقولها ونقصد النقيض، تكون مؤثرة أكثر من وجهها العادي، لأننا نترك للسامع استقصاء المخفي، وترتكز أكثر في الذهن حينما يكتشفها بنفسه، على عكس الحجة المباشرة الإلقائية، التي لا تجعل للسامع دوراً سوى التلقي دون تحريك الفكر، مما يفقد هذه الحجة متعتها.

"إن تعريفات السخرية كثيرة إذ يعتبرها البعض صورة من الصور المجازية تسمح بقول ما هو مختلف عما نراه في حين يعدها آخرون شكلاً من أشكال استرجاع صدى أفكار أو ملفوظات يريد المتكلم أن يشير إلى تهافتها، غير أن ما يهمنا من أمرها تحديداً هو صلتها بالحجاج أو بعبارة أوضح: كيف توظف السخرية توظيفا حجاجيا؟ أين يكمن الحجاج في السخرية؟".[١٣٣]

نجد الخوارج يوجهون حجج السخرية إلى الذين يلهثون وراء المال والدنيا، والراضين بحكم بني أمية؛ لأنهم يرونهم ظالمين وجاهلين، ويسخرون أيضا من هؤلاء الحكام وينعتونهم بالجبن، مثل قول عمران بن حطان مخاطباً الحجاج: (الكامل)

أسدٌ علي وفي الحروبِ نعامـةٌ ربداءُ تُجفِلُ من صفير الصافرِ

هلا برزتَ إلى غزالَة في الوغى؟ بل كان قلبك في جناحَي طائر

صَدَعَت غزالةُ قَلبَهُ بفـوارسٍ تركت منابره كأَمسِ الدابـر

ألقِ السلاحَ وخذ وشاحَيْ مُعصِرِ واعمد لمنزلةِ الجبانِ الكافـر [١٣٤]

يسخر عمران بن حطان من الحجاج؛ لأنه يطلبه ويهرب منه إلى أن مات، فحصل أن غزالة الحرورية وهي خارجية دخلت على الحجاج هي وشبيب بن يزيد

---

[١٣٣] الدريدي، **الحجاج في الشعر العربي القديم**، ص١٦٤.

[١٣٤] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص١٦٦.

بالكوفة، فتحصن منها وأغلق قصره عليه، فكتب عمران إلى الحجاج يسخر منه وقد لج في طلبه.

حجة السخرية قريبة من حجة التمثيل، إلا أنها تختلف في الغاية، فحجة السخرية عندما تشبه وتمثل، فإن المغزى هو التهكم، والتنقص من الآخر؛ أما حجة التمثيل، فإن غايتها تقوية الصورة وتوضيحها، وارتكازها في الأذهان.

يخاطب الشاعر الحجاج بشكل مباشر، ويعيره بالجبن، ثم يسأله باستهزاء: لماذا لم تخرج إلى غزالة وقت الحرب؟ ولم يتنظر منه إجابة، بل توقع حاله وأجاب عنه: لأن قلبك مثل قلب طائر من الخوف الذي حل به؛ وجاءت أداة (بل) التي لها وظيفة حجاجية مهمة تربط بين حجتين، ولكن الحجة الأقوى هي الواقعة بعد (بل)، وعادة ما تخدم نتيجتين متضادتين، والنتيجة المضادة هي المستعملة.

الأطروحة: قواد بني أمية ضعفاء، فالحجاج كان أعظم قوادهم، وهو جبان.

الحجة: عندما حاصرته امرأة خارجية، هرب وأغلق قصره عليه.

المقتضى: إن بني أمية يستفحلون ويزعمون القوة.

يقول عمران بن حطان في حجة السخرية عندما سمع بعض الجند يقولون: ومالنا لا نقاتل الخوارج؟ أليست أعطياتنا دارّة. فقال يسخر منهم: (**الطويل**)

فلو بُعِثَت بعضُ اليهودِ عليهمُ يؤمّهم أو بعضُ من قد تنصّـــــرا

لقالوا رضينا أَنْ أَقمتَ عطاءَنا وأَجريتَ ذاك الفرضَ من بُرّ كسكرا[١٣٥]

هذه الأبيات تحتمل حجتين: حجة الاحتمال: أن يحتمل منهم أن يرضوا بإمامة اليهود والنصارى؛ لأنهم لا دين لهم ولا أخلاق وأصحاب رشاوٍ. وتحتمل أيضا حجة السخرية منهم؛ لأن كل ما يريدونه جمع المال، حتى لو حكمهم اليهود والنصارى.

[١٣٥] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص١٥٧.

المقتضى = المؤمن الحق يسعى إلى الآخرة ببيع الدنيا وزينتها.

وتهكم عيسى بن فاتك عندما أرسل عبيدالله بن زياد، أسلم بن زرعة التميمي في ألفي رجل، يقاتلون أبا بلال مرداس بن أدية ومعه أربعون من أصحابه بآسك. وقاتلوهم وانتصر الخوارج وهم أقل عدداً على جنود أسلم، ورجع إلى البصرة خائباً. فقال عيسى بن فاتك ساخراً: (**الوافر**)

فلَمّا أصبَحوا صَلّوا وَقامـــوا إلى الجُردِ العِتَاقِ مُسَوِّمينـا

فلَمّا استجمعوا حَمَلوا عليهِـم فظَلَّ ذوو الجَعائلِ يقتُلونـا

بَقِيةَ يومِهِم حتى أَتـــاهُـم سَوادُ الليلِ فيهِ يُراوغونـــا

يَقولُ بصيرُهُم لما رَآهُـــم بأَن القومَ وَلّوا هارِبينـــا

أألفا مُؤمنٍ فيما زعَمتُـــم وَيَهزِمُهُم بآسِكَ أربَعونـا؟

كذبتُم ليسَ ذاكَ كما زَعَمتُم ولكنَّ الخوارجَ مُؤمِنونـــا

هُمُ الفِئةُ القليلةُ غيرَ شـــكٍ على الفئةِ الكثيرةِ يُنصَرونا [١٣٦]

يسخر الشاعر من خسارة جنود العدو على الرغم من كثرة عددهم مقابل عدد الخوارج، ويتساءل بتعجب وسخرية بأداة الاستفهام (الهمزة):

أألفا مؤمنٍ فيما زعمتـــم ويهزمهم بآسك أربعونـا؟

أي لو كانوا مؤمنين حقاً لما هزموا من فئة قليلة جداً، بل على العكس، الخوارج انتصروا رغم عددهم الضئيل؛ وذلك يدل على إيمانهم ووحدتهم فنصرهم الله ضد الأعداء، (هم الفئة القلية غير شك...) يؤكد حجته حتى لا يدع للمتلقي مجالاً للشك والتردد، وفي هذه الحجة تناص ديني مع سورة البقرة، وتوظيف لحجة نقلية يؤمن بها المتلقي وتشكل جزءاً من وجدانه، فالشاعر يشير إلى قوله تعالى:(كَم من فِئَةٍ قَلِيلَةٍ

[١٣٦] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص٥٤.

غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بإِذْنِ الله والله مَعَ الصابِرِينَ)[١٣٧]، واستحضار تاريخي لمعركة بدر التي وقعت بين المسلمين وهم فئة قليلة، وبين المشركين وهم الفئة الكثيرة، فغلبت الفئة القليلة المؤمنة، الفئة الكثيرة المشركة؛ لأن الله نصرهم بإيمانهم ووحدتهم وصبرهم؛ ولأنهم يكفرون بني أمية ويرون أنفسهم مؤمنين، يعتقدون أن الله نصرهم على الكافرين مثل معركة بدر.

نتبين من الحجة:

- إن الخوارج أقوياء بإيمانهم وإن قل عددهم.
- إن بني أمية ضعفاء على الرغم من كثرة عددهم، لأنهم كافرون.

ن = إن الله مع الخوارج ينصرهم؛ لأنهم أصحاب حق وإيمان.

نرى أنه ينقض حجتهم ويردها عليهم، بأنهم كاذبون لا يتصفون بالإيمان، ويثبت هذه الصفة للخوارج بأداة (لكن) التي فصلت بين نقيضتين فأبطلت الأولى وأقرت الأخرى، "ونشير إلى أن هذه الأداة بنوعيها المخففة والمثقلة، الحجاجية والإبطالية، تعبر دائما عن معنى التعارض والتنافي بين ما قبلها وما بعدها".[١٣٨]

يقول حارثة بن صخر القيني: (**الوافر**)

تمنانا ليلقانا زيـــادٌ سَفَاهاً والمنى طُرُقُ الضـــــلالِ

فقلنا: يا زيادُ دعِ الهوينا وشمّر لا أَبا لكَ للقتـــــــالِ

فإنا لا نَفِرُّ من المنــايا ولاننحاشُ من ضَربِ النّصالِ

ولكنا نقيمُ لكم طعاناً وضرباً يختلي هامَ الرجـــــال[١٣٩]

أوجه السخرية في الأبيات:

---

[١٣٧] سورة **البقرة**، آية٢٤٩.

[١٣٨] العزاوي، **اللغة والحجاج**، ص٦٠.

[١٣٩] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص٤٧.

– الأماني فقط وعدم المواجهة الحقيقية من صفات الجبناء.

– تعريضُه بنسب زياد ابن أبيه وهو ما يُفهم من قوله: (لا أبا لك)، وفي هذا تهكم شديد وسخرية جارحة تَغيظ الخصم.

وعندما يقول:

فإننا لا نَفِرُّ من المنايـــا ولا ننحاشُ من ضَربِ النّصالِ

كأنه يضمر حجة ضد الخصم، وهي عكس حجته الظاهرة: أنتم جبناء تفرون يوم الزحف، وتخشون من الموت.

يتوقع من المتلقي أن يتأمل حال حكامه الذين رضي بهم، فهم ضعفاء، وليس لهم نسبٌ واضح، والنسب عند العرب مهم جداً، خاصة في العصر الأموي الذي أوقد نار القبلية من جديد، لذلك نجد الشاعر يطعنهم في خاصرتهم.

– **حجة الاتجاه:(Argument of direction)**

حجة الاتجاه تكون عند الخوارج من خلال اعتراضهم على واقعهم الذي إذا لم يتخذوا موقفاً حازماً تجاهه، فإنه سوف يقودهم إلى مالا تحمد عقباه، فحجة الاتجاه ترفض الأمر ليس لأنه سيئ، ولكن خوفاً مما يؤول إليه.

نرى معاذ بن جوين الخارجي يحث الخوارج بعد أن سجن هو وأصحابه، على مغادرة أرض الجهالة، أرض بني أمية: (**الطويل**)

ألا أَيها الشارون قد حان لامرئٍ شَرَى نفسه لله أن يترحـــــلا

أَقمتمْ بدار الخاطئين جهالـــــةً وكل امرئٍ منكم يُصادُ ليقتـــلا

فشدوا على القوم العداةِ فإنمـــا إقامتكم للذبح رأَياً مضـــــللا

أَلا فاقصدوا يا قوم للغاية الـــتي إذا ذُكِرَت كانت أَبر وأَعـــدلا

فيا ليتني فيكم على ظهر سابحٍ شديدِ القُصَيرى دارعاً غيرَ أَعزلا

ويا ليتني فيكم أُعادي عدوكُـم فيسقيَني كأَسَ المـــــــنيةِ أولا

يعز عليَّ أن تُخَافوا وَتُطردوا ولما أُجَردّ في الُمحِلينَ مُنصُلا [١٤٠]

استهل حجاجه نداءً للشراة وهو أحد ألقابهم، فبعد النداء والتنبيه عرض أطروحته، وهي الرحيل عن بلاد بني أمية؛ لأنه إذا طال بقاؤكم دون قتال، فسوف يذبحونكم أو يطردونكم، ويحثهم على الجهاد والتسابق إلى الموت من أجل الوصول إلى الغاية الكبرى، ويعود مرة أخرى إلى الواقع الذي يعيشونه في بلاد بني أمية ويخبرهم بأنه يخشى عليهم أن يطردوا، ولا يريد أن يراهم خائفين من أعدائهم، وكأنه يريد من قومه أن يبدؤوا بالمبادرة، ويباغتوهم بالقتال، فلا بقاء مع ذل وانتهاك للكرامة.

وسياق حجة الاتجاه عند معاذ بن جوين:

إن بقاءكم في ديار بني أمية ليس سيئا، ولكن طول البقاء قد يؤدي إلى نتيجة سلبية، وهي قتلكم واستحلال دمائكم.

لذلك: يجب عليكم القتال من أجل كرامتكم ودينكم؛ لأنه لا يريد أن يرى قومه خائفين؛ يترقبون الموت، بل يريد أن تكون لديهم الشجاعة للبدء بالمواجهة، حتى لا يقال إنهم نكلوا بالخوارج، ولئلا يُشمِتَ بهم الأعداء.

الشاعر هنا يخاطب متلقيين: متلقياً خارجياً يخاطبه بشكل مباشر، ومتلقياً محايداً يخاطبه باللاوعي من خلال تصوير الأحداث له، وحال قومه مع بني أمية الجاهلين، ليحلل المتلقي هذه الصورة ويستنتج مَنْ صاحِبُ الحق.

يقول عيسى بن فاتك: (**الطويل**)

أَخافُ عقابَ الله إن مت راضياً بحكم عُبَيد الله ذي الجورِ والغَــدرِ

---

[١٤٠] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص٤٥.

وأَحذرُ أن ألقى إلهــي ولــم أَرُع ذوي البغي والإلحاد في جحفل مجر[١٤١]

يتضح لنا في الأبيات رؤية المذهب الخارجي من خلال الذنب العظيم للقعود، وحرمانهم الثواب.

إذن: لابد من قتال بني أمية حتى تنجو من عقاب الله وسخطه.

حجة الاتجاه عند الباث هنا تتضح من خلال:

إنه لو رضي بحكم بني أمية فإنه حتما سيسلم على ماله وولده ونفسه ويعيش مطمئن النفسِ رغيدَ العيش، لا يخشى القتل في أي لحظة، ولا يطارد من مكان إلى آخر، ولا يعذب أو يسجن. فهذه الحياة جيدة لكل إنسان يريد الدنيا، ولكن قد تؤدي إلى نتيجة يرفضها الخارجي ولا يرجوها، وهي عقاب الله وغضبه وخسران الجنة، لذلك هو يبتعد عن متع الحياة وأمانيها، من أجل كسب رضا الله.

- **حجة التجاوز**:(**Argument of overtaking**)

التجاوز عكس الاتجاه، وهي: إن هذا الأمر سيئ، ولكن يقودنا إلى غاية جيدة؛ فلذلك نتجاوز هذا الأمر من أجل الغاية.

ويحصل التجاوز غالباً عند الخوارج من ناحية تجاوز الفقر والموت والمرض والظلم؛ من أجل غاية يسعون إليها، وهي: الآخرة، والجنة. يتجاوزون نكبات الدنيا من أجل سعادة الآخرة، يقول عمران بن حطان: (**الوافر**)

لقد زاد الحياةَ إلي بغضــــاً وَحُباً للخروج أَبو بـــــــلال

أُحاذرُ أن أموتَ على فراشي وأرجو الموتَ تحت ذُرى العوالي

ولو أني علمت بأن حَتْفــي كحتفِ أبي بلالٍ لم أبـــــال

[١٤١] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص٥٦.

فمن يكُ هَمهُ الدنيا فـــإني لها واللهِ رب البيتِ قـــــالي [١٤٢]

يقول إنه أبغض الحياة عندما رأى صاحبه أبا بلال استشهد وتجاوز الموت والألم ليجد الجنة ويستقر بها؛ لذلك يتجاوز مرحلة الخوف من الموت، وتجرع سكراته من أجل الغاية العظمى، وهي الجنة، ولا تكون إلا بالجهاد، مثل أبي بلال، لذلك لا يبالي الموت إن كان مثل أبي بلال.

تجاوز ⟵ الموت وسكراته والانقطاع عن الدنيا.

الغاية ⟵ الفردوس الأعلى.

يقول الرهين المرادي: (**البسيط**)

يا نفسُ قد طالَ في الدنيا مراوغتي لا تأمنينَ لصرفِ الدهرِ تنغيصا

إني لـــبائعُ ما يـــفنى لبـــاقيةٍ إن لم يَعُقني رجاءُ العيش تربيصا

وأسأل اللهَ بيعَ النفسِ محـــتسباً حتى ألاقي في الفردوسِ حرقوصا*

وابن المنيح ومرداساً وإخـــوته إذ فارقوا زهرةَ الدنيا مخاميصـــا [١٤٣]

وهنا التجاوز نفسه، يتجاوز الموت ليلتقي بأصحابه الذين أدركهم الموت، هذه الحجج تعد تطبيقاً لرؤيتهم الفكرية السياسية، وهي شراء الآخرة، وعدم الخوف من الموت في سبيل الله والدفاع عن مذهبهم الديني السياسي.

يقول أبو بلال مرداس بن أدية التميمي: (**البسيط**)

ما إن نبالي إذا أرواحُنا خَرَجَتْ ماذا فعلتم بأَجسادٍ وأَوْصـــالِ

---

[١٤٢] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص١٤٢-١٤٣.

● حرقوص: هو ذو الثدية وكان من زعماء الخوارج في النهروان.

[١٤٣] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص٦٢.

نرجو الجنانَ إذا صارت جماجمنا تحتَ العجاج كمثلِ الحنظل البالي [١٤٤]

يقول الشاعر: إنهم لا يبالون بأجسادهم إذا خرجت أرواحهم، فالأهم من هذا الأمر السيئ أن يصلوا إلى الجنة، لأن أرواحهم عند الله، حتى إن كانت جماجمهم وسط عجاج الحرب* متناثرة مثل الحنظل*.

حجة التجاوز هنا جاءت من خلال تجاوز الشاعر لمرحلة التفكير فيما بعد الموت، ومن المعتاد في ذلك الوقت إذا ظفروا بجسد العدو إما أن يصلب ويمثل به، مثل عبد الله بن الزبير وغيره، وإما أن يقطع رأسه أو يبقى جسده بالصحراء، لتلتهمه الوحوش والطيور، فيتجاوز كل هذه الأمور السيئة ليصل إلى نتيجة جيدة، هي: إذا خرجت الأرواح فإنها تسكن الجنان.

تجاوز ← غاية

↓ ↓

التصرف بالأجساد بعد الموت. الجنة.

المقتضى= عدم الخوف من توعد العدو وتهديده، لأن روحك في جنة الله.

ومن حجج التجاوز عند الشاعر الخارجي قول أبي وازع الراسبي: (**الطويل**)

لسانُكَ لا تنكي به القومَ إنّمـــا تنالُ بكفّيكَ النجاةَ من الكـــرب

فجاهد أُناساً حاربوا الله واصطبر عسى الله أن يُخزِي غَوِيّ بني حرب [١٤٥]

---

[١٤٤] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص٥٠.

* ابن منظور، **لسان العرب**، مادة عجج، العجاج: الغبار، ص ٢٨١٣. مادة حنظ، حنظل: نبات مر، ص١٠٢٥.

[١٤٥] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص٦٩.

يذكر الشاعر أن القول ومحاولة الهجاء لا يجديان نفعاً ولا يؤديان إلى نتيجة جيدة، فالحرب بالسيف والفعل، هو ما يبلغك مرادك: إما الشهادة، وإما النصر على العدو الظالم.

فهو يدعو إلى الجهاد، لأن الأعداء حاربوا الله، لذلك لا تجادلهم، وإنما قاتلهم حتى ينصرك الله عليهم.

فسياق حجة التجاوز هنا:

الجهاد له رهبته، من مشاهد القتل والدماء وفقد النفس والأصحاب، قد يدخل الخوف والاضطراب في قلب المجاهد الخارجي؛ لذلك عليك بالصبر على هذا الأمر وتجاوزه لأجل غاية عظيمة، وهي خذلان العدو والفوز عليهم، فنتجاوز القبيح من أجل الجيد.

يبدو لنا الشاعر الخارجي من خلال هذه الحجة، قصير النفس على المتلقي، فليس لديه صبر للجدال والهجاء والسب، إنما يتجاوز هذه المراحل إلى القتال مباشرة، ويتضح لنا من خلال ذلك أمران:

الأول: إما إنه سَئِمَ من جدالهم الذي ليس له نتيجة، وإصرارهم على المكابرة والصد، فلذلك يتجاوز هذه المرحلة التي لم تنفع معهم سابقاً، إلى المرحلة الأخيرة، وهي القتال.

الثاني: وإما قد تدل هذه الخطوة على خشونة الشاعر الخارجي، وخاصة أن أغلبهم من البدو، فنظرته إلى حل الخلافات عنيفة، فهو حامي الدم متعجل في اتخاذ القرارات.

- **حجة التناقض وعدم الاتفاق: (Incompatibility)**

قد يناقض الخارجي مذهبه؛ لأن هناك من لم يصمد أمام قوانين هذا المذهب الصارمة، ومن قوانينهم تكفير القعدة الذين لا يخرجون للجهاد، فنجد قطري بن الفجاءة يعاتب أبا خالد القناني، وكان من القعدة، وهو خارجي: (**الطويل**)

أَبا خالدٍ يا انفر فلستَ بخالِد وما جعل الرحمنُ عذراً لقاعدِ

أَتزعمُ أن الخارجي على الهدى وأَنت مقيمٌ بين لصٍ وجاحد [١٤٦]

بدأ الباث بالنداء، فهو يخاطب متلقياً خاصاً، ثم يبدأ بتوجيهه ونصحه بالجهاد، وأنه ليس له عذرٌ حتى يتخلفَ عنه.

يوجد جناس بين اللفظين: (أبوخالد) # (خالد)، وهو غير تام، لاختلاف عدد الحروف، في الأولى يقصد صاحبه وهذه كنيته، وفي الثانية يقصد اسم الفاعل الخلود.

هنا يناقض بين أقوال صاحبه وأفعاله، ويقول: إن الخارجي يظن أنه على طريق الهدى، وهو مقيمٌ في أرضه لا يخرج للقتال، بل إنه ينفره عن القعود؛ لأنه من سمة اللصوص والجاحدين؛ أما الأخيار والمؤمنون جميعهم نفروا للجهاد، امتثالاً لأمر الله الذي لم يعذر المتخلفين في مذهبهم.

نجد أن الشاعر قد أحضر الأطروحتين المتناقضتين، في مسار حجاجه لتضييق الخناق على الآخر، ووضعه أمام الأمر الواقع، ولعل فيها شيئا من السخرية المتعمدة، عندما قرنه باللص والجاحد، ويريد ربط القعود بصورة سيئة، حتى لا يستحسنه هو وغيره.

لذلك نرى أن حجج التناقض وعدم الاتفاق تقترب من حجج السخرية؛ لأن حجج التناقض تقوم على الهدم والتنقيص من الآخر من خلال تصوير المفارقات بين الأقوال والأفعال بشكل ساخر، حتى يهدم أطروحة الآخر ويبني أطروحته.

---

[١٤٦] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص١٠٥-١٠٦.

- **حجة المقارنة: (Argumentation of comparison)**

حجة المقارنة تحمل صورتين: سلبية، وإيجابية، "وهو أسلوب وقع اختلاف هام في شأنه فبرلمان يعده من الأساليب شبه المنطقية المبنية على خلفية رياضية، باعتبار أن جوهر المقارنة عملية القياس، وهي عملية رياضية خالصة، فيما يذهب آخرون، وهم أقرب إلى الصواب في نظرنا إلى اعتبارها من الحجج المؤسسة لبنية الواقع، ومن هؤلاء أوليفي روبول الذي أكد أن المقارنة عملية تجريبية منشدة إلى عملية بناء الواقع، خاصة أن المقارنة حين تعقد بين طرفين لا تكون بالضرورة واقعية، بل قد تكون مبتدعة لا أساس لها إلا سياق النص وخيال المحتج. والسؤال هنا كيف تكون المقارنة حجة نقدمها لفائدة فكرة أو لصالح موقف؟"[١٤٧]

أرى أن المقارنة تفيد الحجاج من ناحية توجيه المتلقي دون شعوره، نحو غاية يريدها الباث، مثل ما حدث بين سبرة بن الجعد وهو على رأي الخوارج، وقد اتخذه الحجاج بن يوسف سميراً، فلما علم قطري بن الفجاءة بحال سبرة ومكانه، ساءه ذلك، وأراد أن يستنهض همته ويحثه على الجهاد، خاصة أنه كان يقاتل المهلب في ذلك الوقت، فكتب إلى سبرة: (**الطويل**)

لشتَّان مابين ابنِ جعدٍ وبيننـــــا إذا نحنُ رُحنا في الحديدِ المظاهَرِ*
نجالدُ فرسانَ المهلَّب كلُّنـــــــا صبورٌ على وقع السيوفِ البواترِ
وراح ابنُ جعدِ الخيرِ نحو أميـــرِهِ أَميرٍ بتقوى ربِّهِ غيرِ آمـــــــر
أَبا الجعد:أين العلمُ والحلمُ والنهى وميراثُ آباءٍ كرامِ العناصـــــرِ؟
ألم ترَ أَنَّ الموتَ لاشك نـــازلٌ ولا بعثَ إلا للأُلى في المقـــابرِ
حفاةً عراةً والثوابُ لـــرّبهـــم فمن بين ذي ربحٍ وآخرَ خاسرِ

[١٤٧] الدريدي، **الحجاج في الشعر العربي القديم**، ص٢٤٨.

- المظاهر: الذي لبس بعضه فوق بعض، كأن يظاهر المحارب بين درعين. والحديد: الدرع.

فإن الذي قد نلتَ يفنى، وإنمـــا حياتُكَ في الدنيا كوقعةِ طائـرِ

فراجع أبا جعدٍ ولاتَكُ مُغـــضياً على ظُلمةٍ أعشَت جميعَ النواظر

وتب توبةً تُهدي إليكَ شهـــادةً فإنك ذو ذنبٍ ولستَ بكافـــر

وسرْ نحوَنا تلقَ الجهادَ غنيمـــــةً تُفِدكَ ابتياعاً رابحاً غير خاســـر

هي الغايةُ القصوى الرغيبُ ثوابُها إذا نال في الدنيا الغنىَ كلُّ تاجر[١٤٨]

وجه الباث حديثه بشكل مباشر مخصوص إلى ابن الجعد، فحينما ينادي شخصاً باسمه، فهو يخصه بما هو قادم ليُنبه عليه.

وتمتلئ أبياته مقارنات ما بين حال المجاهدين، وحال ابن الجعد، فيبين حال المجاهدين في الحرب الضروس والصبر على وقع السيوف القاطعة المميتة، ثم يأتي بالبيت التالي مباشرة، ليذكر حال ابن الجعد ومكانته عند عدوهم، الذي لا يأخذ بدينهم، ويتعجب منه كيف نسي علمه ومذهبه، فتعقد المقارنة هنا بين حالتين: قتال دائم وصبر على الجهاد، وحال منعمة مترفة بأمان.

بعد هذه المقارنات يعود ليذكره بالآخرة ونهاية الإنسان والموت والقبر، ولكن شتان ما بين رابحٍ وخاسر، فمن تختار يا ابن الجعد؟ ويستمر في نصحه بأن الترف الذي يعيشه، والمال الذي أغناه سوف يفنى، وأن حياته كوقعة طائر، ووجه الشبه هنا أن الطائر لا يستقر على حال، ولا يبقى ساكنا، وإن وقع هنا فإنه ما يلبث أن يطير مرة أخرى، فحياته كتلك الوقعة التي لا تتعدى الدقائق القصيرة، لا يعلم متى تنقلب حاله ومتى يأتيه الموت، فيطلب منه مراجعة نفسه وتأنيبها.

تتضح لنا رؤية الخوارج الدينية من خلال قوله:

وتب توبةً تُهدي إليكَ شهـــادةً فإنك ذو ذنبٍ ولستَ بكافـــر

---

[١٤٨] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص١٢٠-١٢١.

أي إن ابن الجعد لم يكفر وإنما أذنب فقط، وقد يكفر عن هذا الذنب إذا تاب وخرج إلى الجهاد. فقد عقد له هذه الفوارق ودعاه إلى الجهاد ليصل إلى الهدف، وهو الغاية القصوى التي يسعى إليها الخوارج، ويبيعون أنفسهم بيع ربح دون خسارة من أجل أن ينالوا الجنة.

ومن الظواهر الأسلوبية في حجاج قطري: (الالتفات).

نجده ينتقل من التكلم الجماعي إلى الغيبة، تتمثل في أول بيتين يتحدث عن نفسه وجماعته وما يعانونه، ثم في البيت الثالث يلتفت بالخطاب إلى الغائب ابن الجعد الذي يجر الخزي عند أميره، ويعود الضمير في (أميره) إلى ابن الجعد، ليخصه بهذا النسب دون غيره من الخوارج.

ثم يلتفت إلى الخطاب المباشر لابن الجعد، ويتساءل بأداة الاستفهام (أين) تاركاً له الجواب، لكي يعمل على مراجعة نفسه، والإفاقة من الإغماء.

فالالتفات يعمل على إيقاظ ذهن السامع، والانتقال من العام إلى الخاص إلى الغائب، يجعل المتلقي يمعن النظر في النص، ويتنبه إلى تلك المفارقات بين المجاهد والقاعد، ليصل إلى هدفه وهو الاقتناع بالجهاد وفضله، "والكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد"[١٤٩]، ودفعاً للملل والانصراف.

[١٤٩] محمود بن عمر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق عبد الرزاق عبد المهدي، ج١، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي،١٤١٧هـ، ص٥٦.

الأطروحة	حجة المقارنة	الأدوات المساعدة في الحجة
الحث على الجهاد ونبذ التخلف.	إن الخوارج يقاتلون ويصبرون، ابتغاء مرضاة الله والجنة، مقابل حال ابن جعد المترف في قصر العدو.	ظاهرةأسلوبية: الالتفات. أسلوب إنشائي: استفهام – نداء. أسلوب بياني: تشبيه.

الجدير بالذكر أن المقارنة اكتملت حينما جاءت بين فئتين من نفس النظام والمذهب، محاولة بيان الإيجابي والسلبي.

- **حجة إدماج الجزء في الكل:(The argument by inclusion)**

هذه الحجة نجدها عند الخوارج، تتمثل في حديث الخارجي الموجه إلى الوالي أو الأمير الذي يعد جزءاً من هذه الدولة الأموية المخالفة لأحكام الإسلام من وجهة نظرهم.

فعندما يحكم على الدولة بالكفر، فإن الحكم سوف ينسحب على أجزائه أيضاً، والعكس، ونجدهم يحاورون أجزاء الدولة (الأمراء) بالنصح والدعوة إلى التوبة وإلا المواجهة بالسيف، فعندما حكم عمر بن عبد العزيز الذي عرف بتقاه وزهده، استبشر به خيراً جميعُ الأحزاب ومن بينهم الخوارج، فكتب إليه عمرو بن ذكية الربعي وهو على دين الخوارج، يطلب منه اتباع منهجهم في الدفاع عن الحق، ونبذ الظلم: (**البسيط**)

قل للمولىَّ على الإسلام مؤتنفـــاً وقد يرى أَنه رثُّ القِـوى واهِ*

أَزرى به معشرٌ غذّوْهُ مأكـــلـــةً بنخوةِ العزِّ والإنزافِ والبـــاهِ

إناشرينا بدينِ الله أَنْفُـــسَنـــــا نبغي بذاك إليه أَعظمَ الجـاه

ننهى الولاةَ بحدِّ السيفِ عن سَرَفٍ كفى بذاك لهمْ من زاجرٍ نـاهِ

فإن قصدتَ سبيل الحق ياعُمَـــرُ آخاكَ في الله أمثالي وأشباهي

وإن لحقتَ بقومٍ كنت واحـدَهُمْ في جَوْرِ سيرتهم فالحكم للهِ[١٥٠]

عمر بن عبد العزيز ليس إلا جزءاً من كل، وهي الدولة الأموية، فيشترطون عليه إن تبع طريق الحق وهو طريقهم فسوف يكونون له كإخوة يسندونه، وإن تبع طريق أسلافه في الجور فإن السيف بينهم.

مفهوم الدعوى: الحذر من اتباع منهج الجاهلين بني أمية أصحاب الشر.

الدليل: تاريخهم يحفظ لهم الظلم والقتل والتعذيب.

النتيجة: اتباع حكم الله، أو المواجهة الحربية، وتكفيره مثل قومه.

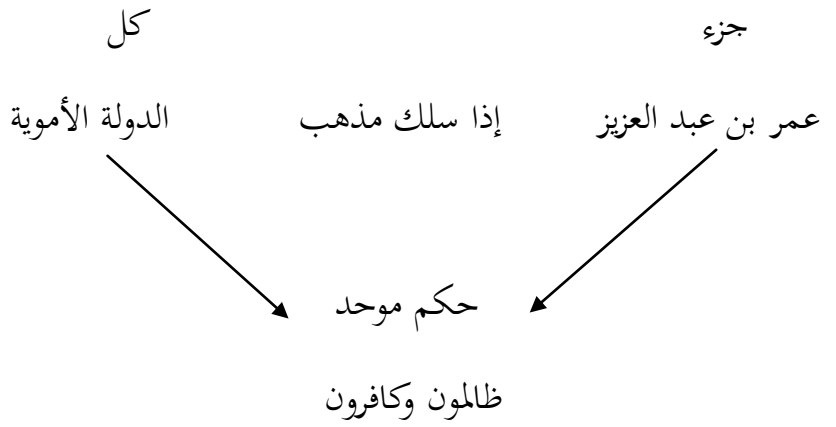

● مؤتنفاً: جديد أو حديث.

[١٥٠] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص١٩٣.

هكذا تكون العلاقة في إدماج الجزء في الكل "منظوراً إليها عادة من زاوية كمية، فالكل يحتوي الجزء، وتبعا لذلك فهو أهم منه، وهو ما يجعل هذا الضرب من الحجاج في علاقة بمواضع الكم"[١٥١] لذلك نرى أن هذه الحجة تقوم على مبدأ رياضي وهو: إن ما ينسحب على الكل ينسحب على الجزء، كما يؤكد ذلك بنوا رونو **Theodor W. Adorno**.[١٥٢]

[١٥١] صولة، مقاله ''الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته''، ص٣٣٠.

[١٥٢] بنوا رونو، **النص الحجاجي**، ص٧٦. نقلا عن الدريدي، **الحجاج في الشعر العربي القديم**، ص٢١٠.

خصائص شعر الحزب الخارجي:

كان الشعراء الخوارج يخوضون في مجال واحد، وهو الميدان السياسي، فلم يخرجوا عن هذا الميدان، وجعلوا الشعر في خدمته من خلال إيضاح رغباتهم. وأهم خصائص شعر الخوارج:

١- **وحدة الموضوع**: التزم الشعر الخارجي بموضوع واحد، وهو الدفاع عن عقيدتهم ومحاولة توضيحها وترغيب الكل فيها، وهذا الشيء ميزهم عن بقية الأحزاب الأخرى، فلم تكن لديهم مواضيع دنيوية، كالتكسب بالشعر أو الغزل؛ لأن هدفهم واحد وهو الجهاد، ثم لأنهم زهدوا في الدنيا ومتعها فماذا يفعلون بالمال، فالطابع العام لشعرهم الحماسة والحث على القتال، حتى وإن كان هناك بعض المقدمات مثل الغزل أو الفخر، فإنه في الغالب يصب في مصلحة الجهاد، لذلك نجد أن "جدة الشعر هذه أبعدته عن تقليد القدامى أو المعاصرين في الديباجة الغزلية والتخييل وتعدد الفنون في القصيدة الواحدة، وإذا وجدت الديباجة التقليدية استحالت إلى صورة تلائم هذا المذهب الخارجي، فالنسيب ينتهي إلى الفخر بالجهاد، وحزن عمرو بن الحصين في مطلع قصيدته حوار ينتهي إلى حرصه على الاستشهاد والأسف ألا يموت كأصحابه الشراة، والنغمة الحماسية تسود القصيدة كلها مهما تختلف فيها الفنون أو المعاني".[١٥٣]

ومن ذلك قول قطري بن الفجاءة: (**الطويل**)

لَعَمرُكَ إني في الحياةِ لزاهـــــدٌ وفي العيشِ ما لم ألقَ أُم حكيـــم[١٥٤]

يقول يزيد بن حبناء: (**البسيط**)

إِني هَزئت من أم الغمرِ إذ هَزِئَت بشيب رأسي وما بالشيبِ من عار

---

[١٥٣] الشايب، **تاريخ الشعر السياسي**، ص٢٠٩.

[١٥٤] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص١٠٦.

ما شقوةُ المرء بالإقتارِ يُـــــقتَرُه ولا سعادتُهُ يوماً بـــإكـــــثـــــار

إن الشقي في النـــــارِ منزلُـــــهُ والفوزُ فوزُ الذي ينجو من النـــــار

أعوذُ بالله من أَمرٍ يزيـــــنُ لي لومَ العشيرةِ أو يُدني من العـــار [١٥٥]

يتبين للقارئ في البداية أنه يتحدث عن معشوقته، ويظن السامع للحظة الأولى أن هذه القصيدة غزلية، ولكن عند الخوارج لا يوجد غرضَ غيرُ الحماسة، فنجد هذه المقدمة تعود إلى هذا الغرض، وتحث عليه، حتى إن هذه المقدمات تتضمن هدفهم وهو الجهاد والدوران حوله، فلا تخرج قصائدهم عنه.

٢-تشابه أشعارهم وذلك لوحدة موضوعهم ومعانيه، حتى إن القدماء اختلفوا في نسبة الأشعار؛ لأن شعر الخوارج شعر نمطي، ذو نفس شعري واحد؛ لذلك نسب إلى أكثر من شاعر من شعرائهم.

٣-أغلب أشعار الخوارج مقطوعات، وأراجيز سريعة ذكرت وقت الحادثة، فليس لشعرائهم دواوين بخلاف الطرماح بن حكيم، وإنما أبيات متناثرة في كتب التاريخ؛ وذلك لأن الشعر لم يكن يشغل بالهم ولم يتفرغوا له، بل انشغلوا بالدفاع عن مذهبهم، فكان الشعر مساعداً للموقف وليس أساسيًّا في حياتهم؛ ولأن التطويل في الشعر يحتاج إلى الاستقرار والطمأنينة النفسية أما الخوارج فلم يهدأ لهم بال لأنهم مضطهدين.

من أراجيزهم قول عبيدة بن هلال اليشكري:

حتى متى يقتلنا المغـيره

ومدركٌ فيكم له عقيره

أَصغركم وحدكم كبيره [١٥٦]

---

[١٥٥] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص٨٦.

[١٥٦] نفسه، ص٩٦.

٤- **تأثرهم بالقرآن والحديث:** لأن مذهبهم السياسي قائم على الدين وطاعة الله والجنة والنجاة من النار، نجد أغلب ألفاظهم متأثرة بالقرآن الكريم، والحديث، واقتباس المعنى منه، مثل قول عيسى بن فاتك في الأبيات السابقة:

هم الفئةُ القليلةُ غيرَ شكٍ على الفئةِ الكثيرةِ يُنصَـــــرونا

إشارة إلى قوله تعالى:(كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ).[١٥٧]

وقول أحد الخوارج: (**الكامل**)

والموتُ أَمرٌ لا محالةَ واقعٌ من لا يصبّحهُ نهاراً يَطْرق [١٥٨]

إشارة إلى قوله تعالى:(كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ) [١٥٩]

وأيضا قول عمران بن حطان: (**الطويل**)

فنحن بنو الإسلام واللهُ ربنا وأولى عبادِ اللهِ بالله من شكر [١٦٠]

إشارة إلى قوله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [١٦١]

٥-أسلوب لغتهم الشعرية يمتاز بالسهولة، والبعد عن الغرابة والتكلف، والألفاظ الوحشية، ولم يستخدموا الفنون البديعية؛ لأنهم يرون هدفهم الإقناع وليس الإمتاع، ويريدونه واضح المعالم للمتلقي حتى لا يصعب وصوله إلى الأذهان، لذلك وجدنا أسلوبهم يمتاز بالمباشرة والتقرير، وجزالة الألفاظ والقوة لأنه حزبٌ بدوي.

---

[١٥٧] سورة **البقرة**، آية٢٤٩.

[١٥٨] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص٧٢.

[١٥٩] سورة **آل عمران**، آية١٨٥.

[١٦٠] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص١٦٥.

[١٦١] سورة **الحجرات**، آية ١٣.

٦-يتميز شعرهم بحرارة العاطفة وصدقها؛ وذلك لأن أغلب الشعراء هم الزعماء للمذهب، وكل خارجي يرى نفسه مسؤولا عن الدفاع عن مذهبهم، فنجد شعرهم يصدر من نفوس صادقة تشتهي الموت، وتضجر من الحياة، فأغلب شعرهم يخاطب الوجدان ويستثير الحماسة.

٧-لم نجد في شعر الخوارج الحديث عن أنواع مذهبهم وعقائده، وأركانه واختلافهم في ذلك، وإنما سير شعرهم واحد نحو قضية واحدة، وهي: الجهاد وقتال المخالفين لمذهبهم بجميع أطيافه.

٨-غياب العصبية في شعرهم، تكاد تنعدم في ظل غايتهم، فلذلك "نجد شعراء الخوارج قد فنيت عصبياتهم القبلية والجنسية في عقيدتهم المذهبية، فكان بنو تميم والأزد يقاتلون ويهجون بني قرابتهم في جيوش الحكومة الأموية. والشاعر الخارجي من الموالي-وهو عمرو بن الحصين-نسي فارسيته وشعوبيته في سبيل مذهبه الخارجي، فلم تر أثر الجنسية في أصل عقيدته، ووجهة نظره وإن ظهرت آثارها في فنه الشعري من حيث الصياغة. وأما شعراء الأحزاب الأخرى فلم ينسوا في الغالب أنفسهم ولا أصولهم الجنسية أو القبلية، كقرشية ابن قيس الرقيات وفارسية ابن يسار".[١٦٢]

هناك بعض الحجج الخاصة بالحزب الخارجي وجدناها متناثرة في أشعارهم بعيدة عن تصنيفات برلمان تدور حول محاور ثلاث:

١-قضية التحكيم:

هذه القضية ظلت تستحوذ على مشاعر الخوارج، وتشحن عزائمهم، وهي من الحجج التي استند عليها الخارجي في دعواه بأن الحكم لله، وأن التحكيم بين علي

[١٦٢] الشايب، **تاريخ الشعر السياسي**، ص٢٠٦.

ومعاوية خطأ لا يرضي الله، فيجب رفضُه والبراءةُ من أصحاب التحكيم ومن رضي به، يقول فروة بن نوفل: (**الوافر**)

وفارقنَا أبا حَسَنٍ عليـــــاً فما من رجعةٍ أُخرى الليـــالي

فحكم في كتابِ الله عمراً وذاك الأشعري أَخا الضلالِ [١٦٣]

يذكر أنه فارق عليا رضي الله عنه بسبب تحكيمه في كتاب الله لرجلَينِ ضالينِ، لا يمثلان الحق وهما عمرو بن العاص، وأبو موسى الأشعري.

ثم غالى الخوارج في خصامهم إلى درجة البراءة من أصحاب التحكيم، فيقول أحد الخوارج: (**البسيط**)

أَبرأ إلى الله من عمرٍو وشيعته ومن عليّ ومن أصحابِ صفينِ

ومن معاويةَ الغاوي وشيعِتِـه لا بارك الله في القومِ الميامـــين [١٦٤]

يقول العيزار بن الأخنس الطائي: (**الطويل**)

ينادون لا لا حُكمَ إلا لـــــربنا حنانَيكَ فاغفر حَوبنا المساويا

هم فارقوا في اللهِ مَن جار حُكمُهُ وكل عن الرحمن أَصبحَ راضيـا [١٦٥]

٢-الشراة:

يفتخر الخوارج بكونهم شراة، فقد شروا أنفسهم في سبيل الله، فعندما يقاتل الخارجي، لأنه اتخذ على نفسه عهداً وهو رخص النفس والإقبال على الموت في سبيل الجنة، ولعل مصطلح الشراة حث نفوس الخوارج على مواصلة القتال، وذلك بأن من

---

[١٦٣] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص٤٣.

[١٦٤] نفسه، ص١٤٠.

[١٦٥] نفسه، ص٣٢.

واجبات الشاري المشاركة في الجهاد وإخراج الكفار المخالفين لشريعتهم من الديار أو قتلهم، ويرون أن القاعدين مذنبون وقد يصلون إلى مرحلة الكفر، يقول معدان بن مالك الأيادي: (**الطويل**)

سلامٌ على من بايعَ اللهَ شارياً وليس على الحزبِ المقيمِ سلامُ [١٦٦]

إشارة إلى القعود، فهو يخرجهم من دائرة الشراة الواجبة على كل مسلم حسب رأيهم، يقول حيان بن ظبيان: (**الطويل**)

ولكنني شارٍ وإن قل ناصري قريباً فلا أُخزيكما مَعَ مَن يشري [١٦٧]

يتوجه إلى خصومهم ويتهددهم بالقتل، لأن دلالة الشراة إما النصر وإما الموت لا سبيل ثالث لهما، يقول أبو الوازع الراسبي: (**الطويل**)

سأشري ولا أَبغي سوى اللهِ صاحباً وأَبيضَ كالمخراق عضبِ المضاربِ

فقد ظهر الجورُ المبيرُ وأَجمعـــت علـــى ذاك أقوامٌ كثيرو التكاذب [١٦٨]

نتيجة لهذا الجور الظاهر فإن الشاعر سيشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، فلابد من مواجهة هذه الأكاذيب والجور المتفشي في الدولة.

٣-الإقبال على الموت والتلذذ به:

إن التلذذ بالموت والسعي إليه هو وجه آخر لاستحقار الدنيا لعدم خلودها واستقرارها، ويقبلون على الموت دون رهبة، لأنه بوابة الجنة التي يعبرون إليها عن طريقه، وليس أي موت يدخله الجنة؛ لذلك على الخارجي أن يختار له ميتة تنجيه من النار، وتدخله الجنة ويكون ذلك في سبيل الله، يقول الطرماح بن حكيم الطائي في أبياته السابقة:

---

[١٦٦] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس ، ص٣١.

[١٦٧] نفسه، ص٤٤.

[١٦٨] نفسه، ص٧٠.

لقد شَقِيتُ شقاءً لا انقطاعَ لهُ إن لم أفزْ فوزةً تُنجي من النـــارِ

فالفوز الحقيقي عندهم هو الموت في سبيل محاربة الكفار، يقول عروة بن أدية: **(الطويل)**

لعمركَ ما بالموتِ عارٌ على الفتى إذا ما الفتى لاقى الحمامَ كريما

ولكنما ضر الحياةِ وعـارُهَـــــا أَحال عليه أن يموتَ ذميـــما [١٦٩]

فالذي يموت في ساحة المعارك لا يستوي مع الذي يموت في بيته، فموتة الأخير عار عليه؛ لذلك نرى من يخلص للمذهب الخارجي يخشى أن يموت على فراشه، ويتمنى الفوز بالموت الكريم، يقول أبو بلال المرداسي في أبيات سابقة:

أحاذر أن أموت على فراشـــي وأرجو الموت تحت ذرى العـــوالي

نجد الخارجي يتضرع إلى الله بالدعاء، لكي يموت بضربة سيف تدخله الجنة؛ لأن الموت في الحرب هو الأمل الموصل إلى الحياة السعيدة الأبدية، يقول كعب بن عميرة:

(الطويل)

ويارب هب لي ضربةً بمهندٍ حُسامٍ إذا لاقى الضريبةَ يَهبُرُ [١٧٠]

---

[١٦٩] **شعر الخوارج**، جمع وتقديم إحسان عباس، ص٥٢.

[١٧٠] نفسه، ص٦٠.

الفصل الثالث

(الحجاج في شعر الزبيريين)

١) نشأة الحزب الزبيري والتعريف به.
٢) رؤيتهم السياسية.
٣) الحجاج في شعر الزبيريين.
٤) خصائص الشعر الزبيري.

نشأة الحزب الزبيري والتعريف به :[١٧١]

تعود نشأة هذا الحزب إلى ما بعد مقتل عثمان بن عفان، وينسب إلى قائده عبد الله بن الزبير بن العوام، ووالده حواري -الرسول صلى الله عليه وسلم- وابن عمته، وأمه أسماء بنت أبي بكر أخت عائشة زوج الرسول، ولد في السنة الثالثة للهجرة في الوقت الذي قيل إنه لم ينجب للمسلمين ذَكَر، فكان أول مولود لهم في الهجرة، فكبر المسلمون فرحاً به.

وقد اتضحت مطامع عبدالله بن الزبير في الخلافة منذ مقتل عثمان بن عفان حينما شجع والده على قتال علي وحرض خالته عائشة- رضي الله عنها- وأثناها عن العودة إلى المدينة في معركة الجمل[١٧٢]، وقد شجعه أن عثمان ولاه على الدار يوم الحصار "ولعله استأنس بذلك فيما بعد حين طلب الخلافة لنفسه أيام يزيد بن معاوية، وربما استأنس بما سبق ذلك من اختيار أبيه بين رجال الشورى، وقول عمر لهم: (لا يكون هذا الأمر إلا فيكم) ثم رأيناه أيام علي يعارضه، ويسند خروج عائشة — خالته- ومعها أبوه الزبير، وطلحة بن عبيد الله، وبعض الأمويين حتى كانت حريصة على إسناد الخلافة إليه حين قالت لمروان بن الحكم: (فليصل بالناس ابن أختي)، ولعلها استأنست في ذلك بما فعل الرسول -عليه الصلاة والسلام- مع أبي بكر حين قدمه للصلاة، فكان ذلك من مؤهلاته للخلافة".[١٧٣]

ولكن بعد مقتل أبيه وأصحابه في معركة الجمل، لم يجرؤ عبد الله على المناداة بالخلافة لنفسه، وبايع معاوية رضي الله عنه على مضض، وعندما أخذ معاوية رضي الله

---

[١٧١] انظر الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٥، ص٤٨٣، ص٤٩٨. ج٦، ص١٥١-١٦٢، ص١٨٧-١٩٣. والشهرستاني، **الملل والنحل**، ج١، ص١٠٧. والشايب، **تاريخ الشعر السياسي**، ص٢٥٠-٢٦٤.

[١٧٢] انظر علي بن أبي الكرم بن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تحقيق عبد الله القاضي، م٣، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧، ص١٠٣.

[١٧٣] الشايب، **تاريخ الشعر السياسي**، ص٢٥١.

عنه البيعة لابنه يزيد، غضب عبد الله ورفض مبايعته، ولكن معاوية أرغمه على ذلك، وبعد وفاة معاوية نقض البيعة.

وبعد قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، رأى في نفسه أنه أحق بالخلافة من يزيد الذي اشتهر بالسكر والمجون، وهو التقي العابد الزاهد فلا يستويان في المكانة، لذلك أعلن الثورة على بني أمية هو وأنصاره ودعا إلى نفسه سنة ٦١هـ.

انتقل من المدينة إلى مكة وسمى نفسه (العائذ)، فلما علم يزيد بأمره، ولى عمرو بن سعيد بن العاص على المدينة، وبدوره قام بتوجيه عمرو بن الزبير إلى مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير وكانا على عداوة، وانتصر عبد الله عليه وسجنه في سجن عارم بمكة.

وفي المقابل كان في المدينة أنصار لعبد الله أشاعوا بين الناس أن يزيدَ لا دينَ له وأنه سكير وصاحب مجون، فثار أهل المدينة على واليهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وعلى مروان بن الحكم، وسائر بني أمية سنة ٦٣هـ، فحاصروهم في دار مروان بن الحكم، فأرسل الأمويون إلى يزيد يستنجدونه، فلما قرأ يزيد كتابهم قال:

"لقد بدَلُوا الحِلّمَ الذي مِن سَجِيَّتي فبدَّلتُ قَومي غِلظَة بِلِيَانِ

ثم قال: أما يكون بنو أمية ومواليهم ألف رجل بالمدينة؟ قالوا: بلى، والله وأكثر، قال: فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من نهار! قالوا: يا أمير المؤمنين، أجمع الناس كلهم عليهم فلم يكن لهم بجمع الناس طاقة".[١٧٤]

غضب يزيد وأرسل إلى المدينة جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة وأوصاه أن يستخلف بعده حصين بن نمير إن حدث له شيء، ووقع القتال قرب المدينة سنة ٦٣هـ وانتصر مسلم بن عقبة وأرغم الناس على مبايعة يزيد ومن أبى ضرب عنقه، ثم كانت وفاته قبل أن يصل مكة لقتال عبد الله بن الزبير، فتسلم القيادة حصين بن نمير وسار إلى مكة وحاصر عبدالله بن الزبير ولاذ الأخير بالكعبة، وسمى نفسه العائذ.

---

[١٧٤] الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٥، ص٤٨٣.

فقذفوا البيت الحرام بالمنجنيق والنار حتى أحرقوه، وأخذوا يرتجزون:(**الرجز**)

خطارةٌ مِثلُ الفنيق المزبدِ نَرمي بها أَعوادَ هذا المسجدِ [١٧٥]

يقول عمرو بن حوط السدوسي: (**الرجز**)

كَيف تَرى صنيع أُم فَروَه تأخُذُهُم بين الصفَا والمروَه [١٧٦]

يعني بأم فروة المنجنيق.

وفي أثناء الحصار والقتال، توفي يزيد بن معاوية (٦٤هـ) فارتد جيشه إلى الشام، فخلف ابنه معاوية بعده وبايعته الشام ولكن لم يعمر غير ثلاثة شهور.

فلما مات معاوية الثاني كانت الخلافة تكاد تكون من نصيب الوليد بن عقبة ابن أبي سفيان لولا أن طعن وهو يصلي، فاتجه الناس إلى عثمان بن عتبة بن أبي سفيان لمبايعته ولكنه اشترط عليهم عدم القتال، فرفضوا وسار إلى عبدالله بن الزبير وانضم إليه. فلم يبق من بيت أبي سفيان أحد، وكادت الخلافة تؤول إلى عبدالله بن الزبير لأن كثيراً من القبائل بايعته، ولكن قطع عليه الطريق مروان بن الحكم، فقاتله في مرج راهط سنة (٦٤-٦٥)هـ، وانتصر مروان عليه، وأعاد إرث الأمويين من جديد، وأصبحت الخلافة في البيت المرواني، ثم تولى الخلافة عبد الملك بن مروان، وحارب مصعب بن الزبير في العراق وقتله، ثم بعث الحجاج إلى عبد الله بن الزبير، فحاصر مكة وضربها بالمنجنيق، واشتد الحصار على عبدالله بن الزبير وتخلى عنه أصحابه فصبر على قتالهم، وقد كانت وصية أمه: لاتدع رأسك يلعب به غلمان بني أمية، ولكن قتل سنة ٧٣هـ وصلب في مكة، وخطب الحجاج خطبة النصر، وبعث برأسه لعبدالملك.

وبذلك انتهى الحزب الزبيري بموت قائده، وكان أقصر الأحزاب السياسية عمرا، ولهذا نراهم الأقل شعراً وحججاً. و"لم يطل الوقت بابن الزبير ورهطه لتظهر بشكل

---

[١٧٥] الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٥، ص٤٩٨.

[١٧٦] نفسه، ص٤٩٨.

عملي نواياه في مسألة إخلافه في هذا السلطان، فقد قضى مدته في تأسيس وحروب، ثم قضى وتبعه حزبه دون تفكير في استمراره، كذلك لم يترك لنا دعاة ينهضون بإقرار نظريته والسير على سننها ولو جدلاً، كما فعلت الأحزاب الأخرى، فكان حزبه أشبه بثورة طارئة وبقي الأمر بعد ذلك صراعاً بين هذين البيتين المتنافسين منذ الجاهلية —بني أمية وهاشم–وبين ذلك الحزب الإسلامي الجديد، وهو حزب الخوارج... إلى أمد بعيد".[١٧٧]

وسنبين أهم آرائهم السياسية التي دعتهم إلى الثورة على بني أمية والخلاف معهم، ومنها استمد الشعراء حججهم دفاعاً عن هذا الحزب ورؤيته:

١–رفضهم لفكرة وراثة الحكم؛ لأنهم يرون أنها تحرم من هم أحق بها منهم، ويسعون إلى إقامة نظام الشورى بين المسلمين وهو ما تواضع عليه الخلفاء الراشدون وأكده القرآن والسنة.

٢–يرون أن الخلافة لابد أن تكون في بطون قريش دون حصرها في بيت معين؛ لهذا لم يعترضوا على خلافة الراشدين، وثاروا على معاوية رضي الله عنه عندما أرادها وراثة هرقلية، وبذلك هم يخالفون الأحزاب الأخرى، فالحزب الشيعي يرى حصرها في أولاد علي رضي الله عنه والحزب الأموي يرى حصرها وتوريثها في بني أمية فقط، والحزب الخارجي يراها شورى بين المسلمين عامة.

٣–اعتراضهم على بني أمية عندما نقلوا الخلافة إلى دمشق؛ لأنهم يرون أن الخلافة لابد أن تبقى في الحجاز؛ لأنها مهد النبوة ومكان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين، ومكة فيها البيت الحرام، فلابد من تقديس الحجاز وتعظيمها؛ لعظم تاريخها في قلوب المسلمين.

نجد الحجج الزبيرية قليلة جداً، وأشعارهم السياسية لا تكاد تذكر، والسبب يعود إلى:

---

[١٧٧] الشايب، **تاريخ الشعر السياسي**، ص٢٥٥.

١-شح عبدالله بن الزبير وإمساك يده عن الشعراء، فلم يجزل لهم العطايا، ولم يشجعهم على نشر آرائه السياسية، ولم يجمع مؤيدين له، فلم "يتح للزبيريين ما أتيح للأمويين من ألسنة داعية إلى آرائهم، مدافعة عن سياستهم، أو مصانعة لهم فيما كانوا يرون ويسوسون. وفي السياسية قد تغني المصانعة والموادعة عن المظاهرة والمناصرة، وقد يحل النفاق محل الوفاق، لأن هَمَّ الحزب السياسي في كل عصر، وهدف الزعيم الحاكم ما تقوله الألسنة لاما تخفقُ به القلوب، وما ينشره الشاعر لا ما يضمره"[١٧٨]؛ لذلك لا نجد للحزب الزبيري شعراء كثراً أو كباراً سوى عبدالله بن قيس الرقيات الذي أخلص لهم دون نفاق ولا من أجل عطاء، أما بقية الشعراء، فانصرفوا عنهم إلى بني أمية عندما قارنوا بين حوافز بني أمية وبخل الزبيريين.

٢-قصر عمر الحزب الزبيري وضعفه، لذلك لم يتح للشعراء نشر آرائهم وحججهم، والاستمرار في الدفاع عنها، لأنه ما لبث أن مات بموت زعيمه.

٣-ضعف حججهم وقلتها مقارنة بالأحزاب الأخرى، مما أضعف موقف الشعراء أثناء الجدال والإقناع "ومن يقرن شعر الزبيريين بشعر الشيعة والخوارج تقتحم عينه شعر الزبيريين لضؤولته من ناحية ولخلوه من الحجج المقنعة، والأدلة المعقولة من ناحية أخرى، فهو شعر خطابي حماسي، يطغى عليه أسلوب المدح، ولا يرقى إلى الأفق الفكري السياسي القادر على دحض البراهين المفصلة التي يسوقها شعراء الشيعة، وشعراء الخوارج، ومن المعروف أن السياسة جدال فكري ومحاورات مقنعة، لا إبداع فني وصور ممتعة. وربما كان ضعف الشعر الزبيري ناجماً عن ضعف الفكر الحزبي الذي ينتمي إليه، لا عن ضعف المواهب الفنية التي أنجبته"[١٧٩]، وهذا هو سبب ضعف شعرهم السياسي من الناحية الحجاجية، وما يؤكد لنا ذلك تفوقهم في الأغراض الأخرى التي أتاحت لهم مجالاً فكرياً واسعاً كالغزل.

---

[١٧٨] طليمات، الأشقر، **الشعر في العصر الأموي**، ص٦٥٠.

[١٧٩] نفسه، ص٦٥١.

الحجاج في الشعر الزبيريّ:

استند الشعر الزبيريّ على حجج ضعيفة تنقض بسهولة؛ لأن أغلبها يتميز فيها الخصم، ولهذا لم نستطع أن نجد لهم حججاً خاصة تميزهم عن الأخر.

ذلك بأن هذا الحزب كان في فترة تاريخية عابرة، لم يستقر وقتا طويلا حتى يتيح لشعرائه التجديد في الفكرة والبرهنة " ومما يدلك على ضحالة المورد الفكريّ الذي استقى منه الحزب مبادئه، وعلى إخفاق الإعلام الشعريّ الذي روج لهذه المبادئ سرعة الانهيار والاندثار، إذ انهار الحزب بمقتل زعيمه السياسيّ عبد الله بن الزبير، بعدما ساد تسع سنين، ثم اندثر فلم يبق له من أثر، وارتد شاعره الأكبر ابن قيس الرقيات إلى خصومه الأمويين، فذهبت ريح الحزب، كأن لم يَغْنَ بالأمس. وقبل أن يرتد كبير شعرائه كان الصغار قد ارتدوا، أو رُدُّوا".[١٨٠]

إضافة إلى قلة شعرائهم المتفرغين للدفاع عن الحزب والترويج له، فلم يكن له مؤيدون كثر مثل الأحزاب الأخرى. ومن أضرب الحجج عندهم:

[١٨٠] طليمات، الأشقر، **الشعر في العصر الأموي**، ص٦٦٠.

- **تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له: (fallacy of Division)**

نجد عبد الله بن قيس الرقيات يفتخر بقريش عامة، ثم يبدأ بتجزئتها حتى يصل إلى بغيته أبناء الزبير. يقول: (**الخفيف**)

أيها المُشتَهي فَنَاءَ قُرَيشٍ بِيَدِ اللهِ عُمرُها والفَنَـــاءُ

إنْ تُوَدع مِنَ البِلاَدِ قُرَيشٌ لا يَكُن بَعدهم لِحَي بَقَاءُ [١٨١]

تشكل هذه الأبيات مقدمة صاغها في تقديم قريش على القبائل، وسيادتها على الكل، وحكمتها في القيادة، وقد جعل هذه المقدمة تمهيداً لأطروحته التي يحتج لها بفضل آل الزبير، ودورهم البارز في الإسلام ومع الرسول صلى الله عليه وسلم، فيستمر بمدح القبيلة عامة، ثم يبدأ تجزئتها حتى يصل إلى هدفه (أصحاب الحزب) الذي يدعو إليه: (**الخفيف**)

نَحنُ مِنا النبِي الأُمي والصِّدّ يقُ مِنا التقي والخُلـــــفَـــــاءُ

وقتيلُ الأحزابِ حَمزَةُ مـــنّا أَسَدُ اللهِ والسنَاءُ سَـــــــنَاءُ

وعَلِي وجَعفَرٌ ذُو الجَنَاحَـــ ـينِ هُنَاكَ الوَصِي والـــشهَـــــدَاءُ

والزبَيرُ الذي أجابَ رَسُولَ الـ ـله في الكربِ والبَلاَءُ بَـــــــلاَءُ

والذي نَعّصَ ابنَ دَومَةَ ماتـو حي الشَّيَاطِينُ والسّيُوفُ ظِماءُ*[١٨٢]

يخاطب الشاعر أعداء قريش الذين يريدون فناء القبيلة، ويقول لهم: إن الله هو الذي بيده الفناء والبقاء وليس بيدكم، وبقاء قريش مرهون ببقاء القبائل الأخرى، فإذا

---

[١٨١] عبدالله بن قيس الرقيات، **ديوانه**، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، ط١، بيروت: دار صادر، د.ت، ص٨٨.

- ابن دومة: المختار بن أبي عبيد الثقفي.

[١٨٢] الرقيات، **ديوانه**، ص٨٩.

ودعت قريش فلا بقاء بعدهم، وكأن قريشاً هي قلب العرب، مادام ينبض فإنهم بخير وإذا توقف عن النبض فمصير العرب الموت والهلاك.

يعمد الباث إلى تقديم ديباجة لحجته، وهذه المقدمة متعلقة بقضيته التي يريد منها الانطلاق للاستدلال والبرهنة على أطروحته، ومن هذه المقدمات: "الوقائع والحقائق والافتراضات والقيم وهرمية القيم والمعاني أو المواضع les lieux"[١٨٣]، وقد فصلهم صولة في مقاله المذكور، بالنسبة إلى مقدمة عبدالله بن قيس الرقيات تقع تحت مسمى الوقائع les faits، لأنها تمثل ما هو مشترك بين الناس ومتعارف عليه، قبيلة قريش معروفة مكانتها عند العرب عامة والمسلمين خاصة، والوقائع التي ذكرها، وقعت حقاً؛ لذلك لا تحتمل الدحض أو الشك، فهذه المقدمة منطلق جيد للحجاج والاستدلال على صحته.

فبدأ بتجزئة قبيلة قريش؛ ليسند مكانة صاحبه الذي يحاجج من أجله:

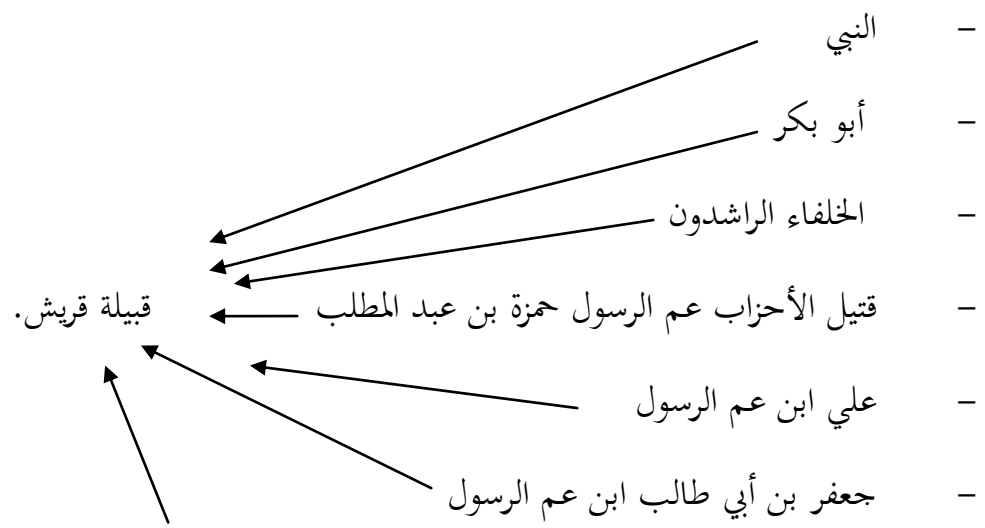

- الزبير بن العوام ساند الرسول عليه السلام وهو صحابي ومن أصحاب الشورى

حتى يصل إلى صاحبه (مصعب بن الزبير) ويقف التعداد عنده ثم يبدأ بذكر مناقبه، فلا يذكر أحداً بعده، وكأنه يجبر المتلقي على توقف مراجعة أسياد قريش، وأن

[١٨٣] صولة، مقاله ''الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته''، ص٣٠٨.

السيادة والقيادة توقفت عند مصعب بن الزبير، بذلك نفى السيادة عن الأمويين وأقصاهم عن الخلافة؛ لأنه ذكر قريشاً ثم جزأهم في بني هاشم فقط، وأضاف إليهم الزبير وابنه، أما بنو أمية فلم يذكرهم. وعبدالله بن قيس الرقيات جمع بين حجتين، فنجد حجة أخرى وهي:

- **حجة التماثل والحد في الحجاج (Identity in argumentation)**

في قوله:

وقتيلُ الأحزابِ حَمزَةُ مـــنّا أسَدُ اللهِ والسنَاءُ سَنَاءُ

وقوله:

والزبَيرُ الذي أجابَ رَسُولَ اللهِ في الكربِ والبَلاَءُ بَلاَءُ

أرى أن حجة التماثل والحد في الحجاج، إما أن تكون حشواً في الكلام؛ لأنها تفتقر إلى الإيضاح والدقة والمنطق في التعريف، فعندما يعرف حمزة أنه هو الشهيد وأسد وسناء هنا يتوقف التعريف بالشخص، وإما أن تكون لتأكيد الصورة من خلال المحسن البديعي: الجناس التام. ومثله البيت الثاني، فنجد عبدالله بن قيس الرقيات يربط مصعب بن الزبير بالأشخاص الذين تولوا الخلافة والقيادة في الحكم أو الحرب ونجحوا في ذلك وخلدتهم الذاكرة؛ لفضلهم على المسلمين ومواقفهم العظيمة، وكأنه يضمر للمتلقي أن هذه سلسلة جيدة للخلافة، ومصعب بن الزبير على خطاهم، فسوف يتفضل على هذه الأمة بقيادته وحنكته فضلا عن غيره من معاصريه. ويكثر الباث من ضمائر المتكلم التي تخصه وجماعته (نحن – منا) فكما هو معلوم أن عبدالله بن قيس الرقيات زبيري الهوى فعندما يقول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم منهم والخلفاء، فكأنه يخص بهم أبناء الزبير دون بني أمية، كل هذه المحاولات تسعى إلى ترجيح كفة ميزان الزبيريين على الأمويين.

- **الحجج التي تستدعي القيم:(Arguments that call values)**

إن المطلع على الشعر الزبيري يجد أغلب حججه مدحاً وذكراً لمناقب ابني الزبير (عبدالله – مصعب) وخاصة من ناحية الذكاء القيادي والشجاعة، فليس لديهم سوى حجج القيم والأخلاق التي يدورون في فلكها. يقول عبدالله بن قيس الرقيات: (**الطويل**)

على بَيعَةِ الإسلامِ بايَعنَ مُصعَباً كَرَادِيسَ مِن خَيلٍ وَجمَعًا ضَبارِكا*

نَفَيتَ بِنَصرِ اللهِ عَنهُم عدوَّهُـم فأصبَحتَ تحمي حَوضَهُم بِرِماحِكا

تدارَكتَ مِنهُم عَثرَةً نَهَكت بِهِم عَدُوَّهُـمُ واللهُ أَولاكَ ذالِكَـــــــا[184]

قرن بيعته بالإسلام ليبرهن على صحة هذه البيعة وشرعيتها؛ لأنها اتبعت التعاليم الإسلامية، وغير هذه البيعة لا يؤخذ بها؛ لأنها تنافت مع الشريعة الصحيحة، ثم يأخذ بمدح مصعب، الذي نصر قومه وحماهم؛ لأن الله أيده وسانده، وهذه أيضاً حجة على صحة خلافته ورضا الله عنها، فقد احتج على صحة بيعة مصعب بن الزبير: بأنها كانت تابعة للتعاليم الإسلامية وأن الله أيده ونصره في حربه على الأعداء، وأنه شجاع مقدام يحارب ويضحي من أجل قومه.

وحجة القيم تحاول أن تحمل المتلقي على الإذعان والتسليم ببيعة أبناء الزبير، من خلال عرض أخلاقهم وصفاتهم المحمودة عند المتلقي العربي؛ ليكسبوا تأييده لهذه البيعة.

يقول عبدالله بن قيس الرقيات: (**مجزوء الكامل**)

أَوفَى قُرَيشٍ بِالعُلَى في حُكمِهَا وَقَضائِهَا

وَلأَنتَ أَعلَمُهَا بِهَا وَأَصَّحهَا مِن دَائِهَـــا[185]

---

[184] الرقيات، **ديوانه**، ص١٣٢.

- كراديس: جماعات. ضبارك: كثير. والضبراك: الضخم الشديد الثقيل الطويل.

[185] الرقيات، **ديوانه**، ص١١٧.

يحتج الشاعر لصاحبه باستحقاق الخلافة؛ لأنه هو أوفى رجلٍ في قريش وأعلمهم في القضاء والسياسة، ويعرف مداخلها وكيفية معالجة الأمور بحنكة وحكمة؛ لذلك هو أفضل رجل لقيادة الأمة. فعندما يأتي بصيغة التفضيل ويخص شخصاً على سائر أبناء القبيلة، فكأنه يسقط البقية من أحقية الخلافة؛ لعدم توافرهم على صفات الحكام، فعندما يتم تخصيص شخص من مجموعة ما، فهذا يدل على تميزه عن البقية وحصر الصفات فيه دون غيره.

يقول أبو دهبل الجمحيّ: (**الطويل**)

أتاركة عليا قريشَ سَرَاتَها وساداتها عند المقام تُذبـَّح

وهم عُوَّذٌ بالله جيرانُ بيته مخافةَ يوم أن يُباحوا ويُفضحوا [١٨٦]

يستنكر الشاعر على الناس تخليهم عن أبناء الزبير، ويصفهم بالسادات وعليا قريش، ويضيف إلى شرف السيادة أنهم جيران البيت الحرام وحماته.

الوفاء + الشجاعة + الالتزام = قيم أخلاقية مسلم بها عند العرب.

دورها الحجاجي

↓

توجيه المتلقي إلى الهدف المنشود.

فهو يريد إثارة الغيرة الإسلامية بشكل عام، والقبلية بشكل خاص للانتقام.

- **حجة السلطة**: (**Argumentation of Authority**)

يقول أعشى همدان: (**الطويل**)

---

[١٨٦] الجمحي، **ديوانه**، ص٧٩.

وَإنّي امرُؤٌ أحبَبتُ آل مُحَمدٍ وآثَرتُ وَحياً ضُمِّنتهُ المصَاحفُ

وتَابَعتُ عَبدَاللهِ لَمّا تَتَابعَت عَليَه قُرَيشٌ شَمطُها والغَطارفُ [١٨٧]

نجد هنا سلطة تبعية لشخصية معروفة، فهو يتبع محمداً –عليه الصلاة والسلام–، لأن الله تعالى أمر بذلك، وهذا أمر مفروغ منه عند كل مسلم، ولكن يتبع عبد الله لا لشيء منطقي سوى أن القبيلة اختارته فاتبعه من أجل السلطة القبلية، فحجة السلطة نجد الباث يسوغها دون سبب مقنع، ويحاول أن يسربها إلى أذهان المتلقي ويدعوه إلى الاقتناع لمجرد أن هذا الشخص فعل أو قال ذلك، فلابد من اتِّباعه دون تمريرها على العقل، لذلك نعد هذه الحجج ضعيفة في بنيتها سريعة الهدم والنقض.

المضمر = قريش قبيلة قوية وتعرف بالسياسية ولها ثقل عند العرب.

الحجة = قريش اتبعت عبد الله. النتيجة= يجب علينا اتباعه.

نوع السلطة = سلطة قبلية.

من الواضح أن الزبيريين يحتجون لعبد الله بن الزبير بنسبه القرشي، هذه (السلطة الآبائية) تجعل للقيم إطاراً مرجعياً، هو سلطة الآباء والقبيلة، وكأنها فوق سلطة الوازع الداخلي، والآبائية أكبر تحدي واجه الأنبياء على مر التاريخ. فليس لديهم أقوى من هذه الحجة، وإن كانت لاتصل إلى درجة القوة التي يمكنها أن تواجه الحجج الأخرى وتصارعها؛ لأن الخصم الآخر ينتمي إلى القبيلة نفسها؛ لذلك جعلوا لهم مخرجاً وهو تمييزه عن بقية أفراد قبيلته وتفضيله عليهم، والزيادة على قرشيته أنه ابن أسماء أخت عائشة زوجة الرسول –عليه الصلاة والسلام– وبنت أبي بكر، وأبوه الزبير بن العوام ابن عمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، يقول عبدالله بن قيس الرقيات: (**الخفيف**)

---

[١٨٧] عمرو بن بحر، **الحيوان**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج٢، ط٢. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٤هـ، ص٢٧١.

وَابْنُ أسماءَ خَيرُ مَن مَسَحَ الرك نَ فَعَالاً وَخيرُهُمْ بُنيَـــــــانَا

وَإذا قِيلَ مَن هِجَانُ قُـــــرَيشٍ كُنتَ أَنتَ الفَتَى وَأَنتَ الهِجَانا* [١٨٨]

ويقول: (**مجزوء الكامل**)

أَنتَ ابنُ مُعتَلِجِ البِطَـــــا حِ كُدَيِّها فَكَدائِها

فالبَيتِ ذي الأَركانِ فال مُستَنِّ من بَطحائِـــــها* [١٨٩]

فهو يصف أنه خير عباد الله كلهم (خير من مسح الركن)، فضله بشكل عام، ثم بشكل خاص من ناحية القبيلة، وأعظم فتيان قريش وأطهرهم نسباً؛ لذلك يستحق القيادة، ولا شك في أنه يقصد معاصريه لاسيما الأمويين، فليس هناك من يرتقي إلى مكانته لكي ينافسه.

يقول أبو دهبل: (**البسيط**)

بين الحواري والصديق ذو نسب صاف وسيف على الأعداء مسلول [١٩٠]

يحتج لعبدالله بن الزبير أنه سوف يكون سيفا قاطعا لرغبات الأعداء؛ وذلك بأنه من نسل صاف من الجهتين (الأم، الأب) سياسة أبي بكر، وصرامة الحواري، لذلك يستلزم على عبد الله أن ينهج منهجهم، فعليه ألا يضيع المجد التليد. ولعل الذي يدعم الطاقة الحجاجية هي الصلة الوراثيّة، التي تحمل الجمهور على التصديق بعبدالله، بسبب سلطة النسب. وما يساعد الشاعر أن العرب يؤمنون بوراثة الصفات من الأجداد.

● هجان: الخالص والكريم.

[١٨٨] الرقيات، **ديوانه**، ص١٥٧.

● المستن: مخرج ماء الوادي حيث يدفع إلى امتداده.

[١٨٩] الرقيات، **ديوانه**، ص١١٧.

[١٩٠] الجمحي، **ديوانه**، ص٧٥.

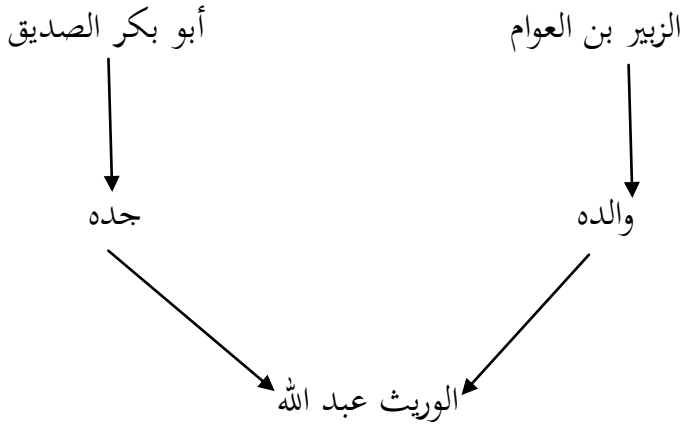

= القوة والسياسة.

تستمر سلطة النسب عند شعراء هذا الحزب، فنجده يقول أيضاً: (**الطويل**)

فأكرِمْ بنسلٍ منك بينَ محمدٍ و بين عليٍّ فاسمعنَّ كلامي

وبين حكيمٍ* والزبيرِ فلنْ أرى لهم شَبَهاً في مُنْجِدٍ و تَهَامِ[١٩١]

الشاعر يعدد أفضل الأنساب الموجودة في نجد وتهامة، يضع الممدوح في قمة الهرم الاجتماعي، ولا يقصي بني أمية ولكنهم في درجة أقل. فيقول: لا يوجد لهم شبيه، وهم الأفضل في تاريخ العرب.

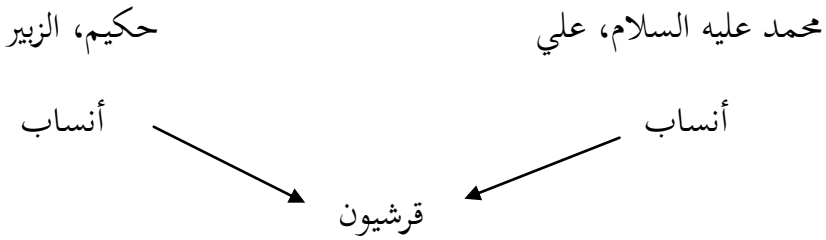

*ويريد "بحكيم" ابن أخت الزبير، عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم، أمه رملة بنت الزبير.

[١٩١] الجمحي، **ديوانه**، ص٥١.

إنهم أفضل أفخاذ قريش مطلقاً، ولا ينازعهم في المجد أحد.

مقتضى = سقوط الخصم من سلم الشرف والمنافسة.

- **حجة المقارنة: (Argumentation of comparison)**

يقتنص الشاعر أخطاء الخصم التي تصدر منه، ويستغلها في حجته ليعمل على تصوير الخصم بصورة سيئة، وفي المقابل يمتدح الحليف خاصة إذا كان أصلح ما أفسده الخصم. فهي حجة قوية يلجأ الشاعر إلى حبكها بذكاء، يضع أمام المتلقي صورتين: سيئة، وجيدة، فطبيعة النفس البشرية تميل إلى أصحاب الخير والصلاح. نجد الزبيريين يقتنصون الخطأ الفادح الذي وقع فيه الأمويون وهو هدم الكعبة وإحراقها، وفي مقابل ذلك دور الزبيريين في إعادة بنائها، فهذه الحجة قد تثير العرب عامة والمسلمين خاصة لما للكعبة من قداسة دينية. يقول عبدالله بن قيس الرقيات: (**الخفيف**)

لَيسَ للهِ حُرمَةٌ مِثلُ بَيـــــتٍ نَحنُ حُجابُهُ عَلَيهِ المُـــــــلاءُ

فَبَنَيناهُ مِن بَعدِ ما حـــــرقُوهُ فاستَوَى السُّمكُ واستَقَل البِناءُ

كَيفَ نَومي على الفِراشِ وَلمّا يشمَلِ الشامَ غارَةٌ شَـــــــعواءُ

تُذهِلُ الشيخ عَن بَنيهِ وتُبدِي عَن بُراها العَقيلَةُ العَـــــــذراءُ*

أَنَا عَنكُم بني أُمَيةَ مُـــــزوَ رٌ وَأَنتُم في نَفسِيَ الأَعـــــــداءُ [١٩٢]

نرى في خطابه الحجاجي الكثير من التحريض على بني أمية من خلال إثارة نفوس المسلمين، وقد عمل على ذلك في:

- تذكيرهم بحرمة البيت الحرام، وأن بني أمية انتهكوا هذه الحرمة وحرقوا البيت دون مراعاة لمشاعركم.

● البرى: الخلاخيل.

[١٩٢] الرقيات، **ديوانه**، ص٩٥.

في مقابل التحريض، كان يحاول التلميح إلى الزبيريين واحترامهم لمشاعر المسلمين، ومقدساتهم حين بنوا ما هدمه الأمويون حتى استقام البناء، بل كان سميكاً أيضاً وهذه إشارة إلى أنهم وضعوا كل جهدهم في إعادة البناء. وبعد العرض المقارن بين النموذجين يأتي إليهم بالنتيجة والعمل الذي يجب أن يفعله كل مسلم غيور على حرمات دينه:

كَيفَ نَومي على الفِراشِ وَلمّا تَشمَلِ الشامَ غارَةٌ شَعواءُ

يدعو إلى الثورة والانتقام منهم، وفي السياق ذاته تلوح حجة الرمز**The symbol** التي تعمل على شد انتباه المتلقي وتحريك ذهنه، من خلال البحث عما وراء هذا الرمز والمقصود به.

الشام = يرمز إلى بني أمية لأنها عاصمة دولتهم.

"والواقع أن مؤسس الخطاب الحجاجي أيًّا كان هذا الخطاب يعي عادة الفضاء الذي يتحرك فيه خطابه، ويعرف ضرورة الرموز المعبرة عن انتماء متلقيه الثقافي والاجتماعي، فيوظفها بطريقة ذكية تمكن من الإقناع والحمل على الإذعان"[١٩٣]، ولعل الباث تعمد ذكر هذا الرمز من أجل زيادة حنق النفوس على بني أمية، الذين غيروا عاصمة الخلافة من الحجاز إلى الشام، الأمر الذي استفز المسلمين، فهو بهذا الرمز يعود بذاكرتهم إلى قضية انتقال مركز الخلافة، والتقليل من أهمية منطقة الحجاز المحببة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، لذلك يذكرهم في موضع آخر أن عبدالله بن الزبير تمسك بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم اقتداء به حيث يمتدح مكة ويربطها بعبدالله بن الزبير ناعتاً إياه بالخليفة، يقول عبدالله بن قيس الرقيات: (**الخفيف**)

بَلَدٌ تَأمَنُ الحَمامَةُ فِيهِ حَيثُ عاذَ الخَلِيفَةُ المَظلومُ [١٩٤]

ربط الخليفة بصفة المظلوم؛ لينقلبَ الناس على الظالم.

---

[١٩٣] الدريدي، **الحجاج في الشعر العربي القديم** ، ص٢٣٧.

[١٩٤] الرقيات، **ديوانه**، ص١٩٣.

في سياق المقارنة (الزبيرية–الأموية) يقول الشاعر: (**الكامل**)

إن الإمام ابن الزبير فإن أبى فذروا الإمارة في بني الخطاب

لستم لها أهلاً ولستم مثله في فضل سابقة وفصل خطاب [١٩٥]

يخاطب الخصوم ويؤكد أن الخلافة لا تصح إلا لعبدالله بن الزبير، فليست من مؤهلاتكم، ولستم مثل عبدالله بن الزبير في فضله، فيؤكد لهم عدم أهليتهم للخلافة من خلال تكرار النفي: لستم لها أهلاً ولستم مثله... ففي كل الحالات لا تستحقون حتى منافسة أبناء الزبير على الخلافة. لأنهم غلبوكم بالنسب والأحقية.

ــ	فضلهم	أهليتهم للحكم
بنو أمية	التواضع	غير مؤهلين
أبناء الزبير	رفعة الشأن	مؤهلون

إذن= رجحان كفة الميزان لأبناء الزبير.

يقول عبد الله بن الحجاج في مدح عبدالله بن الزبير والتقليل من شأن الأمويين: (**الطويل**)

أتَطلُبُ شَأوَ ابنِ الزُبَيرِ ولَم تَكُن لِتُدرِكَهُ ما حَجَّ للهِ راكِـــــــبُ

تَكَلفَّتَ أمراً لَم تَكُـــــن لِتَنالَهُ طَوالَ اللَيالي أو تُنَالَ الكَــواكِبُ

[١٩٥] علي بن الحسن الشافعي، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق محب الدين العمروي، ج٢٥، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥، ص٢٥١.

فَمَهلاً بَني مَروان لستُم بِـــذادَة إذا ما التقَت يَومَ اللقاءِ الكَتائِبُ [١٩٦]

يقول: إن لأبناء الزبير مكانة لن ينالها أحد، ولا تستطيعون يا بني أمية منافستهم على ذلك، بل إنكم قد تنالون الكواكب ولا تنالونهم، والوصول إلى الكواكب أمر مستحيل في ذلك الزمن، فقد جاء بهذه الصورة؛ ليبين لهم صعوبة خصمهم والوصول إليه، إضافة إلى ذلك يعقد مقارنة مضمرة بين بني أمية وآل الزبير في الحرب، فعندما يهجو الأمويين وينعتهم بالجبن والمراوغة في الحروب، فخصومهم على عكس وصفهم يتميزون بالشجاعة والجرأة والإقدام.

الدعوة: القائد والخليفة لابد أن يتميز بالشجاعة والإقدام.

الحجة: بنو أمية لا يتميزون بصفات الفارس الجريء، على عكسهم آل الزبير، فهناك فوارق مقامية بينهم.

إذن= الزبيريون يتميزون بصفات الخليفة العظيم.

ويقارن عمرو بن هند بين الزبيريين والأمويين من ناحية حراسة البيت الحرام وإكرامه. يقول: (**الطويل**)

ألم تّرَ أولادَ الزُبيرِ تحالفـــــــوا على المجد ما صامت قريشٌ وصلَّتِ

هم منعوا البيتَ الحرامَ فأصبحت أميّة تاهت في البـــــــلاد وضَلَّتِ

قريش غياث في السنين وأنتـــم غياث قريش حيث سارت وحَلَّتِ [١٩٧]

وكأنه يقول: إن قريشاً اعتادت على المجد والعز، وأبناء الزبير ساروا على نهجهم وزادوهم مجداً على مجدهم؛ لأنهم منعوا البيت الحرام في الوقت الذي سعى الأمويون إلى إحراقه وهدمه.

---

[١٩٦] البلاذري، **جمل من أنساب الأشراف**، ج٦، ص٣٥٤.

[١٩٧] محمد بن عمران المرزباني، **معجم الشعراء**، تحقيق فاروق أسليم، ط١، بيروت: دار صادر، ١٤٢٥هـ، ص٦٨.

أبناء الزبير ⟸ سبب استمرار مجد قريش.

الأمويون ⟸ سببوا لقريش الخزي والعار.

آل الزبير ⟸ بناء ⟸ البيت الحرام ⟸ هدم ⟸ الأمويون

يقول زفر بن الحارث الكلابيّ: (**الطويل**)

أبا الله أَمَّا بَحدَلٌ وابنُ بَحْدَلٍ فيَحيَا وأَمَّا ابنُ الزُبَير فَيُقتَلُ

كذَبتُم وبَيتِ الله لا تَقتُلونَهُ وَلما يَكُن يَومٌ أَغَرُّ مُحَجَّلُ [١٩٨]

يقصد بابن بحدل يزيد بن معاوية، نسبه لأمه ميسون بنت مالك بن بحدل الكلبيّ، فيعقد هنا مقارنة تعجبية بين يزيد بن معاوية وعبدالله بن الزبير: كيف تطلبون حياة يزيد بن بحدل، وموت عبدالله بن الزبير مع فضله وشرفه! شتان ما بين الأمرين، فينكر عليهم هذا الأمر بشدة ولهجة قاسية تتمثل في قوله: (كذبتم...).

تستند المقارنة على ثنائية ضدية: الموت# الحياة. الشر# الخير. وهي وسيلة مهمة فاعلة في عمليات الحجاج للتمييز بين الأمور، لأنه (بالضد تتميز الأشياء).

فلكي يسلط الضوء على مميزات عبدالله بن الزبير وسلبيات الخصم، كان لا بد من مقارنة توضح للمتلقي، أيهم أفضل للبقاء، وأيهم أنفع للناس، وعليه يتخذ المتلقي حكماً لصالح الطرف المميز.

ومن الملاحظ أن الشاعر صمت عن غايته، ولم يشر إليها بشكل مباشر، إنما جعلها من مهمة المتلقي، بربط عناصر الكلام، واستخراج الضمنيّ والمسكوت عنه من خلال الإيحاء بالدليل، لأن النتيجة تتشكل من خلال الحجة.

فعندما يقول: ابن بحدل وينسبه لأمه، والشاعر لديه عداوة مع أخواله، فيتبن للمستقبل أنه يسيء إليه ويقلل من مكانته، خاصة عندما يقابله بخصمه عبدالله بن الزبير

---

[١٩٨] البلاذري، **جمل من أنساب الأشراف**، ج٧، ص٤٧.

وينسبه إلى أبيه، الذي يملك تاريخا مشرفا عند العرب، فيتوصل المتلقيّ إلى صورة أخرى وهي: الرفع من قيمة عبدالله بن الزبير، ومكانته، فيعمل المتلقيّ على مقارنة الصورتين:

ابن بحدل ظاهر، ابن أبي بكر مضمر. وأم عبد الله بن الزبير هي: أسماء بنت أبي بكر. فهو يقارن بين الثرى والثريا، ليصل إلى نتيجة= إن عبدالله بن الزبير أولى بالحكم من يزيد.

وقد نجد الشاعر الزبيريّ يعمل على المقارنة الساخرة، فيصور الخصم بطريقة مضحكة للمتلقي، بينما يصور أصحابه في صور مثلى، مثل ما فعل يزيد بن مفرغ عندما هجا عبيد الله بن زياد، وامتدح عبدالله بن الزبير، يقول: (**الكامل**)

مُتَأَبِّطاً سَيفاً عَلَيهِ يَلمَـــــــــقٌ مثل الحِمارِ أَثَرتَهُ بِيَفَـــــاعِ
لا خَيرَ في هَذِرٍ يَهُزُّ لِســـــانَهُ بِكَلامِهِ وَالقَلبُ غَيرُ شُجاعِ
لاَبن الزُّبَيرِ غَداةَ يَذمُرُ مُنـــــذِراً أَولى بغايَةِ كلِّ يَومِ وِقَـــاعِ
وَأَحَقُّ بالصَّبرِ الجَميلِ مِنِ امرىءٍ كَزٍّ أَنَامِلُهُ قَصيرِ الـــــــباعِ* [١٩٩]

المقارنة هنا جاءت في سياق: الشجاعة ، الجبن. فيسخر من ابن زياد وضعفه الذي يخفيه خلف السيف، ويتأبطه محاولاً أن يخدع الناس بشجاعته الزائفة، ويشبهه الشاعر ب(الحمار) وهذا في قمة السخريّة المضحكة، فعندما يشير إلى هذا الرمز الذي يدل على الغباء والخضوع عند العرب وهو "بعد رمزي ساخر ذو دلالة عكسية تفهم من السياق، حيث ربط بينه وبين الحمار في قرن دلاليّ مشترك، ومن المعروف أن الحمار يمثل علامة على الغباء في ثقافتنا العربية"[٢٠٠]، والقول لايخلو من ازدراء فهو هذر منكر، وإن أنكر الأصوات لصوت الحمير، بالإضافة إلى هذا التشبيه يشير إلى التناقض بين أقواله

● كز أنامله: أي بخيل. الباع: الشرف والكرم. ورجل قصير الباع أي ضيق عاجز عنهما.

[١٩٩] يزيد بن مفرغ الحميري، **ديوانه**، جمع وتحقيق عبد القدوس أبو صالح، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ، ص١٦٢.

[٢٠٠] أحمد، **الخطاب السجالي في الشعر العربي**، ص١٨٦.

وأفعاله، فعندما تستمع إليه تظن أنه شجاع لا يشق له غبار، بينما أفعاله عكس ذلك، وفي الجانب الآخر يصور عبدالله بن الزبير وشجاعته ودعوته إلى القتال، والصبر عليه.

ينهج الشاعر طريقة الهدم والبناء، فيهدم هيكل الخصم ليبني عليه هيكل الحليف، فوظيفة الهدم آلية فاعلة في الحجاج، ومن خلال الهدم يصنع البرهان وتقام الحجة.

عبدالله بن الزبير شجاع صبور في الحرب

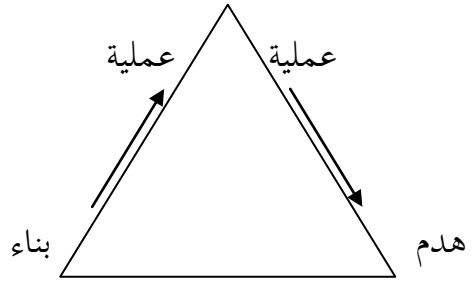

ابن زياد ضعيف متناقض

- **الحجج القائمة على الاحتمال:(The argumentation by the probable)**

يحتج الشعراء بتاريخ الزبير بن العوام ومواقفه في الإسلام، لذا يتوقعون من أبنائه التقوى والفلاح، فينادي الداعي إلى قبول هذه الأطروحة لأن المدعي له يحتمل منه الشيء الجيد قياساً على والده أو أخيه، فنجد عمرو بن معمر الهذليّ يقول: (**الطويل**)

غداة دعاني مصعبٌ فأجبتُهُ وقلتُ لهُ أهلاً وسهلاً ومرحبا

أبوك حواري الرسولِ وسيفُهُ فأنتَ بحمدِ الله من خَيرنا أبا

وذاكَ أخوكَ المهتَدي بضيائه بمكةَ يدعونا دعاءً مثوّبـــــا [٢٠١]

[٢٠١] إسماعيل بن كثير، **البداية والنهاية**، ج٨، بيروت: مكتبة المعارف، ١٤١٣هـ، ص٣٤٢.

إنه أجاب دعوة مصعب بكل ترحيب؛ لأنه يحتمل أن يكون مثل صفات والده صاحب الخير، أو مثل أخيه التقي صاحب الهدى، فلذلك هو يبايعه على ما هو متوقع منه استناداً على البيئة التي تربى فيها، وهذه الحجة تعمل في اللاوعي الجمعي بقوة كبيرة.

تعد هذه الحجة من سفسطة ما يراه الناس؛ لأن الناس أغلبها تجمع على مكانة الزبير وتقوى عبد الله إلا القلة منهم، فطبيعة الناس تميل إلى تبني الرأي الأكثر شيوعاً دون الالتفات إلى القيمة الصدقية في ذلك.

الدعوى	الحكم	السبب
مبايعة مصعب بن الزبير	القبول	استنادا على احتمال الخير منه؛ لأن نشأته طيبة.

وهذه حجة غير منطقية للمتأمل، عندما حكم عليه بالخير بسبب أفعال والده أو أخيه. وليس لأفعال ذاتية تخصه، وقد يكون فيها شيء من الظلم عندما نحكم على شخص بالبخل، ولم يصدر ذلك منه، من باب الاحتمال فقط؛ لأن أجداده يتصفون بذلك، فيقيدونه بحكم لا ذنب له.

يظهر الشاعر في هذه الأبيات أنه متلق فقط، وقبل دعوة مصعب بكل ترحيب ووضح السبب، ولكن الحقيقة المضمرة أنه داع يدعو إلى أطروحته بطريقة غير مباشرة يرجو من المتلقيّ اتباعه في القبول.

- **حجة التناقض وعدم الاتفاق: (Incompatibility)**

يسعى الشاعر الزبيريّ إلى تسليط الضوء على تعارض الخصم، الذي قد يوصله إلى درجة الهزء. يقول عرفجة بن شريك، مخاطباً عبد الملك بن مروان: (**البسيط**)

ما لِابنِ مَروانَ أَعمَى اللهُ ناظِـــــرَهُ ولا أَصابَ رَغيباتٍ ولانَفَـــــــلا

يرجو الفَلاحَ ابنُ مَروانٍ وقد قَتَلَت خَيلُ ابنِ مَروانَ خِرقاً ماجِداً بَطَلاً

يا بنَ الحَوارِيِّ كَمِ من نِعمةٍ لَكُــمُ لَو رامَ غَيْرُكُمُ أَمثالَها شُغِـــــــلاَ

حُــمِّلتمُ فحَمَلتُمْ كلَّ مُعضِلَـــــةٍ إنّ الكَريمَ إذا حَمَّلتَهُ احتَـــــمَلا [٢٠٢]

ويتساءل عن الحال التي وصل إليها عبدالملك بن مروان ويدعو عليه بالعمى؛ لأن قلبه أعمى عن الحق، ويتعجب من تناقض ابن مروان كيف يرجو الفلاح وهو يقتل مسلماً نفع البلاد والمسلمين بأمجاده وبطولاته، ثم يتوجه إلى عبد الله بن الزبير، يمتدحه مواساة له بفقد أخيه، واستنهاضاً لهمته ومواصلة دربه؛ لأنه كريم، والكريم مطبوع على الصبر، والله فضلهم بالنعم على غيرهم، فهم أهل لها أكثر.

نجد ثلاث شخصيات في خطاب الباث:

ابن مروان ⟵ عبد الملك بن مروان.

الماجد البطل ⟵ مصعب بن الزبير.

ابن الحواري ⟵ عبد الله بن الزبير.

القضية هنا: تخبط عبدالملك بن مروان وتناقض أفعاله وأقواله.

الدليل: قتله لمصعب صاحب المجد والبطولة.

المقتضى: نبذ بني مروان.

نجد تكراره (لابن مروان) مقبولاً إلى حد ما، لأن الإكثار من التكرار يخرج القضية إلى مسار آخر لا يرغبه الشاعر وهو :ملل المتلقي وانصرافه، ولكن الشاعر قصد تكرار ابن مروان دون أبناء الزبير؛ لأنه يريد التنبيه على وضع ابن مروان وسوء معاملته للموقف، فكانت هذه الدعوة مخصوصة لمهاجمته، واتخذ التكرار وسيلة لزيادة الطاقة الحجاجية، وتعامل معه بذكاء، لأن التكرار يجنح بطبيعته إلى اختلال العبارة، فمن

[٢٠٢] البلاذري، **جمل من أنساب الأشراف**، ج٧، ص٩٧.

الضروري أن تكون العبارة قائمة على الهندستين: اللفظية، والعاطفية، فلابد من الارتباط بما حولها حتى تصمد أمام هذه الطبيعة. فالتكرار يظهر ضعف البيت الرديء، كما تقول نازك الملائكة.[٢٠٣]

فهذه الأداة الحجاجية مفتاح للأطروحة التي يريد الشاعر تسليط الأضواء عليها، والانغماس في أعماق النص.

- **حجة التعدية:(Argument of transitivity)**

يستخدم المرسل هذه الحجة، لكي يبين أن مصيره متعلق بمصير حليفه؛ لأنه رأى فيه الاستحقاق للتبعية والطاعة، يقول عبد الله بن الحر لآل الزبير: (**الطويل**)

ألم تَعلموا أنِّي عدُوُّ عدوِّكـــــم وتشفِي بِنا في حَربِكم من تُحارِبُ

أناضِلُ عَنكُم في المغَيبِ عَشيرَتي وأمّا بِنفسي دونَكم فأُضـــارِبُ[٢٠٤]

جاء خطابه مباشراً، ويذكرهم بأنه عدو من يعاديهم، ويدافع عنهم بماله ونفسه وعشيرته، وهذه أعلى مراحل الانتماء.

أ × ب

الشاعر آل الزبير

إذاً أ = ج

ب × ج الشاعر عدو أعدائهم

آل الزبير أعداؤهم

---

[٢٠٣] انظر نازك الملائكة، **قضايا الشعر المعاصر**، ط٣، حلب: المركز الثقافي العربي، ١٩٦٧، ص٢٤٥-٢٥٢.

[٢٠٤] أحمد بن أعثم الكوفي، **الفتوح**، تحقيق علي شيري، ج٦، ط١، بيروت: دار الأضواء، ١٤١١هـ، ص٣٠٢.

معادلة رياضية تعمل على التعدية من أجل سبب رئيس وهو: الاقتناع بخلافتهم.

- **حجة السخرية: (Argumentation of irony)**

القصد من وراء السخرية أن يبطل موقف الخصم، ويبين زيفه وخداعه، فمعاوية رضي الله عنه عندما تبنى ابن زياد، لم تفت شعراء الزبيريين هذه النقطة، فسخروا من معاوية رضي الله عنه وابن زياد من باب الاستخفاف، يقول يزيد بن مفرغ:(**الوافر**)

إِذا أَودَى مُعاوِيَةُ بنُ حَربٍ فَبَشِّر شَعبَ قَعبِكَ بانصِداعِ

فَأَشهَدُ أَنَّ أُمَّكَ لَم تباشِر أَبا سُفيانَ واضِعَةَ الـــــقِناعِ [٢٠٥]

يشير إلى أنه إذا استلم أمركم معاوية بن أبي سفيان، فإنه سوف يشتت أمركم ويضيعكم، ثم يلتفت بالخطاب إلى ابن زياد ويذكر قضية التبني، وهو في الأصل يريد الاستهزاء بمعاوية لا بزياد، وأبو سفيان كان قد ادعى غشيان سمية أم زياد التي كانت بغياً في الطائف.[٢٠٦]

موطن السخرية هنا:

- المرسل يسخر من (فكرة التبني).

- إذن (فكرة التبني) كاذبة.

استنتاج = عدم المصداقية تؤدي إلى اختلال الثقة بهذا الخليفة.

"وهذا الأسلوب على كثرة وروده في المحاورات فهو باطل لا شك في ذلك؛ لأن مجرد الاستهزاء بأفكار الأخرين، وتصوير دعاويهم بصورة تبعث على السخرية، لا يعني أن هذه الأفكار باطلة، فلا غنى للمعترض عن سوق القوادح الفعلية التي تُبطل رأي

---

[٢٠٥] ابن مفرغ، **ديوانه**، ص١٥٦.

[٢٠٦] انظر نفسه، ص١٥٧.

المحاور إبطالاً صحيحاً، بدل التشويش على رأيه بنظير هذه الأساليب المشاغبة من استهزاء وسخرية".[٢٠٧]

وقد يستخدم المحاج أسلوب السخرية إذا ضاقت به سبل المقارعة، فيأخذ الحجة المناقضة ويحولها إلى صورة ساخرة.

[٢٠٧] رشيد الراضي، **الحجاج والمغالطة، من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار**، ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٢، ص٣٠.

خصائص الشعر الزبيريّ:

لم تتوافر لشعراء الزبيريين خصائص كثيرة، ونستطيع حصرها في ثلاثة نقاط:

١-من الخصائص التي تميزوا بها، استغلال الغزل بمحارم العدو من أجل إغاظته لاعن عاطفة أو حب بل ادعاء باطلاً، ويعد ضرباً من ضروب الكيد والهجاء للخصم، وهذا الأمر وجد في العصر الجاهليّ، ولكن الإسلام أبطله، ثم عاد في العصر الأمويّ وبدأ به عبد الرحمن بن حسان إذ شبب برمله بنت معاوية[٢٠٨]، وتبعه في ذلك عبدالله بن قيس الرقيات حيث تغزل بزوجة الوليد بن عبد الملك المعروفة بأم البنين، وهذا ما أغضب زوجها وأباها وبني أمية، فأهدر دمه لولا شفاعة أم البنين نفسها، يقول: (**الوافر**)

أَلا هَزِئَت بِنَا قُرَشِي ... يَةٌ يَهتَزُّ مَوكِبُهـــــا

رَأَت بي شَيبَةً في الــرَّأ ... سِ مِنّي ما أُغَيِّبُهـــا

فَقالَت: ابنُ قَيسٍ ذا؟ ... وَغَيرُ الشَّيبِ يُعجِبُها

رَأَتني قَد مَضى مِـــنّي ... وَغَضّاتٌ صَوَاحِبُهـا

وَمِثلِكِ قَد لَهَـوتُ بِهَا ... تَمَامُ الحُسنِ أَعيَبُهـــا

لَها بَعلٌ غَيُورٌ قـــــا ... عِدٌ بِالبابِ يَحجُبُهـا

يَرَاني هَكَذَا أَمشِـــي ... فَيُوعِدُها وَيَضرِبُهَـا

ظَلِلتُ عَلَى نَمَارِقِهَـا ... أُفَدّيها وَأَخلُبُهـــــا

أُحَدِّثُهَا فَتُؤمِـــنُ لي ... فَأَصدُقُها وَأَكــذِبُهَا

فَدَع هَذا وَلَكِنْ حا ... جَةٌ قَد كُنتُ أَطلُبُها

إلى أُمِّ البَنينَ مَــتى ... يُقَرِّبُها مُـــــقَرِّبُها

---

[٢٠٨] انظر الحوفي، **أدب السياسية في العصر الأموي**، ص٢٠٧-٢٠٨.

أَتَتنِي في المنَامِ فَقُل ت هَذا حينَ أُعقَبُهَـــا [٢٠٩]

إلى آخر الأبيات.

بعد التغزل بها يعود ليمدح أبناء الزبير، ويصل بهذا إلى أعلى درجات الغيض عند الخصم.

٢-تنوع موضوعاتهم الشعريّة فلم يقتصر شعرهم على الدعوى السياسيّة؛ بل شمل الغزل والمديح والهجاء...إلخ.

وقد اتفقوا في هذه الخاصية مع شعراء الحزب الشيعيّ والأمويّ، واختلفوا مع الخوارج، ومن غزل عبدالله بن قيس الرقيات: (**الوافر**)

أتكنى عَن رُقَيّة أم تَبُوحُ وَمِن تَبَعِ الهَوَى حَيناً فُضوُحُ

أَعُوذُ بِحُجزَتَيْكِ رُقيَّ إمّا نَوَالٌ مِنكِ أو قَتلٌ مُرِيـــحُ

إذا ذُكِرَت سَمِيَّتُها كَأنّي أرَى كَبِدِي يُليحُ بِهَا مُليحُ [٢١٠]

ولا يمنع من أن نجد غزلا أو هجاء أو فخرا أو مديحا أو رثاء، يُرجى من خلفه هدف سياسيّ، كما تقدم في الغزل الكيديّ.

٣- شعرهم الذي يمكن أن نسميه- تجاوزاً- شعراً سياسياً هو عبارة عن شعر في الحماسة أكثر منه في السياسة.

---

[٢٠٩] الرقيات، **ديوانه**، ص٧٤-٧٥.

[٢١٠] نفسه، ص٩٦.

الفصل الرابع

(الحجاج في شعر الأمويين)

١) نشأة الدولة الأموية.

٢) أهم شعرائهم واختلاف أهوائهم.

٣) الحجاج في شعر الأمويين.

٤) خصائص الشعر الأموي.

نشأة الدولة الأموية:

كان التنافس على المجد والشرف شديداً بين بني أمية وبني هاشم منذ الجاهلية، وهم أبناء العم، يلتقيان في النسب عند عبد مناف بن قصي بن كلاب.

وقد اعتاد كلاهما على شرف السيادة والزعامة، فقد كان بنو هاشم يشرفون على الكعبة وسقاية الحجيج، وبنو أمية ذهبوا بالتجارة والقيادة في الحروب؛ لذلك يرى كل منهما في نفسه السيادة والرياسة.

فلما ظهرت نبوة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، أثار هذا الأمر الأمويين، وزعماءهم خاصة كأبي سفيان صخر بن حرب، وبدأ في التصدي للنبي عليه الصلاة والسلام، والتحريض عليه وعلى المسلمين الذين معه، فكان متمسكاً بشركه مقاوماً للإسلام والنبي، حتى أسلم في عام فتح مكة.

جمع الرسول الكريم القبائل تحت راية الإسلام، لا عصبية ولا تنافر، إنما إخوان في الإسلام، حتى توفي عليه الصلاة والسلام، فكان أمر المسلمين شورى بينهم، وأول خليفة للمسلمين أبو بكر الصديق، وثاني خليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما-، فكان بنو أمية يضمرون في صدورهم أماني الزعامة والسيادة، التي كانت لهم في الجاهلية يودون لو أنها تعود، إلى أن قتل عمر -رضي الله عنه-، وتولى الخلافة من بعده عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، وهو أول الأمويين في الخلافة، فسكنت نفوس الأمويين برجوع الملك إليهم، فكانت سعادتهم كبيرة بعودة السيادة إليهم من جديد، حيث كانت طموحاتهم مبطنة لا يجرؤون على المطالبة بها، لأن العصبية أزيلت، وأمر المسلمين شورى بينهم فيمن هو أحق بالخلافة من ناحية التقوى والدين، وليس من ناحية النسب.

و "أما بنو أمية فقد رأوا الأمر عاد إليهم، ويجب ألا يفلت من أيديهم أبداً،... وأن أبا سفيان صخر بن حرب دخل دار عثمان عقب بيعته ومعه بنو أمية، فقال أبو سفيان -وكان قد عَمِي-: أفيكم أحد من غيركم؟ قالوا: لا، قال: (يا بني أمية، تلقفوها تلقف الكرة، فو الذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم

وراثة) فانتهره عثمان وساءه ما قال، وبلغ ذلك المهاجرين والأنصار، وكان منه ملاحاة شديدة".[٢١١]

فلما قتل عثمان وثارت الفتن وبويع علي رضي الله عنه، خشيت بنو أمية أن تخرج الخلافة من أيديهم، فرفضوا مبايعة علي رضي الله عنه، بحجة الأخذ بثأر عثمان واستشهد معاوية رضي الله عنه بقوله تعالى: (وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا)[٢١٢]. فأقام حجته على هذا الأساس أنه ولي عثمان –رضي الله عنه–، وعثمان قتل غدراً، فلابد من معاقبة القاتلين أولاً، وإلا لن نرضى البيعة.

فرفض معاوية رضي الله عنه وكبار بني أمية مبايعة علي رضي الله عنه، ومما أطمع معاوية رضي الله عنه في الخلافة أنه حكم بلاد الشام منذ زمن ليس بقليل، وكان له مكانة عالية في قلوب الرعية؛ لأنه كان سياسيا ذكيا يستلطف النفوس ويستميل القلوب، وقد عرف أهل الشام وعرفوه، فلم نجد من أهل الشام من عارضه في أمره، خاصة أن معاوية رضي الله عنه أثار الناس عندما عرض قميص عثمان رضي الله عنه وعليه الدم، وأصابع زوجته التي قطعت حينما حاولت رد الثوار عن زوجها.

بعد بيان حجج كل منهما، وعدم الوصول إلى اتفاق يرضي الطرفين، كان لابد من المواجهة الحربية، فحدثت معركة (صفين)، وكانت معركة شديدة، وكاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ينتصر لولا أن طالب معاوية رضي الله عنه بالتحكيم.

فما كانت نتيجة التحكيم؟

كانت النتيجة أن عثمان قتل مظلوما، وأن النزاع يجب أن ينتهي بخلع علي رضي الله عنه وترك الأمور شورى بين المسلمين، فاضطر علي رضي الله عنه للقبول بهذا

---

[٢١١] الشايب، **تاريخ الشعر السياسي** ، ص٢٨٩.

[٢١٢] سورة **الإسراء**، آية ٣٣

التحكيم، إذ تعهد في الصحيفة التي كتبها أن يقبل بحكمها، ولكنه في الواقع لم يرض عنها.

فانشق بعض جيش علي رضي الله عنه عنه، و أطلق عليهم بعد ذلك الخوارج، وكان مقتل علي رضي الله عنه على يد أحد رجال هؤلاء الخوارج.

بعد مقتل علي رضي الله عنه بايع الناس الحسن ابنه، ولكنه حفاظاً على دماء المسلمين ووحدة الصف تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، وبذلك قامت الدولة الأموية سنة ٤١هـ.[٢١٣]

تحويل الخلافة من شورى بين المسلمين إلى وراثة:

لما استقر الحكم لمعاوية رضي الله عنه تطلعت نفسه إلى تثبيت الحكم، ودق وتاده في البيت الأموي، فكان واليه على الكوفة المغيرة بن شعبة، أشار عليه بتوريث الحكم لابنه، فاستحسن الفكرة وعمل على تمهيدها للبيت الأموي أولاً، ثم للشعب ثانياً، حيث كتب لمروان بن الحكم والي المدينة يقول: "إني كبرت سني، ودق عظمي، وخشيت الاختلاف على الأمة من بعدي، وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدي، وكرهت أن أقطع أمراً دون مشورة من عندك. فاعرض ذلك عليهم وأعلمني بالذي يردون عليك"[٢١٤]. فكانت حجته الخوف على الأمة الإسلامية من بعده، وأن يختلف المسلمون فيما بينهم، وتسفك الدماء تنازعاً على السلطة مثلما حدث بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

---

[٢١٣] انظر الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٤، ص٥٦٣-٥٦٥-٥٧٣-٥٧٥. وطليمات، والأشقر، **الشعر في العصر الأموي**، ص٢٠-٢١. والشايب، **تاريخ الشعر السياسي**، ص٢٨٦-٢٩٣. ويوسف العش، **الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان**، الإعادة الخامسة المطابقة للطبعة الثانية، دمشق: دار الفكر، ١٩٩٨، ص١٠١-١١١.

[٢١٤] ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ص٣٥١.

فكان يحاول تحسس ردود الأفعال قبل الإعلان بشكل رسمي عن توريث الحكم لابنه؛ لأنه يعلم أن هذا الأمر سوف يثير الأغلبية، خاصة أن هناك من هو أجدر من يزيد لأخذ الخلافة. يقول أبو الفرج: "كان يزيد بن معاوية يؤثر مسكيناً الدرامي، ويصله، ويقوم بحوائجه عند أبيه. فلما أراد معاوية البيعة ليزيد تهيب ذلك، وخاف ألا يمالئه عليه الناس لحسن البقية فيهم وكثرة من يرشح للخلافة. وبلغه في ذلك ذرءٌ كلامٌ كرهه من سعيد بن العاص، ومروان بن الحكم، وعبد الله بن عامر. فأمر يزيدُ مسكيناً أن يقول أبياتاً ينشدها معاوية في مجلسه، ووجوهُ بني أمية حضور، فأنشد أبياتاً يقول فيها:

ألا ليت شعري، ما يقولُ ابنُ عامرٍ ومروانُ أم ماذا يقولُ سعيدُ؟

بني خلفاءِ اللهِ، مهـــــــــلاً فإنما يُبوئُها الرحمنُ حيثُ يــريدُ

إذا المِنبرُ الغربيّ خـــــــــلاَّه ربُّــه فإن أميرَ المؤمنين يزيـــــدُ" [٢١٥]

كان يعلم أن هؤلاء الثلاثة الذين ذكرهم هم أجدر بالحكم من يزيد، لخبرتهم الطويلة في الولاية التي تسلموها.

بذلك نرى أن الدولة الأموية حصرت الخلافة بين أبناء بني أمية، واستأثروها لأنفسهم دون سائر المسلمين، وهم الذين كانوا في البداية يطالبون بالشورى، وهذا يبين أن حكام بني أمية هم طلاب دنيا لا دين، "وانتقال الخلافة إلى الأمويين لم يقض على كل المشاكل، فإن روح الخلافة الراشدية استمرت عند علماء الدين في شكلها الحقيقي متصديةً معارضةً، واستمرت عند الخوارج في شكلها المبالغ المتطرف مصارعة مقاتلة. ووقف العراق والحجاز يتحسران على ضياع الحكم منهما فيحاولان إعادته. وتصدى العلويون لبني أمية لأنهم استخلصوا الحكم من أيديهم. وأحدثت آراء ابن سبأ أثرها هنا وهناك فخلقت مشاكل للأمويين". [٢١٦]

---

[٢١٥] الأصفهاني، **الأغاني**، ج٢٠، ص١٢٧.

[٢١٦] العش، **الدولة الأموية**، ص١٣٤.

نجد أن حكام بني أمية أربعة عشر، ثلاثة من بيت أبي سفيان، وأحد عشر من بيت مروان بن الحكم، وأول من تسلم الحكم الأموي معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠) وآخرهم مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢) وبذلك نرى أن الدولة الأموية صمدت كثيرا بوجه الفتن والاضطرابات والثورات التي كانت تعصف بالدولة بين حين وآخر.

تسلسل الحكام الأمويين ومدة حكمهم:

١-معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ).

٢-يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ) أول وريث للحكم.

٣-معاوية بن يزيد (من شهرين إلى ثلاث) رفض نظام الوراثة بالحكم، وترك الأمر شورى بين المسلمين.

٤-مروان بن الحكم (٦٤-٦٥) أول حاكم من البيت المرواني ومنه انتقل الحكم من البيت السفياني إلى البيت المرواني.

٥-عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ).

٦-الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ).

٧-سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ).

٨-عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١ هـ).

٩-يزيد بن عبد الملك(١٠١-١٠٥هـ).

١٠-هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ).

١١-الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦هـ).

١٢-يزيد بن الوليد بن عبد الملك (من رجب ١٢٦-إلى ذي ال حجة١٢٦هـ).

١٣-إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦-١٢٧هـ).

١٤-مروان بن محمد بن مروان (١٢٧-١٣٢هـ).

أهم شعرائهم واختلاف أهوائهم:

من أهم شعراء بني أمية أصحاب النقائض الثلاث (جرير-الفرزدق-الأخطل) إضافة إلى مسكين الدرامي، وأبو العباس الأعمى، وأعشى ربيعة، وغيرهم، وسوف نأتي على ذكرهم عند استعراض الحجاج في شعرهم.

شعراء الحزب الأموي يتميزون بالنفعية بشكل عام فهم يمدحون وينافحون، إما طمعاً في العطايا والمكانة، وإما خوفاً من بطش بني أمية فيمدحون ليبينوا أنهم معهم ضد الأحزاب الأخرى؛ لكي يشعروا بالأمان، "وقلما تجد من يمدحهم على أصل مذهبي ماعدا ابن الرقيات، إذا صح أنه آمن بهم من حيث إنهم قريشيون، وأبا العباس الأعمى مولى بني الدجل من كنانة، ذلك الذي حفظ لهم الود بعد زوال ملكهم، ومنهم من نافقهم وصرح بذلك كإسماعيل بن يسار"[٢١٧]، و عبدالله بن قيس الرقيات لم يمتدح الأمويين إلا بعد وفاة عبدالله بن الزبير، فعاد إليهم لأنه يريد أن يكون بجانب من بقي من القرشيين.

كل ما يهمنا من هذا الأمر هو معرفة نشأة هذا الحزب والظروف التي عايشها، وحججهم التي بنوا عليها دولتهم، ورددها أتباعهم من الشعراء. ومن أهم حججهم التي نستخلصها من خلال الأحداث السابقة، حجة علي: إنه الخليفة فلابد أن يطاع، وينصاع إليه معاوية رضي الله عنه والذين معه. وحجة معاوية: إنه ولي عثمان رضي الله عنه ووريثه فلابد من الأخذ بثأره أولاً، وخلف هذه الحجة غاية أدهى، وهي الاستيلاء على الحكم ونقله إلى البيت الأموي.

[٢١٧] الشايب، **تاريخ الشعر السياسي**، ص٢٩٥.

الحجاج في شعر الأمويين:

نجد الحجاج الأموي يتميز بصياغته الأسلوبية القوية، التي ميزت حججهم ودعمتها من ناحية السياق وليس من ناحية العرض؛ فقد اعتمدوا كثيراً في حججهم على المراوغة ومخادعة المتلقي، وزخرفة حديثهم، فنراهم يلوكون البراهين مرغمينها على خدمة بني أمية.

وأكثر البراهين التي استخدموها في دعواهم: حجة السلطة من الناحية الدينية والنسبية، وحجة المقارنة بينهم وبين خصومهم.

وأوردوا حجج المقارنة كثيراً بين آل حرب وآل الزبير، وموقف معاوية وعلي من دم عثمان رضي الله عنهم.

حجة المقارنة:(Argumentation of comparison)

استخدم شعراء بني أمية المقارنة بينهم وبين الأحزاب الأخرى وخاصة الزبيريين والهاشميين، باعتبارهم من بني هاشم فلا بد من إيضاح الفروقات التي تميز بها الأمويون عن البطون الأخرى، وكيف استحقوا الخلافة أكثر من غيرهم.

قد تكون المقارنة أيضاً تهدف إلى مخاطبة المتلقي الآخر، الذي اقتنع بحجج الأحزاب الأخرى، فيعمل على بناء مقارنة ضدية بين هذا الحزب، وبني أمية، فيجعل جميع الصفات الحسنة لأصحابه، ويذم الأحزاب الأخرى، محاولاً صد الآخر عن الاقتناع بغير الأمويين.

يقول النابغة الشيباني: (**المنسرح**)

أزحتَ عنا آل الزُّبَيْرِ ولــو ... كان إمامٌ سواك ما صلـــــحوا

وآلُ أبي العاصِ أهلُ مأثُرةٍ ... غُرٌّ عِتاقٌ بالخير قد نَفَحـــــوا

خيرُ قُريشٍ وهُم أفاضلُـها ... في الجِدِّ جِدٌّ وإن هُمُ مَزَحـــــوا

أَمَّا قُريش فأنتَ وارثُـــها تكُفُّ من شَغبِهم إذا اطَمَحوا [٢١٨]

نجد الخطاب في البداية موجهاً لبني أمية، وكأنه يجزل لهم الشكر والثناء؛ لأنهم أزاحوا هماً ثقيلاً عن الأمة الإسلامية وهم آل الزبير؛ وذلك لعدم صلاحيتهم للحكم، فكان موقف الأمويين تفضلاً منهم وحماية للمسلمين.

ثم يحدث الانحراف المفاجئ في الخطاب إلى متلق آخر، يعدد له مآثر آل أبي العاص ويبين له لماذا استحقوا هذه الخلافة ليذعن لهم الناس، فهم خير قريش وأفضلهم (المضمر: أفضل من الهاشميين والزبيريين لكونهم من القبيلة نفسها) لماذا؟ لأنهم جادون حازمون حتى في أفراحهم. وإذا كانوا هم أفضل قريش فلابد من أن الشاعر يتبع هذا التفضيل نتيجة للحجة الأولى: إنهم ورثة قريش. النقيض المضمر: نفي حق الوراثة عن آل هاشم وآل الزبير.

لماذا استحقوا الوراثة؟ لأنهم يعرفون كيف يتعاملون مع الشغب الذي يهز الدولة ويكبح جماح الطمع الذي يلم بالخلافة.

فكانت المقارنة هنا بين الأمويين من جهة، وبني هاشم والزبيريين من جهة أخرى.

وقد يتجه المحاج الأموي إلى المقارنة الضمنية فلا يصرح بالطرف الآخر، ولكن قد يأتي بشيء من لوازمه التي تدل عليه، مثل قضية (الثأر لعثمان)، فنحن نعلم أن عليا – رضي الله عنه– في بداية حكمه لم يسعَ خلف الثوار الذين غرقوا في دم عثمان، وذاك كان أحد أسباب عصيان معاوية ورفضه مبايعة علي رضي الله عنهما. يقول الأخطل إشارة إلى ذلك: (**البسيط**)

ويومَ صِفّينَ والأبصارُ خاشِـعَةٌ امدَّهم إذ دَعَوا مِن ربِّهم مَـــــدَدُ

على الأُلى قتَلوا عُثمانَ مَظلِمةً لَم يَنهَهُم نَشَدٌ عنهُ وقَد نُشـــدوا

[٢١٨] النابغة عبد الله بن المخارق، **ديوانه**، ط١، القاهرة: دار الكتب المصرية،١٣٥١، ص١٠٦-١٠٧.

فثَمَّ قَرَّت عُيونُ الثائرينَ بِـــــهِ وأدركوا كُلَّ تَبلٍ عِندَهُ قَـــــــوَدُ*

فلَمْ تَزَلْ فَيْلَقُ خَضْراءُ تَحْطِمُهم تَنْعى ابنَ عَفّانَ حتى أفْرَخَ الصَّيَدُ[٢١٩]

أول دلالة تقابلنا قوله يوم صفين، فهذه المعركة تدل على الهاشميين، لأنها وقعت بينهم وبين بني أمية. ومن أسبابها المعلنة: المطالبة بدم عثمان، فنجده يتهمهم بالتراخي عن الاقتصاص لعثمان من قاتليه، وفي المقابل يصور موقف الطرف الآخر (الأموي): وهو الدفاع عن الخليفة المغدور، وفاء له، وتطبيقا لمتطلبات البيعة كما يزعمون، ففي المقارنة وضح اختلاف الموقفين بين الحزبين في هذه القضية، التي عدها الشعراء من الحجج التي تصاغ لصالح بني أمية.

القضية التي أقيمت عليها المقارنة:

الموقف:	الموقف المضاد:
السكوت عن الحق وإطلاق الثوار.	المطالبة بالحق وعقاب الثوار.

النتيجة

من يبحث عن الحق ولا يصمت عن الظلم يستحق الحكم.

وإن أضمر الأخطل قصده ليس خوفاً إنما لإمتاع المتلقي وتحريك عنصر التشويق من خلال الربط والاستنتاج، وحتى لا يمل المستقبل من تكرار البراهين في كل مرة يحتج بها، وفي موضع آخر نجده يصرح بعدوه: (**البسيط**)

فاللهُ لم يَرضَ عَن آلِ الزُّبَيـــــرِ ولا عَن قَيسِ عَيلانَ طالَما خَـــــرَبُوا

---

* تبل: الثأر. قود: قصاص.

[٢١٩] الأخطل غياث بن غوث، **ديوانه**، تحقيق فخر الدين قباوة، ط٤، دمشق: دار الفكر، ١٤١٦هـ، ص٣٠٥.

يُعاظِمُونَ أبا العاصِي وهُم نَفَـــرٌ في هامَةٍ مِن قُريشٍ دونها شَـــذَبُ*

بِيضٌ مَصالِيتُ أبناءُ المُلوكِ فلَـــن يُدرِكَ ما قَدَّمُوا عُجمٌ ولا عَـــرَبُ*

إن يَحلُمُوا عَنكَ فالأحلامُ شِيمتُهُم والمَوتُ ساعةَ يَحمَى مِنهُمُ الغَضَبُ [٢٢٠]

جاءت هذه المقارنة من الناحية المقامية، فمكانة بني أمية عظيمة لا يصل إليها أحد؛ إلى درجة أن الله غضب من الأطراف الأخرى التي تحاول التطاول عليهم، فأقحم الدين لتأكيد حجته بإسناد قوي، كما أنه عمد إلى التقليل من مكانة الخصم، من خلال تعظيم المقابل لهم ووضعهم على قمة القبيلة، فيكون الآخر دونها بالتأكيد، وبذلك يستنتج المتلقي أنهم هم أصحاب القيادة لعلو مكانتهم فوق الكل، ذلك بأنهم فعلوا ما لم يأت به أحد من العجم والعرب، وهذه مبالغة من أجل تضليل المستقبل.

يعدد أهم النقاط التي بها استحقوا الريادة على الكل:

١-أبناء ملوك، اعتادوا على الملك وسياسته.

٢-أصحاب حلم، وهذه الصفة من شيمة العقلاء.

٣-إذا غضبوا انتقموا.

هنا يعطي النتيجة أولاً ثم يردفها بالأسباب، ولعله أراد الاستحواذ على انتباه المتلقي.

ونجد جريرا أيضا تتراوح حججه ما بين الإفصاح والتلميح بالرموز، فيقول من باب المقارنة: (الوافر)

تَرَى نَصرَ الإمامِ عَلَيكَ حَقّاً إذا لَبَسُوا بِدينِهِمِ ارتيَـــابَا

- شذب: العود، وشذبته بمعنى لحواً.
- مصاليت: المسرع المنصلت في الأمور.

[٢٢٠] الأخطل، **ديوانه**، ص٧٠.

عَفارِيتُ العِراقِ شَفَيتَ مِنهُم فَأَمسَوا خَاضِعِينَ لَكَ الرِّقَابَا

إذا أخَذوه وَكَيْدُهُمُ ضَعِيفٌ بِبـــابٍ يَمكُرُونَ فَتحتَ بَابَا [٢٢١]

نجده هنا يرمز لهم بمدينتهم (العراق)، فمن يسمعها يعلم أنه يريد الشيعة، فيعمل على المقارنة التي نلمح فيها شيئاً من الاستشفاء بما جرى للخصم من عقاب، فيصف بني أمية بالحلم والقوة، ويقابلها بسفاهة العدو وضعف كيده.

فيدعو إلى نصرة بني أمية، ويرى أنه حق عليهم في حال انحراف الآخر عن الدين، فهذه تعد من الحجج الضدية التي طعن بها العدو، وكان تسلسل البنية الحجاجية كالتالي:

أولاً/ قدم الأطروحة وهي نصرة الإمام.

ثانياً/ بين السبب وجعله متصلاً بالدين لينال موافقة الجمهور.

ثالثاً/ عقد المقارنة بين الطرفين، بغية إرباك المتلقي للاختيار بين اثنين لا ثالث لهما.

ونجد جريراً في موطن آخر يصرح بالعدو دون رموز، فيقول: (**الوافر**)

أَلَستُم خَيرَ مَن رَكِبَ المطَـــايا وَأندَى الـعَالمِينَ بُطُـــونَ راحِ

أبَحتَ حِمَى تِهَامَةَ بَعدَ نَجـــدٍ وَمَا شَيءٌ حَمَيتَ بِـــمُستَبَاحِ

دَعَوتَ المُلحدِينَ أبَا خُبَيـــبٍ جِماحاً هَل شُفِيتَ منَ الجمَاحِ

فَقَد وَجَدُوا الخَلِيفَةَ هِـــــبرزيّاً أَلَفَّ العِيصِ ليسَ من النّواحي*

فما شَجَراتُ عِيصِكَ في قُرَيْشٍ بِعَشّاتِ الفُرُوعِ وَلاَ ضَـــواحي [٢٢٢]

---

[٢٢١] جرير، **ديوانه**، ص٣٠.

*العيص: الشجر الملتف الكثير، وهو منبت خيار الشجر. والعيص، الأصل.

[٢٢٢] جرير، **ديوانه**، ص١١٠.

يفتتح حجته بمدح مبالغ لصاحبه، وأنه خير الناس جميعاً، وبلغ في القوة أنه يستبيح كل أرض ولا تستباح أرض تحت حمايته، ثم ينتقل إلى الشماتة بالعدو والاستهانة به، ولا يخجل من نعت عبدالله بن الزبير بالملحد (حتى جاء عمر بن عبدالعزيز ومنع ذلك)، وهذا يدل على ارتياح المحاج في مقارعة الحجة وأمنه من العقاب؛ لأن الأمويين شجعوا على التعدي والطعن بالعدو، وما يؤكد لنا ذلك سماحهم بسب علي رضي الله عنه على منابر المساجد، كما ذكرنا سابقاً، فكل ما يهمهم هو تحطيم المنافس والاستحواذ على الخلافة.

في البيتين الأخيرين تكرار للمعنى نفسه، وإن اختلفت الألفاظ، فالبيت الأول: إن هذا الخليفة الأموي معدنه من الذهب الخالص، دلالة على أصالة الحسب والنسب.

البيت الثاني يؤكد السابق: إن أصل الخليفة نابع من شجرة المجد لا من الفروع الضعيفة. وبهذا يشير إلى نقيض يريده وهو تفوق نسبه ومجده على عبدالله بن الزبير، وبهذا يضع عبدالله بن الزبير وعبد الملك بن مروان في ميزان المقارنة.

يريد من خلال تكرار المعنى تأكيد القصد، وهذا ما أشار إليه قدامة بن جعفر في أنواع نعوت المعاني المبالغة، وهي "أن يذكر الشاعر حالاً من الأحوال في الشعر ولو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده، فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ في ما قصده".[٢٢٣]

ينتقل الشاعر من حجة مقارنة النسب التي صنعوها، إلى حجة أخرى في المقارنة وهي: كرم الأموي وبخل الآخر. يقول عبد الله بن الزبير الأسدي الذي غضب على عبدالله بن الزبير لأنه لم ينل من عطائه:(**الوافر**)

أرى الحاجاتِ عندَ أبي خُبَيبٍ نَكِدنَ ولا أميَّةَ في البـلادِ

من الأعياصِ أو من آل حَربٍ أغرّ كغرَّةِ الفرسِ الجـوادِ

[٢٢٣]قدامة بن جعفر، **نقد الشعر**، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، ص١٤٦.

ومالي حينَ أقطَعُ ذاتِ عِـرقٍ إلى ابنِ الكاهليةِ من مَعَادِ

وقلتُ لِصُحبتي أُدنوُا رِكــابِي أفارقُ بطنَ مكةَ في سَوادِ [٢٢٤]

"لاشك أن التوازي والتقابل اللذين ينطوي عليهما التصوير...، أفضى إلى تعميق السخرية من شخصية البخيل ورسم صورته الجاحدة على نحو مؤثر".[٢٢٥]فحجته أن عبدالله بن الزبير قابض اليد حتى في الحاجات اللازمة، على العكس منه بنو أمية فلا يوجد من وصل إلى كرمهم في البلاد. ونستطيع أن نقول عن هذه الحجة إنها حجة نفعية؛ لأن هذه الأبيات قيلت مباشرة بعدما طلب الشاعر من عبدالله بن الزبير المال فرفض، وهو يتعجب من نفسه كيف جاء إلى هذا البخيل وترك أبناء الأعياص أصحاب البذل السخي. ويقول سلم بن زياد في المعنى نفسه: (**الطويل**)

أبِيع بني حَربٍ بآل خُوَيــــلدٍ وما ذاكَ عند اللهِ في البيعِ بالعـدلِ

وأشرِي ابنَ مروان الخليفةَ طائعاً بنَجل بني العَوَّام قُبِّح مـــــن نَجل

فإن تُظهِروا لي البخلَ آلَ خُوَيلدٍ فما دَلُّكم دَلِّي ولا شَكلُكم شكلي [٢٢٦]

فهذه المقارنة يوجد بها استهزاء واستهانة بالخصم في مقابل إعلاء المحتج ورفعته، يتساءل بتعجب كيف يكون بيع آل أمية الأعزاء ببني خويلد الذين لا يرتقون إليهم! فهذا بيع جائر لا يرضاه الله، فيعلن الطاعة والبيعة لابن مروان، وينكر على من يطالبه بمبايعة آل الزبير. فدلالات التقليل من رفعة الخصم:

---

[٢٢٤] عبد الله بن الزبير الأسدي، **ديوانه**، جمع وتحقيق يحيى الجبوري، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٣٩٤هـ، ص١٤٧.

[٢٢٥] محمد مشبال، **البلاغة النادرة**، ط٢، طنجة: دار جسور للطباعة والنشر،٢٠٠١، ص٥٢.

[٢٢٦] الأصفهاني، **الأغاني**،ج ٩، ص٢٤٥.

آل خويلد: ينعتهم الشعراء عند الهجاء.

بهذا تتضح لنا الدلالات المساعدة في حجة المقارنة عند الشاعر الأموي:

بني أمية	كرم	شجاعة	نسب عال	حلم	حكمة
الخصم	بخل	ضعف	نسب دوني	تماد	سفاهة

- **الحجة السببية: (Causal argument)**

نجد شعراء بني أمية يفسرون أسباب ميلهم إلى أمية، ورفضهم الآخر، ويسعون بتفسيراتهم إلى معانقة المنطق، وأنهم على حق في أمرهم هذا، مثلما وجدنا عند كعب بن جعيل التغلبي الذي صاغ أسباب محاربتهم لعلي ومبايعة معاوية رضي الله عنهم. يقول: **(المتقارب)**

أَرَى الشَّامَ تَكرهُ أَهلَ العِرَاقِ وَأَهلَ العِرَاقِ لَهُم كَارِهَينَـــــا

وَكُلاًّ لِصَاحِبِهِ مُبغضـــــا يَرَى كُلَّ مَا كَانَ مِن ذَاكَ دِينَا

إِذَا مَا رَمَونَا رَمَينَاهُـــــمُ وَدِنَّا هُمُ مِثلَ ما يُقرِضُـــــونَا

فَقَالُوا: عَليٌّ إِمَامٌ لَنَـــــا فَقُلنَا: رَضِينَا ابنَ هِندٍ رَضِينَـــا

وقلنَا: نَرَى أن تَدِينُوا لَنـــا فقَالوا لنا: لاَ نَرَى أَن تَدِينَـــا

وَمِن دُونِ ذلِك خَرطُ القَتَادِ وَضَربٌ وَطَعنٌ يُقِرُّ العُيُوتَـــا

وكلٌ يُسَرُّ بما عنـــــده يرى غثَّ ما في يديه سمينـــا

وما في عليٍّ لمستعتِـــــبٍ مقالٌ سوى ضَمِّهِ المحدثِينـــا

وإيثارِهِ اليومَ أَهلَ الذُّنـــوب ورفعِ القِصاص عن القاتلينـــا

إذا سِيلَ عنه حدا شُبـــهةً وعَمَّى الجوابَ على السَّائلينـا

فليس براضٍ ولا ساخـــطٍ ولا في النُّهَاةِ ولا الآمرينـــــا

ولا هو ساءَ ولا ســـــرَّهُ ولابدَّ من بعض ذا أَن يكـونا [٢٢٧]

يصور حال أهل العراق والشام وأن كلاً منهما كاره للأخر، وكلاهما يؤيد صاحبه بشدة، ولن يستجيب أي منهما لدعوة الآخر. فالشاعر عمل على صياغة الحجة السببية بشكل مخادع يوهم السامع أن علياً لا عيب فيه، ثم يبدأ في تعداد هذه العيوب التي تنقص من علي رضي الله عنه وتعيبه، وهذه العيوب من أسباب رفضهم مبايعة علي رضي الله عنه وتمسكهم الشديد بمعاوية رضي الله عنه.

من الأسباب التفسيرية للموقف:

١-إنه يضم الصغار. ٢-يقدم أصحاب المعاصي. ٣-عدم تتبع قاتلي عثمان.

يقول: إن موقف علي رضي الله عنه من قتل عثمان رضي الله عنه مبهم غير مقنع، فلا هو السعيد ولا هو الحزين، ولا نهاهم عن قتله ولا أمرهم به، فهذا لا يعقل، فلابد أن يكون له رأي. فيتساءل الشاعر لماذا لم يظهر علي رضي الله عنه هذا الرأي؟ ولعل الشاعر يريد أن يلمح إلى أن عليا سعيد بمقتل عثمان؛ لذلك أخفى رأيه ولم يعاقب الثوار.

فالمحاج سلك دروب الدهاء في صياغة حجته السببية، فدخل على عيوب علي رضي الله عنه من باب الليونة واللطف، فعندما قال: إنه لا يرى في علي رضي الله عنه

[٢٢٧] نصر بن مزاحم المنقري، **وقعة صفين**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٠هـ، ص٥٧.

عيوبا، فظن السامع أنه يمدحه، ولكن جاء الاستثناء وأبطل ظن السامع، وضمن بذلك انتباه المتلقي وشدة تركيزه على المستثنى القادم، فكانت تلك العيوب، التي رسخت في أذهان السامع بعد الاستثناء.

أما تكرار (رضينا ابن هند رضينا)، يريد تأكيد الاقتناع التام بالبيعة دون رجوع، وأيضا قطع السبل، ومحاولات الإقناع من قبل الخصم الآخر، ويصور ثقته المطلقة بصاحبه، مما يجعل موقفه أقوى.

وذاك يتم عن مرسل أموي ذكي يعرف كيفية صياغة حجته بأسلوب مراوغ يخاطب مقامات المتلقي، وذو نفس طويل على السامع.

يقول الأخطل في أسباب حقهم في الخلافة: (**البسيط**)

كانوا مَوالَي حَقّ يَطلُبونَ بـــــهِ فأدرَكوهُ وما مَلّوا ولا لَغَبـــــوا*

إن تكُ للحَقّ أسبابٌ يُمَدُّ بهـــا ففي أكُفِّهِمِ الأرسانُ والسَّبَـــبُ

هُمُ سَعَوا بابنِ عَفّانَ الإمامِ وهم بَعدَ الشِّماسِ مَروها ثُمّتَ احتلبوا* [٢٢٨]

يقول: إنهم سعوا إلى الخلافة وأدركوها دون ملل أو هزيمة، ثم يؤكد أسباب حقهم؛ وهي طاعة عثمان في حياته، والمطالبة بثأره بعد مقتله.

- (أ) استحقاقهم للخلافة بسبب (ب) مطالبتهم بدم عثمان.

- إذن(ب) هي سبب(أ).

نجد الراعي النميري يعرض عدة قضايا يرفضها، ويحيل ذلك إلى سبب واحد يقول: (**الكامل**)

- لغبوا: أعيوا. الشماس: النفور.
- مروها: مسحوا ضرعها للحلب.

[٢٢٨] الأخطل، **ديوانه**، ص٧١.

ما زُرتُ آلَ أبي خُبيبِ وَافِدًا يَوماً أُرِيدُ لِبَيعَتِي تَبدِيـــــلا

وَلاَ أَتَيتُ نُجَيدَةَ بنَ عُـــوَيمِرٍ أَبغي الهُدَى فَيَزِيدَنِي تَضلِيـلاَ

مِن نِعمَةِ الرحَمنِ لا مِن حِيلَتِي إِنِّي أَعُدُّ لَهُ عَلَيَّ فُضُـــولاَ

وتَرَكتُ كُلَّ مُنَافِقٍ مُتَقَلـــبٍ وَجَدَ التلاَتِلَ دِينَهُ مَدخُـــولاَ

ذَخِرِ الحَقِيبَةِ مَا تَزَالُ قَلُـوصُهُ بَينَ الخَوَارِجِ هِزَةً وَذَوِيـــلاَ*

مِن كُلِّهم أَمسَى أَلَـمَّ بِبَيـــعَةٍ مَسحَ الأَكُفِّ تَعَاوَرُ المِندِيلاَ [٢٢٩]

يذكر موقفه من هؤلاء الأشخاص الذين ينافسون الأمويين على الخلافة: آل الزبير، نجيدة، عويمر، الخوارج. ويرفض مبايعتهم؛ وذلك لسبب أفصح عنه بعد هذا العرض: (**الكامل**)

قَتَلُوا ابنَ عَفانَ الخَلِيفَةَ مُحرِمـــاً وَدَعَا فَلَم أَرَ مِثلَهُ مَخـــذُولاَ

فتَصَدعَت مِن بَعدِ ذَاكَ عَصَاهُمُ شِقَقاً وَأَصبَحَ سَيفُهُم مَسلُولاَ [٢٣٠]

بعد عرض الحجج السببية لرفض هؤلاء يغتنم الفرصة ليقدم البديل لهم:(**الكامل**)

وَزَنَت أُمَيةُ أَمرَهَا فَدَعَت لَـــهُ مَن لَم يَكُن غُمرَاً وَلاَ مَجهُـولاً [٢٣١]

يبحث الراعي النميري في أطروحته عن المكان المناسب لوضعها، فمهد لها وقدم أسبابها ثم عرض قضيته بعد أن اطمأن على اتضاح الصورة عند المتلقي. وهذا الدليل ليس كافياً لاستحواذهم على الحكم دون غيرهم، فهذه سفسطة سببية تقوم على "القطع بوجود علاقة تناتج (سبب/ نتيجة) انطلاقاً من مجرد ملاحظة التعاقب بين

● ذخر الحقيبة: واهي الأمانة.

[٢٢٩] الراعي النميري عبيد بن حصين، **ديوانه**، جمعه وحققه راينهرت فاييرت، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية،١٤٠١، ص٢٣٣.

[٢٣٠] نفسه، ص٢٣١.

[٢٣١] نفسه، ص٢٣٢.

حدثين معينين، ووجه السفسطة في هذا المسلك يتمثل في أن التعاقب بين الأحداث لا يعني بالضرورة أن اللاحق متولد عن السابق تولد النتيجة من السبب، فقد يكون هذا التعاقب عرضياً غير معتبر، فيكون الأخذ به نوعاً من التغليظ الذي لا يجوز"[٢٣٢] فلو تأمل المتلقي الحجة بعيداً عن مراوغة الشاعر الأموي، لعرف أنها غير وافية.

- **الحجج القائمة على الاحتمال:**(**The argumentation by the probable**)

من حجج حزب الأمويين أنهم اختاروا آل أمية؛ لأنه يحتمل منهم إجادة الحكم وسياسته، إما لأن أجدادهم أسياد، وإما لصلتهم بالنبي، يقول الفرزدق: (**الطويل**)

لَدُن قُتِلَ المظلُومُ أن يَطلُبوا بـــهِ وَمَولى دَمِ المظلُومِ منهُم وَثَائِرُه

وَما زِلتُ أرجُو آلَ مَروَانَ أن أرَى لَهُم دَولَةً فالدّهرُ جَمٌّ دوَائـــــرُه

ومالَهُمُ لاَ يُنصَرُون وَمِنهُـــــــمُ خَليلُ النبيِّ المصطَفَى وَمُهَاجـرُه

مُلُوكٌ لهم مِيرَاثُ كُلِّ مَشُـــــورَةٍ وباللهِ طاوِي الأمرِ مِنهُم وَنَاشِرُه [٢٣٣]

يتمنى أن يرى استقرار دولة بني أمية، وإن تغير الدهر بأحداثه، فهو يرى احتمال نصرهم ودوامهم لأن أبابكر الصديق خليل النبي منهم، وعثمان ابن عفان المهاجر أيضاً، ولأنهم ورثة ملوك، فلابد أن يستمر حكمهم ويتغلبوا على نوائب الدهر.

- الاحتمال قائم على:
- الله ينصرهم؛ لأن خليل النبي وعثمان منهم.
- استمرار دولتهم رغم تغيرات الزمن، فأساسهم ملوك.

---

[٢٣٢] الراضي، **الحجاج والمغالطة**، ص٤٣.

[٢٣٣] الفرزدق همام بن غالب، **ديوانه**، ضبط معانيه وشروحه إيليا الحاوي، ج١، ط١، بيروت: دار الكتاب اللبناني،١٩٨٣هـ، ص٤١٦.

- **حجة تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له:(fallacy of Division)**

نجد هذه الحجة عند الأمويين تعتمد على الناحية التاريخية في توثيق الأحداث، ورصد الأفعال الجيدة التي صدرت عن الأجداد، فعليها يقيم الشاعر الحكم على الفرد من هذا الكل الجيد. يقول الفرزدق في مدح سليمان بن عبد الملك: (**الكامل**)

إنّا لَنَرجُو أَن تُعِيدَ لنَـــا سُنَنَ الخَلائِفِ مِن بني فِهرِ

عُثمانَ إذ ظَلَمُوهُ وانتَهكوا دَمَهُ صَبيحَةَ لَيلَةِ النـــحرِ

وابنَي أبي سُفيانَ إذ طلَبَـا عُثمانَ ما بَاتَا عَلى وتـــرِ

وَأبَا أَبِيكَ لِكُلّ جَائِحَـــةٍ مَروَانَ سَيفَ الدّينِ ذا الأُثرِ

وأبَاكَ إذ كشَفَ الإلهُ بهِ وأعَزّهُ باليُمْنِ والنّصـــــرِ

خُلفَاءَ قَد تَرَكُوا فرائضهُم فينَا وَسُنّةَ طَيبّي الذّكـــــرِ [٢٣٤]

يرجو منه أن يسير على نسق هؤلاء الخلفاء رضي الله عنهم الذين سبقوه في الحكم: عثمان الذي ظلم وسفك دمه، وأبو بكر، وعمر، ومعاوية وابنه يزيد اللذان طلبا الثأر لعثمان، ويطلب منه أن يعتد بجده مروان وأبيه عبد الملك الذي أضاء الدولة بالعلم والنصر، وأخيه الوليد الذي قاد المعارك وانتصر وأعز المسلمين.

الكل	الجزء	المعنى المراد	المقتضى
بنو فهر، قبيلة من أصل قريش*.	أبو بكر. عمر. عثمان.	إن هؤلاء من قبيلتك، وأجدادك، وقد اتبعوا سنة	هذا الكل نتج عنه الحكم العادل(إذن) لابد أن ينتج الجزء

[٢٣٤] الفرزدق، **ديوانه**، ج١، ص٤٣٨.

* هو فهر بن غالب بن النضر بن كنانة.

	معاوية. يزيد،مروان. عبدالملك، الوليد.	الرسول عليه السلام وحكموا بالقرآن وعدلوا بين الناس.	(سليمان بن عبد الملك) مثل الكل.

- **حجة السلطة: (Argumentation of Authority)**

إن السفسطة غلبت المنطق في حجج السلطة عند الأمويين، فنجدهم يحتجون بحجج يدرك المتعقل عدم مصداقيتها، مثلاً يفسرون أحداث القدر على أن الله أراد ذلك من أجل الأمويين، فقد أخذوا هذه المعاني والحجج من شعراء الشيعة مثل: فوزهم بالخلافة، لأن الله اختارهم وليس لأنهم احتالوا. مثل قول الفرزدق لسليمان بن عبد الملك: (**الوافر**)

فَقالَ اللهُ: إنّكَ أنتَ أعــلَى مِنَ المتَلَمسّين لَكَ الخَبَالاَ
فأعطَاكَ الخِلافَةَ غَيرَ غَصبٍ وَلَم تَركَب لِتَغصِبَهَا قِبَالاَ*
فَلَمّا أن وليتَ الأمرَ شـدّت يَداكَ مُرَةً لَهُمُ طِــوالاَ
حِبَالَ جمَاعةٍ وَحِبَالَ مُــلكٍ تَرَى لَهُمُ رَوَاسيهَا ثِقَالا [٢٣٥]

يحتج بسلطة دينية عليا وهي: الله عز وجل، وينسب إليه القول الذي يتخيله الشاعر نتيجة للقدر الذي حصل عليه الأمويون. هنا الأمويون وظفوا الجبرية لخدمة مصالحهم وأطروحاتهم.

- قبال: شسع النعل، يقول: إن الخلافة أتتك دون قتال ولامشقة وكان المتآمرون يحاولون أن يصرفونها عنك.

[٢٣٥] الفرزدق، **ديوانه**، ج٢، ص٢٣٣-٢٣٤.

الله رأى أنهم هم الأعلى من الذين ينافسونهم ويتمنون لهم الفشل، فنتج عن ذلك فعل وهو: أعطاهم الخلافة ويسرها لهم دون اغتصاب وقتال، ونتيجة لهذا العطاء استحكمت حبال الخلافة، فوجدكم أعداؤكم صعبا منالكم. فالحجة هنا سارت كالتالي:

رؤية ← يتبعها ← فعل ← يتبعها ← ردة فعل

إنك أنت الأعلى. فأعطاك الخلافة. شدت يداك حبال الملك.

يقول جرير في السلطة نفسها: (**البسيط**)

يا آلَ مَروَانَ إنّ اللهَ فَضّلكُم فَضلاً عَظيماً على مَن دينُهُ البدَعُ [٢٣٦]

فالشاعر يرجع أمر الخلافة إلى الله وأنه فضلهم؛ لأن الله يريد أن يستمر الإسلام دون بدع، فتخير من هم أهل لهذه المهمة وأقصى غيرهم.

يقول الأخطل لعبد الملك بن مروان: (**الطويل**)

وقد جَعَلَ اللهُ الخلافَةَ فيكُمُ لأبيَضَ لا عاري الخِوانِ ولا جَدبِ

ولكِن رآكَ اللهُ مَوضِعَ حَقِّهِ على رَغمِ أعداءٍ وصَدّادةٍ كُــذبِ [٢٣٧]

وقد أكثر الأمويون من هذه الحجج التي ترتبط باختيار الله لهم وتفضيلهم، ولعل ذلك يعود إلى "أن الأمويين أحسوا أن ما روجوه من أنهم استوجبوا الخلافة بقرابتهم من عثمان لا يشكل لهم نظرية متميزة في الخلافة، لأن حقهم في الطلب بدمه لا يجعل لهم الحق في وراثة الخلافة عنه، ولأن ما رَوَّجُوهُ كان أضعف من أن يقابل نظريات الأحزاب الأخرى في الخلافة، مثل نظرية الشورى عند الخوارج والقدرية ومرجئة الجبرية"[٢٣٨]، لذلك ذهبوا إلى أن الله اختارهم للخلافة ويسرها لهم.

---

[٢٣٦] جرير، **ديوانه**، ص٢٩٦.

[٢٣٧] الأخطل، **ديوانه**، ص٤٣.

[٢٣٨] حسين عطوان، **الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي**، ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٦، ص٢٠٦-٢٠٧.

نجد الفرزدق يصرح بأنهم أحق بالوراثة من الهاشميين، وهذا ما يؤكد لنا أنهم يريدون بهذه الحجة بني هاشم. فيقول: (**الطويل**)

جُعِلتَ لأهلِ الأرضِ أمناً وَرَحمةً وَبُرءاً لآثارِ القُرُوحِ الـــــكَــوَالِمِ

كمَا بَعَثَ اللهُ النبيَّ مُحَمّـــــداً عَلى فَترَةٍ والنّاسُ مثلُ البـــهائمِ*

وَرثتُم قَناةَ الملكِ غَيرَ كَـــلالَةٍ عَنِ ابنِ منافٍ عبدِ شَمسٍ وهاشِم [٢٣٩]

إنهم جعلوا للناس شفاء من أسقامهم، وأمنا ورحمة مثل الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جعل نوراً وضياء حينما كان الجهل يعم الجزيرة، فهنا يجعل لهم قداسة دينية إضافة إلى وراثة الملك.

أرى أن شعراء الأمويين اتجهوا إلى هذه الحجج المحيطة بهالة من القدسية، واختيار الله لهم، كونهم ضاقوا ذرعاً في الدفاع عن حق الأمويين بالخلافة، لقصر الحجج المنطقية لتأكيد هذا الحق، فلجأوا إلى هذه الحجة لتجنب التسويغ وتجاوز المأزق، فأرجأوه إلى الله.

فأخذوا يطرقون جميع السبل الممكنة والمغالطة؛ لمحاولة بيان استحقاقهم العرش، فنجدهم يتجهون أيضا إلى سلطة النسب، يقول النابغة الشيباني: (**البسيط**)

هدت أميةُ سُبلَ الحقَ تابعَها إن الأمور على ذي الشكِّ تَلتَبسُ

إذا قُرَيش سَمتْ كانوا ذوائبهَا وخَيرهَم منبتاً في المجد إذ غُرسوا [٢٤٠]

يمتدح بني أمية، فهم في النسب أشرف قريش، وقوله: (خيرهم منبتاً في المجد إذ غرسوا)، فكأنه يضمن للمتلقي أن أبناءهم الذين يمثلون غرسهم هم الأفضل بين أقرانهم، لذلك استحقوا الزعامة؛ لكونهم نتاج نسب جيد.

---

* المعنى: إنه أُرسل كما أُرسل النبي عليه السلام لينقذ الناس.

[٢٣٩] الفرزدق، **ديوانه**، ج٢، ص٣٧٩.

[٢٤٠] النابغة الشيباني، **ديوانه**، ص٢٩.

توليهم الحكم لشرف أجدادهم = سلطة نسب غير منطقية.

- **الحجج التي تستدعي القيم**:(**Arguments that call values**)

أخذ شعراء بني أمية في تعداد محاسن خلفائهم إسناداً إلى حججهم، وهذه الحجة وجدناها عند جميع الأحزاب، وهذا يدل على قيمة هذه الحجة وأهميتها عند العرب، فاستقامة الأخلاق تضمن لهم استقامة الحكم. يقول النابغة الشيباني: (**البسيط**)

خليفةَ اللهِ يُستسقَى الغمامُ به ما مس أثوابه من غَدرَةٍ دَنَسُ

مَلكاً هماماً يُحيلُ الأمرَ جائلَهُ إذا تحير عند الخُطةِ الهـــوِسُ

دانت له عرَبُ الأفاقِ خَشيَتهُ والرومُ دانت له جَمعاءُ والفُرُسُ [٢٤١]

يخلع على صاحبه صفات قوية تصل إلى التعظيم والتبجيل، فهو طاهر لم يدنس أبداً، فهذه الصفة المبالغ فيها من ناحية الاستسقاء به، وتطهيره من الذنوب، لا يتصف بها الإنسان العادي، فكأنه يرتقي به عن فئة البشر ويصله إلى مرحلة القداسة. ثم ينتقل إلى توضيح صفاته السياسية، فهو ملك يحل الأمور التي تحير الأذهان، ومن شدة بطشه وقوة جبروته دانت له العرب والروم والفرس جميعاً خشية منه وتجنباً لمعارضته، فملك الأرض بمشارقها ومغاربها، وخضعت له جميع العرقيات، وأصبح عرشه فوق الكل، فقد يستغل المحاج قاعدة أخلاقية محببة إلى العرب مثل (القوة)، ويبني عليها برهنته التي يعلم وقعها في قلب المستقبل/ الجمهور. فالعرب تميل إلى قصص البطولة والقداسة، والباث الأموي عرف مداخل العرب ومقافلها، فعمل على توظيفها في أطروحاته، ومن الصفات النفيسة صفة الكرم والعدل. يقول الفرزدق: (**الطويل**)

سُليمَانُ غَيثُ المحِلينَ ومَن بِهِ عن البائسِ المسكينِ حُلّت سَلاسـلُه

وَمَا قَامَ مُذ ماتَ النّبيُّ مُحَمّـــدٌ وَعُثمانُ فَوقَ الأرضِ رَاعٍ يعـــــادلُه

[٢٤١] النابغة الشيباني، **ديوانه**، ص٢١٣.

أرى كلَّ بَحرٍ غَيَر بحرِكَ أصبَحَت تَشَقّقُ عن يَبسِ المعينِ سَوَاحِـــــلُه* [٢٤٢]

يصفه بالغيث دلالة على الكرم الغزير دون مقابل، ويرفع من مقامه إلى علو الرسول –صلى الله عليه وسلم– وعثمان –رضي الله عنه–، فلا يوجد من يعادله بعدهم، فبذلك ينسف أي محاولة لمقارنتهم بالآخر، ويضيف إلى صفة العلو والكرم، صفة الرحمة وإحياء الحق، وإماتة الباطل ونشر الأمان، يقول: (**الطويل**)

تَخَيّرَ خَيرَ النّاسِ للناسِ رَحمَـــةً وَبَيتاً إذا العاديُّ عُدّت أوَائِلُـــه

وَكَانَ الذي سَمّاهُ باسمِ نَبِيّـــــهِ سُلَيمانَ إنّ الله ذا العَرشِ جاعلُه

عَلى النّاسِ أمناً واجتِماعَ جَماعَة وَغَيثَ حَياً للنّاسِ يُنبتُ وَابلُـــه

فأحييتَ مَن أدرَكتَ مِنّا بسُنّـــةٍ أبَت لم يُخالِطهَا مَعَ الحَقّ باطِلُـه [٢٤٣]

يقول: إن الله اختاره وفضله على الناس لأنه خيرهم وهو رحمة لهم. نجد الشاعر يصر أن يرفع من خلفاء بني أمية إلى مقامات الأنبياء المقدسة، فيربطهم إما بصفات النبي ونسبهم المشترك أو كما مر بنا تشابه الأسماء، وكأنه يريد غرس هذا التلازم في ذهن المتلقي غاية تمجيدهم المبالغ به. ويذكر جرير أن من شدة كرم الخليفة ورحمته أصبح أباً لكل اليتامى، لا يبخل عليهم بشيء: (**الكامل**)

إنّ الخَليفةَ لليَتامَى عِصمَـــــــةٌ وَأبُو العِيَالِ يَشُفّهُ* الإقـــــتَارُ

صَلَّى القَبائِلُ مِن قُرَيشٍ كُلهُـــم بالموسِمَينِ عَلَيك والأنصـــــارُ

تَرضَى قُضاعةُ ما قَضيتَ وسلمت لرِضى بحُكمكَ حميرٌ ونِـــــزارُ

● يقول إن بحره لاينضب بخلاف سواه.

[٢٤٢] الفرزدق، **ديوانه**، ج٢، ص١٤١.

[٢٤٣] نفسه، ج٢، ص١٤٢.

● يشفه: يُوجِعُ قلبه.

قَيس يَرَونَك ما حَييتَ لهُم حَيــاً وَلآلِ خِندِفَ مُلكُكَ استبشَارُ

وَلقَد جريتَ فَمَا أمَامَكَ ســـــابقٌ وَعَلى الجَوالِبِ كَبوةٌ وغُـــــبَارُ [٢٤٤]

بعد صفة الكرم يعود ليتغنى بقوته التي جعلت جميع القبائل تخضع له.

قريش–قضاعة–قيس–حمير–نزار–خندف.

بنو أمية = لا يوجد من ينازعهم، ومن يحاول يقع ويعلو غباره.

ويقول جرير في يزيد بن عبد الملك: (**الكامل**)

لَمّا ملَكتَ عَصَا الخِلاَفةِ بينَت للطّالبينَ شَمَائِلٌ وَنِجَـــــــــارُ*

سَاسَ الخِلافَةَ حينَ قامَ بحقِّها وَحَمَى الذِّمَارَ فَمَا يُضَاعُ ذِمَارُ [٢٤٥]

إنه حين تولى الخلافة بانت مناقبه العالية وأصله الطيب، وتجلى هذا الأمر في عطائه للمحتاج وحماية أموال الدولة وشرفها، نستنتج من ذلك: إنه قام بواجبات الحاكم ولم يخيب ظن مؤيديه ورعيته، بل إننا نجد المرسل الأموي يمتدح وزراء بني أمية ويصلهم بالخليفة؛ لكي يظهر الدولة الأموية بصور صالحة متكاملة من خليفة ووزير، يقول

حارثة بن بدر لابن زياد: (**الوافر**)

أَخَوكُ خليفةُ الله ابنُ حَربٍ وأَنتَ وزيرُهُ نِعـــمَ الوزيرُ

بأمر الله مَنصُورٌ مُعـــــانٌ إذا جارَ الرعِيـــةُ لا تَجُورُ

---

[٢٤٤] جرير، **ديوانه**،٦٤٧.

*عصا الخلافة: يريد قضيب الرسول عليه السلام الذي كان يخطب به الخلفاء. النجار: الأصل. الشمائل: الطبائع والخلائق.

[٢٤٥] جرير، **ديوانه**، ص٦٤٦.

يَدِرُّ على يَدَيك لمـــا أَرادوا من الدُّنيا لهم حَلَبٌ غزِيرُ [٢٤٦]

يصول الشعراء ويجولون في قضية أن الخليفة هو اختيار الله، فيؤكد أن ابن حرب خليفة الله في أرضه، لا يظلم ولا يجور.

من خلال الشواهد السابقة نتبين القيم التي دار حولها شعر شعراء بني أمية واتكأوا عليها لتصوير أطروحتهم وتقويتها:

الكرم+ القوة+ العظمة+ المقام العالي+ السماحة+ الحكمة= خلفاء آل أمية.

- **حجة التبذير**:(**Argument of wasting**)

جاءت حجة التبذير عند الشاعر الأموي من خلال تحريض الخلفاء على الأعداء، ومحاولة تصوير ضعف العدو، وإكمال سيرهم في الحرب لكي يستقر لهم الحكم، يقول أعشى ربيعة محرضاً عبد الملك: (**الكامل**)

آلُ الزُّبَير من الخلافة كالّـــــتي عَجِلَ النتاجُ بحَملِها فأَحالَها

أو كالضِّعاف من الحَمولة حُمِّلَت مالا تُطِيق فضَيّعت أحمَـالها

قُوموا إليهم لا تَناموا عنهـــــمُ كم للغُواةِ أطلتُم إمـــهالَها

أمسَوا على الخيرات قُفلاً مغلقاً فانهض بيُمنِك فافتتح أقفالهَا [٢٤٧]

يحث الشاعر عبد الملك على قتال آل الزبير ويهون من أمرهم، فسياق حجة التبذير هنا: إنه لما بذلتم من جهد في إرساء قواعد الدولة وضحيتم بالأنفس والأموال وشغلتكم الحروب، فلابد من إتمام ما بدأتم به والمواصلة على النهج ذاته، وإلا ضيعتم جهدكم ووقتكم، وهذا خسران عظيم. ويذكر للمتلقي الخاص (عبد الملك) أن أبناء

[٢٤٦] الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٥، ص٢٢٣.

[٢٤٧] الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٨، ص٩٦.

الزبير ضعفاء جداً أمامه، ولكي يؤكد الفكرة يستند إلى (التشبيه)، وهو أداة حجاجية توصل الصورة وتقوي إيضاحها في الذهن.

عمل على إظهار آل الزبير بصورتين:

١-تشبيههم بالأنثى المجهاض التي تحبل وترمي، فهذا غاية الاستهانة بالخصم والتقليل من قيمته.

٢-تشبيههم بالخزانة المغلقة، كناية عن بخل آل الزبير وإمساكهم الخيرات عن الناس.

وعمل على تقليل شأن الخصم وقدم صورة مهينة له، ثم حث الأمويين على مواصلة حربهم؛ لكسر شوكتهم قبل أن تقوى.

النتيجة: ينبغي محاربة الأعداء، وعدم الصفح عنهم أو المهادنة.

- **حجة التمثيل: (Figurative analogy)**

بما أننا رأينا إسناداً دينياً قوياً لحججهم، وبيان أن الله اختار آل أمية وفضلهم، فلابد أن نجد تمثيلاً وآيات القرآن الكريم أو اقتباساً لمضمون أو للفظ، يقول جرير: (**البسيط**)

إنّ الإمامَ الــذي تُرجَى نَوافِلُهُ بعدَ الإمـــــــامَ وليُّ العهدِ أيّوبُ

اللهُ أعطاكُمُ من عِلمِهِ بِكـــمُ حُكماً وما بعدَ حكمِ اللهِ تَعقيبُ

أنتَ الخَليفَةُ للرّحمنِ يَعرفُـــــهُ أهلُ الزبورِ وفي التَوّراةِ مَكتُـــوبُ

كُونُوا كَيُوسُفَ لما جاءَ إخوَتُهُ وَاستَعرفُوا قالَ: ما في اليومِ تثريبُ

اللهُ فضلهُ واللهُ وفـــــقـــــهُ تَوفيقَ يُوسُفَ إذ وصّاهُ يعقــوبُ [٢٤٨]

[٢٤٨] جرير، **ديوانه**، ص٣٤٨-٣٤٩.

وقوله: (**الوافر**)

وحَبلُ اللهِ تَعصِمُكُمُ قـــوَاهُ فَلا تَخشَى لِعُروتِهِ انفِـــــصَامَا [٢٤٩]

نجد في هذه الأبيات ألفاظاً كثيرة وقصصاً مستوحاة من القرآن الكريم، الهدف من إيرادها خلع قداستها على بني أمية، ومحاولة تعظيم شأنهم، وربط مكانتهم بالأنبياء، مثل قوله: الله وفقه توفيق يوسف...، فإن الله يحبه، لذلك أكرمه.

جاءت الدلالات القرآنية كالتالي:

- اعتصموا بحبل الله مقتبسة من قوله تعالى:(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا).[٢٥٠]

- الزبور مقتبسة من قوله تعالى:(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)[٢٥١]، ولعله يشير من خلال هذه الدلالة إلى تكملة الآية، وهي أن الأرض لا يرثها إلا عباد الله الصالحون.

- التوراة مقتبسة من قوله تعالى:(إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ)[٢٥٢]

- يوسف وإخوته ... قصة يوسف عليه السلام التي ذكرت في سورته.

وعندما يقول الشاعر: إن هذا الخليفة اختاره الله، ويعرفه أهل الزبور، وكتب اسمه في التوراة، وتعدد المواضع التي يرتبط اسم الخليفة الأموي بالأنبياء، كل هذه الدلالات تؤكد لنا ما أشرنا إليه سابقاً من محاولة إيصال فكرة ضمنية وهي: علو مكانة بني أمية، التي يريدونها أن تصل إلى منزلة الأنبياء.

---

[٢٤٩] جرير، **ديوانه**، ص٢٢٥.

[٢٥٠] سورة **آل عمران**، آية ١٠٣.

٢٥١ سورة **الأنبياء**، آية ١٠٥.

[٢٥٢] سورة **المائدة**، آية ٤٤.

ويصل النابغة الشيباني إلى تفسير الآيات القرآنية وفق هواه من أجل تأكيد حجته، يقول عن أعداء بني أمية: (**البسيط**)

لا يُبصِرون وفي أذانهم صَمَمٌ إذا نعشتهُمُ من فِتنةٍ رَكَسَـــوا

هم الذين سمِعتُ الله أوعدَهم المشركون ومن لم يهوَكم نَجَسُ [٢٥٣]

أي: إن الذين يكرهون بني أمية هم مشركون أنجاس توعدهم الله، ويشير بهذا إلى قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ)[٢٥٤] وقد تجاوز الشاعر الأموي الحدود الدينية من أجل إرساء قواعد قضيته، وقد قصروا هذه الأدلة على قضيتهم مع أنها لا تمثلها، وقد لجأوا إلى ذلك هرباً من التدليل وقلة حيلتهم تجاه القضية، "وأول صورة من صور التهرب من عبء التدليل أن يورد العارض دليلاً ليس له أي تعلق بالدعوى المعروضة، فيكون تدليله غير مناسب للمقام الحجاجي الفعلي، وهو إنما يفعل ذلك ليوهم السامعين أنه أقام الدليل على دعواه، فيعمد في الغالب إلى لوك بعض العبارات التي يحسن التشدق بها موهماً أنها تقطع بصحة دعواه".[٢٥٥] لذلك نشعر أن هذه الأدلة أخضعت جبراً للبرهنة على قضيتهم.

---

[٢٥٣] النابغة الشيباني، **ديوانه**، ص٢٨.

[٢٥٤] سورة **التوبة**، آية٢٨.

[٢٥٥] الراضي، **الحجاج والمغالطة**، ص٣٦.

خصائص الشعر الأموي

أول ما يتبادر إلى أذهاننا عند قراءة أشعار الحزب الحاكم أنه نابع من العقل لا القلب، لذلك نجدهم يتفننون في صياغة حججهم والمبالغة في تلوين العبارات والخيال سعياً إلى إرضاء الحكام والتنافس على خيراتهم. ومن أهم الخصائص البارزة في شعر الحزب الأموي:

١-التقديس المبالغ عند الشعراء الذي قد يصل إلى اقترانهم بصفات الأنبياء كما رأينا عند الفرزدق وجرير، بل إنهما وصلت بهما المبالغة إلى تقديس الخليفة يزيد بن عبد الملك الذي عرف بالطرب واللهو[٢٥٦]، يقول الفرزدق: (**الطويل**)

ومَا وَجَدَ الإسَلامُ بَعدَ مُحَمـــــدٍ وَأصحَابِهِ للدّينِ مثلكَ رَاعـــياً

يقوُدُ أبو العاصي وحَربٌ لحوضِـــهِ فُراتينِ قد غَمّا البُحُورَ الجَــواريَا

إذا اجتمَعَا في حوضِهِ فَاضَ منِهما عَلى النّاسِ فيضٌ يعلُوَانِ الرّوابيَا

فلم يُلقَ حوضٌ مثل حوضٍ هَمىَ له ولا مِثلُ آذيٍّ فُراتيهِ سَـــــاقِيَا [٢٥٧]

دلالات المبالغة: إيصاله إلى مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الصالحين، وكلمة الحوض لها قداسة أخرى قد يرمي إليها الشاعر من خلال التقريب بين صورتين أحدهما ضمنية،

وهما:

- حوض الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي يسقي منه أمته يوم القيامة. (ضمنية)
- وحوض بني أمية الذين يسقون رعيتهم منه لشدة كرمهم. (ظاهرة)

---

[٢٥٦] انظر البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٨، ص٢٤٤.

[٢٥٧] الفرزدق، **ديوانه**، ج٢، ص٤٢٢.

يقول أيضا: (**الكامل**)

أعطَى ابنَ عاتكَةَ الذي ما فَوقَهُ غَيرُ النبُوّةِ والجَلاَلِ الأجـــلَلِ

سُلطَانَهُ وعَصَا النّبيّ وخَاتَمـــــاً ألقَى لَهُ بِجِرَانِهِ والـــكَلكَلِ

أهلُ المشَارِقِ والمغَارِبِ إذ ما رَأوا مَا فيهِ ذِكرُ مُحَمّدٍ لم يُنـــحَلِ [٢٥٨]

يذكر أن ابن عاتكة لا يعلوه إلا النبي، بل إنه يشير إلى أنه وريثه من خلال دلالات النبوة (العصا، الخاتم) التي يمتلكها، ويؤكد ذلك في البيت الذي يليه: إن من رآه من المشرق والمغرب يجمع على امتلاكه صفات النبي وشمائله.

لعله يريد أن يشير إلى أن بني أمية هم الأقرب إلى وراثة الرسول من خلال تقارب الصفات ودنو المنزلة.

٢-في العهد الأموي عادت العصبية القبلية، واشتدت إلى درجة تأثر الشعر السياسي بها، فمن خلال إدماج السياسة بالعصبية القبلية أو الحث على قتال قبيلة معينة، أو الفخر بأن الخليفة ينتمي إلى قبيلة الشاعر مثل قول جرير: (**الوافر**)

مُضَرٌ أبي وأبو الملُوكِ فهَل لكُم يا خُزرَ تَغلبَ مِن أبٍ كَأبينَا

هذا ابنُ عَمّي* في دِمشقَ خَليفَةً لَو شِئتُ ساقكُمُ إليّ قَـــطِينَا [٢٥٩]

كان يحاول أن يحسن صورة تميم في عيون الخليفة، فيخاطب عبد العزيز بن مروان:(**الطويل**)

فإنَّ تَميماً فاَعلمنّ أخُوكُـــــمُ ومَن خَيرِ مَن أبليتَ عافيةً شُكـــرا

إذا شئتُمُ هِجتُم تَميماً فهـــجتُمُ لُيوثَ الوَغَى يَهصرنَ أعداءكم هصرَا

---

[٢٥٨] الفرزدق، **ديوانه**، ج٢، ص١٧٨.

● يقصد الخليفة عبد الملك بن مروان.

[٢٥٩] جرير، **ديوانه**، ص٦٥٩.

نَقُودُ الجيادَ المقَرباتِ على الوَجَى لأعدائِكُم حتى أبَرنَاهُمُ قَســـــرا[٢٦٠]

يحاول أن يتوسط لبني تميم ويستعطف الخليفة عليهم من خلال مدحه لهم بأنهم خير الرجال الأوفياء في الشدة والرخاء، يحاربون من أجلكم ويصهرون أعداءكم دون رحمة.

٣-وجدنا أنهم يعملون على نقض حجج الخصم بحجج تقابلها من المعنى نفسه، فمثلا الشيعة من أهم براهينهم وراثة الخلافة، نجد العارض الأموي يعمل على نقض هذا الدليل أن بني أمية ورثوا الرسول وعثمان أيضاً، ويؤكدون ذلك في كل محفل، يقول الفرزدق: (**الكامل**)

وَرِثُوا مَشُوَرتَهَا لِعُثمَانَ التي كَانَت تُرَاثَ نَبينَا المتَخَيِّرِ [٢٦١]

ويقول: (**الطويل**)

وَرِثتُم خَليلَ اللهِ كُلَّ خِزَانَةٍ وَكُلَّ كِتَابٍ بالنّبُوّةِ قائمِ [٢٦٢]

هذه الحجة المقوضة استفزت الشيعة لأنهم أولى بها، فكان رد الكميت بن زيد في الأبيات التالية:

وقالوا ورثناها أبانا وأمنا وما ورثتهم ذاك أم ولا أب [٢٦٣]

ومثلها تماماً حجج سلطة النسب والدين والقيم، يناقضون بمثلها.

---

[٢٦٠] جرير، **ديوانه**، ص٢٤٤.

[٢٦١] الفرزدق، **ديوانه**، ج١، ص٣٦٨.

[٢٦٢] نفسه، ج٢، ص٣٥١.

[٢٦٣] الكميت، **ديوانه**، ص٥٢٤.

٤-وكما ذكرنا أن هذا الحزب حزب نفعي دنيوي، يتنافس شعراؤه على إعجاب الحكام والمال فوجدناهم بعد امتداحهم، وتأكيد حقهم الشرعي في الخلافة يلمحون أو يصرحون بالكدية، مثل قول جرير لعمر بن عبد العزيز: (**الكامل**)

إنّي لآمُلُ مِنكَ خَيراً عَاجِلاً والنّفسُ مُولعَةٌ بحُبّ العَاجِلِ

واللهُ أنزَلَ في الكِتَابِ فريضَةً لابنِ السّبيلِ وللفَقيرِ العَائِلِ [٢٦٤]

وقول النابغة الشيباني: (**البسيط**)

قومٌ هُمُ مولّوني قد عَفَوتُهُمُ فلا وجِّدك ما ضَنوا ولا عَبَسوا [٢٦٥]

أي عندما أطلبهم المال لا يعبسون ولا يبخلون بل يجزلون بانبساط، وأرى أنه تلميح للكدية.

هذا ما يؤكد لنا أن ولاء بعض شعراء هذا الحزب نفعي وليس صادقاً نابعاً من القلب، لا يريد مقابلاً، وإنما كان نهجهم (نعطي حججاً تؤكد حقكم ونأخذ مقابلها)، ولم يغب هذا عن بال الأمويين، لذلك نراهم احتضنوا الشعراء وأجزلوا لهم العطايا.

---

[٢٦٤] جرير، **ديوانه**، ص٤٥٥.

[٢٦٥] النابغة الشيباني، **ديوانه**، ص٢٩.

الخاتمة

الحمد لله الذي أتم علي نعمة إنهاء البحث ويسر لي الطريق، فمن خلال دراسة شعر الأحزاب وحججهم، خرجت بعدة نتائج، أرى أنها ثمرة بحثي المتواضع، وهي كالتالي:

أهم النتائج التي توصلت إليها:

١-الشاعر الخارجي يوجز حججه ولا يهتم بأفانين الإقناع؛ لأن الشعر لديه هو وسيلة لنشر آرائه والدفاع عن دعوته، ولم يسلك فن الإبداع لكسب الإقناع، إنما كان جافا في عرض أطروحته وحججها.

٢-الشاعر الشيعي تغلب عليه العاطفة، ولكنه كان أقرب إلى المنطق في بعض حججه.

٣-لجأ المحاج الزبيري إلى تكرار حججه دونما تشويق ومراوغة تذكر، وهذا يدل على ضيق سبل الحجج لديهم.

٤-كثرة الصور الشعرية والتشبيهات والاستعارة عند الشعراء الأمويين والشيعة.

٥-أكثر شعراء الخوارج من صيغ الإنشاء في مخاطبة الآخر مثل: التمني: ويكون في تمني الانتصار على العدو، وتمني الموت للوصول إلى الجنة ونعيمها. الأمر: نجده عندما يخاطب أصحابه ويأمرهم بالجهاد، وإتباع المعروف، والبعد عن ملذات الدنيا. النداء مثل: نداء أصحابهم الخوارج، أو نداء الله سبحانه وتعالى، أو النداء المباشر للحكام والوزراء. التعجب: يكون من ناحية حياة وفكر الآخر، وكيفية تقبله للظلم، واستقراره في ترف الدنيا، ونسيان الآخرة وحسابها.

٦-جميع الأحزاب السياسية (شيعة—خوارج-زبيريين-أمويين) اتخذوا الدين وسيلة لإثبات حججهم، وفسروا النصوص القرآنية والأحاديث حسب منظورهم وأهوائهم.

٧-كثرت حجج السفسطة عند الحزب الأموي، والمراوغة في طرح الحجة وتفسيرها.

توصية: أوصي الباحثين من بعدي بدراسة الحجاج في الشعر السياسي من الناحية اللغوية أو الأسلوبية، وكما أوصي بدراسة الحجاج في الخطب السياسية.

تلك كانت أهم النتائج والتوصيات التي توقفت عندها الدراسة، وأسأل الله التوفيق والسداد.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

١. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم. **الكامل في التاريخ**. تحقيق عبد الله القاضي، م٣، ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧.

٢. ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر. **بلاغات النساء**. صححه وشرحه أحمد الألفي، القاهرة: مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، ١٣٢٦هـ.

٣. ابن كثير، إسماعيل. **البداية والنهاية**. ج٨، بيروت: مكتبة المعارف، ١٤١٣هـ .

٤. ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**. تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، القاهرة: دار المعارف، د.ت.

٥. أبو الأسود، ظالم بن عمرو. **ديوانه**. صنعة أبي سعيد السكري، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط٢. بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٨.

٦. أبو الفتح، محمد عبد الكريم الشهرستاني. **الملل والنحل**. علق عليه أحمد فهمي محمد، ج١، ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣.

٧. أبو الفرج، علي بن الحسين الأصفهاني. **الأغاني**. تحقيق إحسان عباس، إبراهيم السعافين، بكر عباس، ط٣. بيروت: دار صادر، ٢٠٠٨.

٨. أبو حرزة، جرير بن عطية. **ديوانه**. شرح محمد بن حبيب، تحقيق نعمان محمد أمين، ط٣. القاهرة: دار المعارف، د.ت.

٩. الأخطل، غياث بن غوث. **ديوانه**. تحقيق فخر الدين قباوة، ط٤. دمشق: دار الفكر، ١٤١٦هـ.

١٠. الأسدي، الكميت بن زيد. **ديوانه**. جمع وتقديم داود سلوم، ج١، بغداد: مكتبة الأندلس، ١٩٦٩م.

١١. الأسدي، الكميت بن زيد. **هاشمياته**. تحقيق داود سلوم، نوري القيسي، ط٢. بغداد: عالم الكتب، ١٤٠٦هـ.

١٢. الأسدي، عبد الله بن الزبير. **ديوانه**. جمع وتحقيق يحيى الجبوري، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٣٩٤هـ.

١٣. الأنصاري، النعمان بن بشير. **ديوانه**. تحقيق يحيى الجبوري، ط٢. الكويت: دار القلم، ١٤٠٦.

١٤. الباجي، سليمان بن خلف. **كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج**. تحقيق عبدالمجيد تركي، ط٣، بيروت: دار الغرب الإسلامي، د.ت، ٢٠٠١.

١٥. البلاذري، أحمد بن يحيى. **جمل من أنساب الأشراف**. تحقيق سهيل زكار، رياض زركلي، ط١. بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ.

١٦. الجاحظ، عمرو بن بحر. **البيان والتبيين**. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج١، ط٧. القاهرة: الخانجي للطباعة والنشر، ١٤١٨هـ.

١٧. الجاحظ، عمرو بن بحر. **الحيوان**. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج٢، ط٢. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي،١٣٨٤هـ.

١٨. جعفر، قدامة. **نقد الشعر**. تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

١٩. الجمحي، وهب بن زمعة. **ديوانه**. تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، ط١. النجف: مطبعة التضاد، ١٣٩٢.

٢٠. الحاجب، عثمان بن عمر. **مختصر منتهى السؤال والأمل في علمي الأصول والجدل**. دراسة وتحقيق نذير حمادو، م١، ط١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢١.

٢١. الحباشة، صابر. **التداولية والحجاج مداخل ونصوص**. ط١. دمشق: صفحات للدراسات والنشر، ٢٠٠٨.

٢٢. حكيم، الطرماح. **ديوانه**. تحقيق عزة حسن، ط٢. بيروت: دار الشرق العربي، ١٤١٤.

٢٣. الحميري، إسماعيل بن محمد. **ديوانه**. تقديم نواف الجراح، ط١. بيروت: دار صادر، ١٩٩٩.

٢٤. الحميري، يزيد بن مفرغ. **ديوانه**. جمع وتحقيق عبد القدوس أبوصالح، ط٢. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ.

٢٥. الحنفي، عبيدالله بن عمر. **تقويم الأدلة في أصول الفقه**. قدم له وحققه خليل محيي الدين الميس، ط١، بيروت: دار الفكر،١٤٢١هـ.

٢٦. الحوفي، أحمد. **أدب السياسة في العصر الأموي**. ط٦. القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٧ .

٢٧. الدريدي، سامية. **الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة: بنيته وأساليبه**. إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٨.

٢٨. الدهري، أمينة. **الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة**. الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع والمدارس، ٢٠١٠.

٢٩. **ديوان الخوارج**. تحقيق نايف معروف، ط١. بيروت: دار المسيرة، ١٤٠٣هـ.

٣٠. الراضي، رشيد. **الحجاج والمغالطة، من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار**، ط١. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٢.

٣١. الراعي، عبيد بن حصين النميري. **ديوانه**. جمعه وحققه راينهرت فاييرت، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية،١٤٠١هـ.

٣٢. الرقيات، عبد الله بن قيس. **ديوانه**. تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، بيروت: دار صادر، د.ت.

٣٣. الزمخشري، محمود بن عمر. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. تحقيق عبد الرزاق عبد المهدي، ج١، ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ.

٣٤. الشافعي، علي بن الحسن. **تاريخ مدينة دمشق**. تحقيق محب الدين العمروي، ج٢٥، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥.
٣٥. الشايب، أحمد. **تاريخ الشعر السياسي، إلى منتصف القرن الثاني**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٤٠٣.
٣٦. شداد، عنترة. **ديوانه**. عني بتصحيحه أمين سعيد، القاهرة: المطبعة العربية بمصر، د.ت.
٣٧. **شعر الخوارج**. جمع وتقديم إحسان عباس، ط٢. بيروت: دار الثقافة، د.ت.
٣٨. الشهري، عبد الهادي بن ظافر. **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية**. ط١. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، د.ت.
٣٩. الصمة، دريد. **ديوانه**. تحقيق عمر عبد الرسول، القاهرة: دار المعارف، د.ت.
٤٠. ضيف، شوقي. **التطور والتجديد في الشعر الأموي**. ط١١. القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٧.
٤١. الطبري، محمد بن جرير. **تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢. القاهرة: دار المعارف، د.ت.
٤٢. طليمات، غازي. الأشقر، عرفان. **الشعر في العصر الأموي**. ط١. دمشق: دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٨.
٤٣. عبد الرحمن، طه. **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**. ط١. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨.
٤٤. عبد الرحمن، كثير. **ديوانه**. جمعه وشرحه إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، ١٣٩١هـ.
٤٥. عبدالمجيد، جميل.**البلاغة والاتصال**. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٨.
٤٦. العزاوي، أبو بكر. **اللغة والحجاج**. ط١. الدار البيضاء: العمدة في الطبع، ٢٠٠٦.
٤٧. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. **هدى الساري مقدمة فتح الباري**. بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ج١، ط١. القاهرة: دار الريان للتراث، ١٤٠٧.
٤٨. العش، يوسف. **الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان**. الطبعة الخامسة المطابقة للطبعة الثانية. دمشق: دار الفكر، ١٩٩٨.
٤٩. عطوان، حسين. **الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي**. ط١. بيروت: دار الجيل، ١٩٨٦.
٥٠. الفرزدق، همام بن غالب. **ديوانه**. ضبط معانيه وشروحه إيليا الحاوي، ط١. بيروت: دار الكتاب اللبناني،١٩٨٣هـ.
٥١. فريق البحث في البلاغة، والحجاج. **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**. إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب، والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس: د.ت.

٥٢. القط، عبد القادر. **في الشعر الإسلامي والأموي**. بيروت: دار النهضة، ١٩٧٩.
٥٣. كلثوم، عمرو. **ديوانه**. تحقيق أيمن ميدان، ط١. جدة: النادي الأدبي الثقافي، ١٤١٣هـ.
٥٤. الكوفي، أحمد بن أعثم. **الفتوح**. تحقيق علي شيري، ج٦، ط١. بيروت: دار الأضواء، ١٤١١هـ.
٥٥. المرزباني، محمد بن عمران. **معجم الشعراء**. تحقيق فاروق أسليم، ط١. بيروت: دار صادر، ١٤٢٥هـ.
٥٦. المزني، زهير بن أبي سلمى. **ديوانه**. تحقيق فخر الدين قباوة، ط٣. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠.
٥٧. مشبال، محمد. **البلاغة النادرة**. ط٢. طنجة: دار جسور للطباعة والنشر، ٢٠٠١.
٥٨. مشبال، محمد. **البلاغة والخطاب**. ط١. كلية الآداب تطوان ، ٢٠١٤.
٥٩. مشبال، محمد. **خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، مقاربة بلاغية حجاجية**. ط١. عمان: دار كنوز المعرفة، ٢٠١٥.
٦٠. معيطة، أحمد. **الإسلام الخوارجي**. اللاذقية: دار الحوار، ٢٠٠٠.
٦١. الملائكة، نازك صادق. **قضايا الشعر المعاصر**. ط٣. حلب: المركز الثقافي العربي، ١٩٦٧.
٦٢. الملوح، قيس. **ديوانه**. جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد فراج، القاهرة: دار مصر للطباعة، د.ت.
٦٣. المنقري، نصر بن مزاحم. **وقعة صفين**. تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط١. بيروت: دار الجيل، ١٤١٠هـ.
٦٤. النابغة، زياد بن عمرو الذبياني. **ديوانه**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢. القاهرة: دار المعارف، د.ت.
٦٥. النابغة، عبد الله بن المخارق الشيباني. **ديوانه**. ط١. القاهرة: دار الكتب المصرية،١٣٥١.
٦٦. الولي، محمد. **الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية**. الرباط: دار الأمان، ٢٠٠٥.
٦٧. يوسف، عبد الفتاح أحمد. **الخطاب السجالي في الشعر العربي، تحولاته المعرفية ورهاناته في التواصل**. ط١. بنغازي: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٤.

- **المراجع المترجمة/**

١. شارودو، باتريك. **الحجاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب نحو المعنى والمبنى**. ترجمة أحمد الودرني، ط١. بنغازي: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٩.
٢. طاليس، أرسطو. **فن الخطابة**. ترجمة عبد القادر قنيني، ط١. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٨.

- **المجلة من الشبكة العنكبوتية/**

١. نور الدين، بوزناشة. "الحجاج في الدرس اللغوي الغربي". **مجلة العلوم الإنسانية WWW.ULUM.NL**. السنة السابعة، العدد ٤٤، ٢٠١٠.

الفهرس

إهداء .....

المقدمة ١

مـدخـل: ٩

مفهوم الحجاج عند بعض النقاد العرب وبرلمان ٩

الفصل الأول ٢٧

(الحجاج في شعر الشيعة) ٢٧

١) نشأة الحزب الشيعي ٢٨

٢) أهم فرق الحزب الشيعي وشعرائهم ٣٠

٣) الحجاج في شعر الشيعة ٣١

٤) أهم الحجج الخاصة بالحزب الشيعي..... ٥٨

٥) خصائص الشعر الشيعي..... ٦٦

الفصل الثاني ٧٢

(الحجاج في شعر الخوارج) 72

١) نشأة حزب الخوارج والتعريف به ٧٣

٢) أهم فرقهم ورؤيتهم السياسية. 74

٣) الحجاج في شعر الخوارج 78

٤) خصائص الشعر الخارجي..... ١٠٦

الفصل الثالث ١١٣

(الحجاج في شعر الزبيريين) ١١٤

١) نشأة الحزب الزبيري والتعريف به 114

٢) الحجاج في الشعر الزبيري 119

٣) خصائص الشعر الزبيري.....**١٤٠**

الفصل الرابع ١٤٢

(الحجاج في شعر الأمويين) ١٤٢

١) نشأة الدولة الأموية ١٤٣

٢) أهم شعرائهم واختلاف أهوائهم ١٤٨

٣) الحجاج في شعر الأمويين ١٤٩

٤) خصائص الشعر الأموي.....**١٧٢**

الخاتمة ١٧٦

قائمة المصادر والمراجع ١٧٨

الفهرس 218

ملخص:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فقد كان للسياسة أثر كبير على الأدب والتاريخ، وما يؤكد ذلك تقسيمات الأدب حسب العصور السياسية، وقد لامسنا هذا من خلال دراسة شعر الأحزاب السياسية في العصر الأموي، وكيف كان كل حزب يحاول أن يجذب الآخر إليه من خلال الاستدلال والحجاج، فقد طوعوا الأدب والشعر خاصة لخدمة السياسة، ورأينا كيف بذلت الأموال والأرواح والألسن في سبيل إرساء فكرة والاقتناع بحجة.

وقد اختص البحث بدراسة شعر الأحزاب السياسية في العصر الأموي، والذي تناول في البداية أهمية الموضوع، وأهدافه، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة. واتبعت المنهج الوصفي التحليلي في سير الدراسة.

ثم تحدثت في المدخل عن تاريخ الحجاج عند القدماء والمحدثين، وذكرت أنني سوف أعتمد تصنيفات برلمان، وقد فسرتها.

ويتضمن البحث أربعة فصول، كالتالي:

١- الحجاج في شعر الشيعة. ٢- الحجاج في شعر الخوارج.

٣- الحجاج في شعر الزبيريين. ٤- الحجاج في شعر الأمويين.

ثم انتهى البحث بالخاتمة العامة التي تتضمن النتائج والتوصيات التي يمكن الأخذ بها.

Summary

Politics had great impact on literature and history, and this could be surly seen through dividing literary eras according to political ruling periods. I have seen this in my study of poetry of political parties in the Umayyad state. Every party has sought to influence other parties by reason and logic, making use of poetry in particular to serve politics. A lot of money and souls and tongues were scarified for the sake of convincing the other by one's point of view.

This research concentrates on studying "Poetry of Political Parties in the Umayyad Era.'' In the introduction I dealt with the importance of the subject, its goals, the problem of the study, and previous studies. The Method used in the study is the descriptive analytical method.

In the preliminary chapter, I went through the history of argumentation in classical and contemporary rhetoric. I mentioned that I would follow the classifications of Chaïm Perelman (1912-1984) after explaining them.

The research contains four chapters: 1- Argumentation in Shi‘ah poetry, 2- Argumentation in the poetry of Khawarig, 3- Argumentation in the poetry of Zubayriyyeen, 4- Argumentation in the poetry the Ummayyads.

The research concludes with conclusion that included results and recommendations to be considered in future studies.